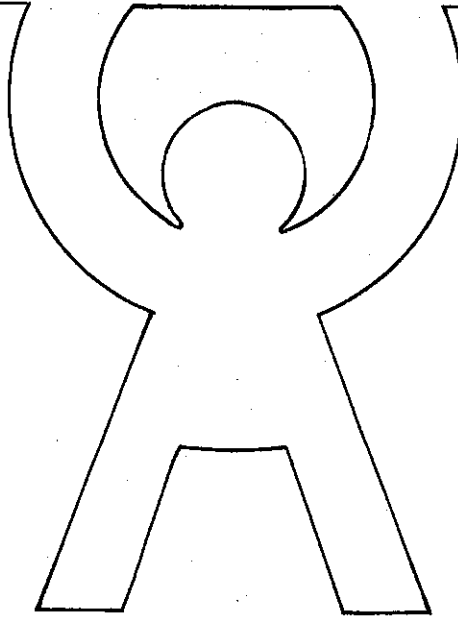


الجمعيّة الكويتيّة لتقدّم الصّفولة العربيّة

توجيه الطفل المتفوق عقليا

مرجع علمي للأباء والمعلمين



تأليف : جيمس ت. ويب
إليزابيث ميكستروث
ستيفان ستولان

ترجمة : بشري حديد
مراجعة : درجاء أبو علام

الكويت ١٩٨٥

هذا الكتاب منقول الى العربية
عن الكتاب التالي

GUIDING THE GIFTED CHILD

**A PRACTICAL SOURCE FOR PARENTS
AND TEACHERS**

JAMES T. WEBB, ELIZABETH A.

MECHSTROTH AND STEPHANIE S. TOLAN

تقديم الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

الاطفال المتفوقون والموهوبون ثروة طبيعية طالما اُهملت، وعلى العكس من الاعتقاد الشائع، فان هؤلاء الاطفال لا يستطيعون الوصول الى استغلال اقصى طاقاتهم وقدراتهم دون معاونة. فالموهبة العقلية الخلاقة لا تستطيع التغلب على الابهام وعدم المبالاة من جانب التربويين. وانه من الصالح القومي والوطني ان نضمن نمو الافراد الذين يملكون القدرة الفائقة الى اقصى حد ممكن. ولاشك في ان الاجواء التي تسود بعض المدارس تشكل ضغطا على الاطفال المتفوقين يمنعهم من التفوق في التحصيل، وقد يترتب على هذا الضغط انصياعهم لما يفرض عليهم، وبالتالي تخلفهم في دراستهم. وعلى الآباء أيضا واجب كبير نحو ابنائهم المتفوقين، فهم مسئولون عن تربيتهم وتنشئتهم التنشئة المطلوبة. فان تنمية صفات وخصائص المتفوقين عقليا تتوقف كثيرا على اسلوب معاملة الوالدين، وعلى درجة توفيرهم الاجواء الضرورية لابنائهم والتي تساعد على نموهم في الاتجاه المطلوب. فالآباء هم القوى الاولية في تربية الاطفال المتفوقين. ومشاركتهم ضرورية في العديد من المجالات وبخاصة مجالات الدافعية والتدعيم العادي والمعنوي وهذه امور ضرورية لاثراء حياة ابنائهم وتوجيه نموهم توجيها سليما.

ونظرا لأهمية دور الاسرة من ناحية، ودور المدرسة من ناحية اخرى فقد رأت الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية اختيار هذا الكتاب ليكون معينا للآباء والمعلمين على تربية الاطفال المتفوقين. فهذا الكتاب يتناول هذا الموضوع الهام بشكل عملي بحيث يمكن اعتباره دليلا ومرشداً يوجه الآباء والمعلمين الى كيفية معالجة ما قد يصادفهم من مشكلات اثناء تعاملهم مع المتفوقين بدءا من اكتشافهم وحتى رعايتهم.

ولقد تولت السيدة بشرى حديد مسئولية نقل هذا الكتاب الى الآباء والمعلمين العرب، ولقد حرص اثناء ترجمته على عدم التقيد كثيرا بالالفاظ بقدر تقيدها بالمعاني والمضمون، وكان رائدها في ذلك انها أم وتشعر بشعور الامهات، ولذلك فقد اهتمت أولا وقبل كل شيء بأن تخاطب الآباء العرب بما يناسبهم، وقد دفعها هذا الى ان تضيف من عندها احيانا أو تعدل في بعض الافكار الرئيسية بما يناسب وجمتمعها العربي، والجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية اذ تقدم هذا الكتاب الى الآباء والامهات والمعلمين في الكويت والبلاد العربية ليحدوها امل كبير في ان يكون هذا الكتاب فاتحة اهتمام صادق بابنائنا وبناتنا من المتفوقين.

والله ولي التوفيق،،

دكتور حسن الابراهيم

رئيس الجمعية

المساعدة خير من المواجهة

ان هذا الكتاب مكرس لرعاية النمو الانفعالي لكل الاطفال المتفوقين لأن بإمكانهم ان يثروا حياتنا بما لديهم من مقدرات ومواهب وانه ليشرفنا ان نقدم هذا الكتاب لمن يشاركون الطفل شغفه وتطلعه الى حياة افضل وتفهم اعمق ليكونوا له خير معين. غاية هذا الكتاب ان يقدم المتعة والدعم والتشجيع الذي يغذي هذا النمو ليخدم احتياجات هؤلاء الاطفال.

تقديم

دفع انتحار الشباب النابغ (دالاس ايجيرت) البالغ من العمر سبعة عشر عاما ١٩٨٠ والديه للاستفسار عن البرامج المصممة لمواجهة الحاجات الانفعالية للاطفال المتفوقين عقليا واسرهم. ولكن ما لبثت محاولاتهم ان باءت بالفشل لأن مثل هذه البرامج لم تكن في حيز الوجود عندئذ رغم وضوح الحاجة الى مثل هذه الخدمات. ولقد دفع استفسارهم واتصالاتهم بالجهات المعنية الى بدء برنامج لزياده وعي الآباء والمعلمين وكل من يعمل مع الاطفال المتفوقين عقلياً وبخاصة لمعرفة ان هؤلاء (الاطفال) واسرهم حاجات ومتطلبات انفعالية خاصة، غالباً ما نتجاهلها ونهملها. ولا يترتب على هذا الاهمال في معظم الاحيان سوى التعاسة والاكتئاب نتيجة لما فاتهم من متعة وعدم استغلال لقدراتهم. ان المحبة وحدها لأطفالنا لا تكفي، اذ يجب علينا ان نعلم ما نحن فاعلون، كما هو الحال في الاعمال الاخرى التي تتطلب أدواراً ادارية. لذلك اشترك الدكتور (ايجيرت وزوجته) مع اخرين في برنامج (فيل دوناهو) التلفزيوني في عام ١٩٨١ لمناقشة هذه الاحتياجات الانفعالية وقد تجاوب معهم حوالي خمسة عشر الف شخص من انحاء مختلفة من الدول مؤيدين ما يواجه الاطفال المتفوقين وأسرهم من اهمال كبير وعدم فهم وانتشار للخرافات.

من ناحية أخرى إن رئيسة المؤسسة الوطنية للاطفال المتفوقين (Nagc) والتي ظهرت ايضا في البرنامج دأبت على دعم هذه الرسائل وقد وضعت عام ١٩٨١ مؤسسة تدعى بمؤسسة «ايجيرت» في جامعة «رايت» في ولاية «اوهايو» الاميركية بمساعدة مدرسة العلوم السيكولوجية برنامجاً لدعم هؤلاء الاطفال المتفوقين وعائلاتهم.

ونتيجة لاهتمام «جويس جنتيون» (التي ظهرت ايضا في هذا البرنامج) ذهبت معظم هذه الرسائل الى رئاسة الجمعية الوطنية للاطفال المتفوقين عقليا، كما انها اجابت عليها. وما زالت مس جنتيون وهي المديرية الادارية للجمعية تقدم النصائح والدعم الكبير لبرامجنا.

ولقد بدأنا في وقت مبكر من عام ١٩٨١ في تنفيذ برنامج متواضع لمواجهة بعض الحاجات الانفعالية للاطفال المتفوقين واسرهم، ولقد قدمت مؤسسة «دالاس ايجيرت» المعونة،

وهي مؤسسة أنشأتها اسرة «اييجيرت في جامعة رايت» في دايتون بولاية «اوهايو»، كما ساهمت فيه كلية علوم النفس المهني بنفس الجامعة، وكان لهذه الكلية فضل افتتاح المشروع وبدء جهوده. وتم اعداد برنامج بالتعاون مع هيئة المجتمع.

ما الذي قمنا بعمله؟ إن احد مظاهر البرنامج يتضمن تقويما رسميا للتواحي العقلية والشخصية وعلاجا مكثفا يقوم به النفسيون بكلية علم النفس المهني بجامعة «رايت» عن طريق الاستشارة الفردية مع الاطفال المتفوقين وافراد عائلاتهم.

وهناك جانب اخر من البرنامج يتعلق بتقديم الاستشارة الفردية عن طريق ورش العمل للنفسيين والمعلمين وغيرهم من المهنيين. ولقد استجبنا للعديد من الاستفسارات التي ارسلها من انحاء البلاد المختلفة مهنيون يسعون الى الحصول على معونتنا في كيفية رعاية النمو الانفعالي للاطفال المتفوقين واسرهم. ولقد اتضح من ذلك ان المهنيين يتقصهم التدريب اللازم في هذا الموضوع. وبدا التركيز في المقام الاول على التعامل مباشرة مع مجموعة من العائلات في مناقشات جماعية تنور حول سلسلة من الموضوعات عددها عشرة، وهذه الموضوعات هي من أهم ما يتعلق بالطفل المتفوق ومن يحيطون به. و يعالج كل موضوع... على حدة المعلومات الاساسية المتعلقة بالموضوع مع اعطاء العناصر الاساسية له حتى تكون معيننا للاهل على مشاركة الاخرين في المناقشة وابداء الملاحظات حتى يمكن ان يستفيدوا تماما من البرنامج، وهذا يساعدهم على المشاركة في الافكار والتجاوب والتعلم من بعضهم البعض، و يعلمون كيف يشجعون ويقدرّون الاطفال المتفوقين، بحيث يكونون قادرين على توقع المشاكل قبل وقوعها، ذلك ان ابوة الاطفال المتفوقين تتطلب مهارات لا تتوفر للكثيرين.

ان الابوة بشكل عام تتطلب مهارات لا توجد لدى كثير من الناس ولكن ابوة الاطفال المتفوقين تتطلب ضعف هذه المهارات. كما قال احد هؤلاء الاباء «ان الاطفال المتفوقين لا يغيرون مجرى حياة الانسان فقط ولكنهم يقضون على حياته كلية» اي انهم يصبحون الشغل الشاغل لهؤلاء الاباء.

ولقد تعلمنا كثيرا من مجلس الاباء الجماعي ومن عائلات الاطفال المتفوقين بقدر ما تعلموا من برنامجنا هذا، فقد شاركونا ودعموا مواقعنا بكل شجاعة لكي نكون سندا لهذا الطفل بدلا من ان نقف حجرة عشرة في طريق نموه، وكانت ملاحظات الاهل عن احتياجاتهم الشخصية مصدرا ساعدنا على نشر هذا الكتاب ليكون المعين لكل من له اهتمامات بهؤلاء الاطفال.

واملنا كبير بان يشجع هذا الكتاب على قيام مجموعات عائلية تكون بمثابة الدعامة الهامة لأي برنامج يختم هذا الغرض. فاذا لم تتوفر مثل هذه البرامج لخدمة الطفل فانه سوف يكون صعبا على الاهل تقديم الرعاية الواجبة .

وينقسم هذا الكتاب الى ثلاثة اقسام: — القسم الاول ويحتوي على فصل واحد يعالج بصورة عامة الاطفال المتفوقين من الناحية التقليدية، فعندما تم كشف بعض تصرفات الاطفال المتفوقين اتضح انهم يختلفون عن الاطفال العاديين. لذلك وضع برنامج لتوعية الاهل لتوجيه هؤلاء الاطفال ورعايتهم لينالوا احترام النفس وتقديرها والتعرف الذاتي على النفس الذي سيكون بمثابة الوقاية لهم مما سيواجهونه من وطأة الحياة.

والقسم الثاني من الكتاب ويحتوي على الفصول من الثاني الى الثاني عشر يركز على الصفات المميزة والمشكلات المتكررة واقتراحات دقيقة لتعديل السلوك ومحاولة تقوية قدرات هؤلاء الاطفال والتطلع للامور من وجهة نظر عائلية.

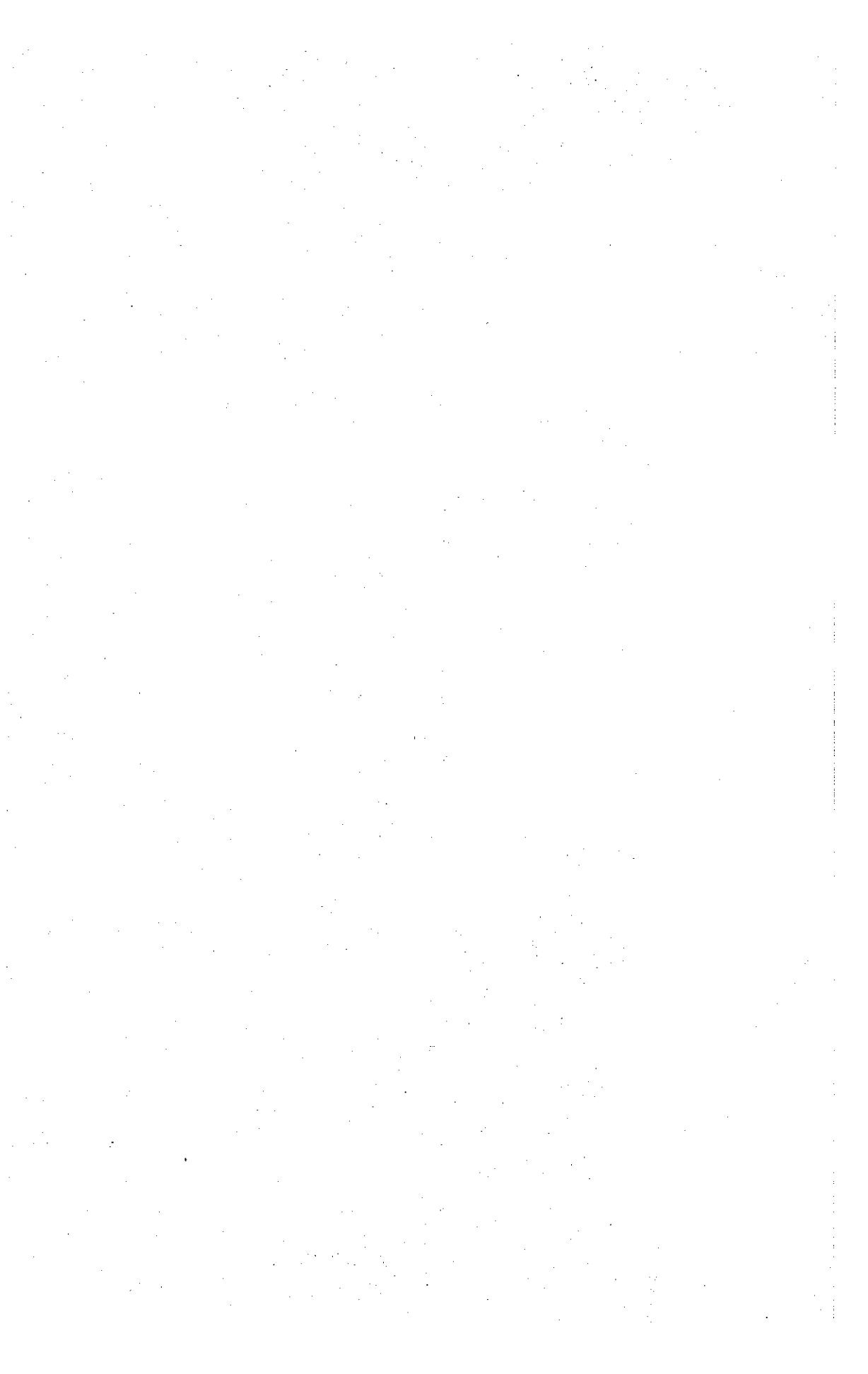
اما القسم الثالث و يتضمن الفصل الثالث عشر، فيقدم رسالة مفتوحة من والدة احدي هؤلاء الاطفال المتفوقين وفيها نظرة واقعية لكل التجارب الحلوة والمريرة التي يمر بها الاهل وكثير من القيم الملموسة التي سترها في بداية الكتاب.

ونرجوان يجد القارىء في هذا الكتاب فائدة لأننا حاولنا ان نكون علميين بقدر الامكان بعيدين عن النظرية. وفي اعتقادنا ان هناك نقصا كبيرا في الموارد المناسبة التي توفر لنا الاقتراحات المناسبة لتطبيقها من خلال التجارب على هؤلاء الاطفال. ولقد حاولنا بطريقة علمية الاجابة على سؤال طالما تردد في خواطر الاهل عندما يكتشفون ان لديهم طفلا متفوقا. هذا السؤال هو (ماذا نفعل الآن)؟.

واذا كان لديك الجواب عزيزي القارىء، فنرجوان تفيدنا لأن هدفنا الاول ليس فقط تحصيل المعرفة الشاملة بل الوصول الى تفهم اعمق للاطفال المتفوقين ومن حولهم ييسر لهم الوصول الى اسمى درجات الوجود في هذا العالم.

«هناك فرق كبير بين المعرفة وفهم الشيء، فقد نعرف الكثير عن شيء ما من غير ان نفهمه».

«شارلس ف. كاتيرينغ»



الفصل الأول

ان الاطفال المتفوقين كالبراعم تحتاج الى من يسندها ويساعدها على النمو الطبيعي بدلا من الوقوف امامها كسدّ منيع يضع لها المقاييس الزائفة التي تحكم غوها.

هل لدينا مشكلة تتعلق بالاطفال المتفوقين أم لا؟

ان تفكير الاطفال المتفوقين يختلف عن غيرهم من الاطفال العاديين، وهذا يدهشنا ويفرحنا احيانا ولكن في اغلب الاحيان يتسبب هذا الاختلاف في خلق بعض المشكلات.

وكثيرا ما ادى نظامنا التعليمي الى التأكيد على التوسط في المقدرة وذلك باستثناء المتفوقين الرياضيين واخذنا ندفع الاطفال في سن الروضة نحو تعديل سلوكهم ونهزم العقلي حتى يقترب من متوسط الجماعة. وفي مثل هذا المجتمع فان الطفل المتفوق عقليا سيكون حبيس التقاليد وسيعيش في عالم خارج عن هذا الواقع، عالم قد يكون قاسيا على الطفل المتفوق. لذلك نجد ان الخدمات المتوفرة للاطفال الموهوبين والمتفوقين قليلة جدا والاعلانات المقدمة من المؤسسات والحكومة تكاد تكون معدومة مع ان تشجيع الدولة للرياضيين يلقي اهتماما وافرا. فقد صرفت الدولة مبالغ كبيرة من سنة ١٩٧٥ - ١٩٨٠ لإعانة الموهوبين بمقدار مائتي مرة اكثر من اعانة او مساعدة الاطفال المتفوقين عقليا.

وقد ظهر في تقرير سنة ١٩٧٩ للميزانية الفيدرالية تخصيص مقدار الف دولار لكل طفل امريكي عاجز عن التعلم مقابل دولارين واثنين واربعين سنتا لكل طفل متفوق، او بمعنى اخر تخصيص بليون دولار لعشرة ملايين من العاجزين عن التعليم مقابل أقل من سبعة ملايين دولار للمليونين وستة من عشرة طفلا موهوبا ومتفوقا.

وبالرغم من صغر هذه الخدمات فانها غالباً لاتصل لمجموعة كبيرة من الاطفال
الموهوبين وخصوصاً الذين يعيشون في مناطق متخلفة وفقيرة لا يجدون من يوفر لهم الفرص لأظهار
مواهبهم.

ان عدم التفهم وعدم اعطاء الفرص لهؤلاء الاطفال تجعل المجتمع مسئولاً عن اهمال
احتياجاتهم النفسية والانفعالية ولقد اشار تقرير مارلاندر (١٩٧٢) لوزارة التربية الامريكية الى
ان الاطفال الموهوبين والمتفوقين هم في الواقع محرومون ويمكن ان يعانون من الدمار النفسي
والتعطل الدائم لقدراتهم.

وفي هذا الفصل سوف نضع برنامجاً مفصلاً لاحتياجات هؤلاء الاطفال الانفعالية
وطرق استغلال قدراتهم لأظهار الصفات الايجابية التي يتمتعون بها. كما سنبين أن هناك طرقاً
لأستخدام قدراتهم الخاصة حتى يستطيعوا اشباع حاجاتهم، وسنؤكد دور الاسرة ككل، اذ
لا يمكن لنا فهم الصحة الانفعالية للطفل كوحدة منفصلة عن عائلته، كذلك لاتستطيع الاسرة
ان تتعايش من غير ان تفهم مشاكل اطفالها واحتياجاتهم النفسية.

تعريف التفوق العقلي

من هو الطفل المتفوق عقلياً وهل هناك اكثر من نوع من التفوق؟ وهل التفوق
والعبقرية شيء واحد؟ وهل لكل الاطفال المتفوقين نفس المقدرة العقلية؟ وما هي معايير تعريف
التفوق العقلي؟ وما هي الصفات المميزة له؟ هل الموهبة تعني ان طفلاً ما يفكر بسرعة اكثر من
غيره او ان نوعية تفكيره تختلف؟ هل الموهبة والتفوق العقلي شيء واحد؟

كل هذه الاسئلة توضح صعوبة مانعنيه بالضبط بمفهوم التفوق العقلي. فقد خلص تقرير
«مارلاندر» وبعد دراسة مسهبة للموضوع الى وجود ست مجموعات للاطفال المتفوقين والموهوبين
يمكن التعرف عليها وكل مجموعة تتضمن اطفالاً قادرين على الاداء الفائق في مجال ما. وهؤلاء
الاطفال هم من اظهروا انجازات اولديهم قدرات في اي من المجالات الاتية:-

- (١) قدرة عقلية عامة.
- (٢) استعداد دراسي خاص.
- (٣) تفكير ابتكاري او انتاجي.
- (٤) قدرة على القيادة.
- (٥) فنون مرئية او مسرحية.
- (٦) قدرة نفسية حركية.

ومع ان القدرة النفسية الحركية (الرياضة البدنية مثلا) قد استبعدت الان الا ان بقية هذه الاسس تفتح المجال الكبير امام هؤلاء الاطفال لكي يظهروا قدراتهم بعيدا كل البعد عن التركيز على مجرد الذكاء او القدرة العقلية.

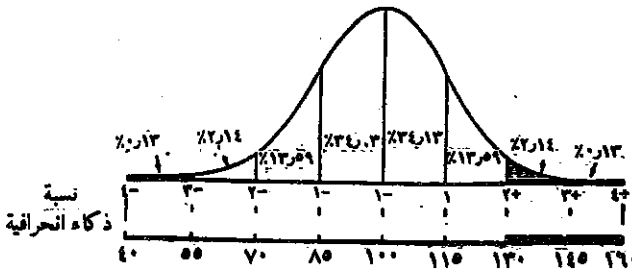
ولكن عندما ننظر الى برامج الاطفال المتفوقين نراها تركز تركيزا كبيرا على القدرة العقلية والانجازات الاكاديمية. فنرى الاطفال الذين لديهم مواهب فنية او موسيقية يهتمون لدرجة انهم قد يصبحون في عداد النسيان. ولو ان الفرصة اتاحت لهؤلاء الاطفال لأثبتوا أن لديهم الكثير من العطاء.

ويشكل الاطفال المتفوقون حوالي اثنين ونصف الى ثلاثة بالمائة من عدد السكان، ولكن ذلك لا يعني بان اثنين او ثلاثة من كل مائة شخص هم عباقرة. انهم اطفال متفوقون وقد يكون جزء قليل منهم عباقرة.

ويوضح الشكل رقم (١) توزيع القدرة العقلية كما يقيسها اختبار الذكاء. ورغم ان الذكاء لا يعتبر المقياس الوحيد للاطفال المتفوقين الا اننا استخدمنا نسبة الذكاء لتفسير هذه

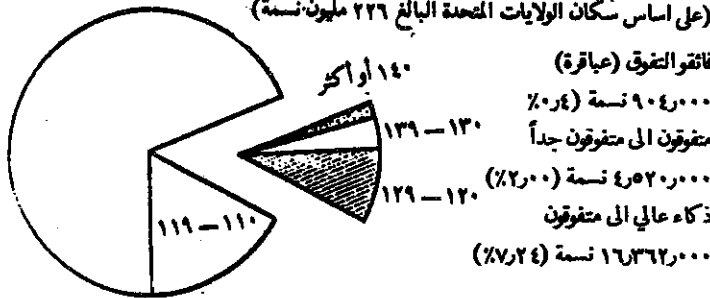
النقاط

شكل ١ توزيع نسبة الذكاء



شكل ٢ عدد المتفوقين

(على اساس سكان الولايات المتحدة البالغ ٢٢٦ مليون نسمة)



فائقو التفوق (عباقرة)

٩٠٤٠٠٠ نسمة (٠.٤%)

متفوقون الى متفوقون جداً

٤٠٥٢٠٠٠ نسمة (٢٠%)

ذكاء عالي الى متفوقون

١٦٣٦٢٠٠٠ نسمة (٧٢.٤%)

نسبة المتفوقين تفوق عاليا الى المجتمع:

١ من ٢٦٠ فردا تصل نسبة ذكائهم الى ١٤٠ أو أكثر.

١ من ٢٣٣٠ فردا تصل نسبة ذكائهم الى ١٥٠ أو أكثر.

١ من ٣١٥٦٠ فردا تصل نسبة ذكائهم الى ١٦٠ أو أكثر.

١ من ٦٥٢٦٠٠ فرد تصل نسبة ذكائهم الى ١٧٠ أو أكثر.

١ من ٢٠٠٠٠٠٠ فرد تصل نسبة ذكائهم الى ١٨٠ أو أكثر.

سريعوا التعلم أو متوسط ذكاء مرتفع

٣٥٧٠٨٠٠٠ من السكان (١٥.٨%)

ان معدل الذكاء عند الانسان العادي ١٠٠ والمساحة المظللة من اقصى اليمين تمثل النسبة التي تستخدم غالبا لتعريف المتفوق ورغم ان نسبة ذكاء ١٣٠ تستخدم عادة كالدرجة المحددة، الا ان كثيرا من المهنيين يستخدمون نسبة اخرى مثل ١٢٥ بالاضافة الى مؤشرات اخرى للدلالة على الموهبة او القدرة الابتكارية.

والسؤال الذي يواجهنا الان هو مامدى اختلاف هؤلاء الاطفال سواء كانوا عباقرة او متفوقين عن عامة الشعب؟

واذا وصفنا نسبة الذكاء بطريقة اخرى فيمكن ان توضح لنا جانبا جديدا في هذا المجال. ان متوسط ذكاء خريج الجامعة هو ١٢٠ ومعدل الذكاء عند العلماء والمديرين والاطباء هو ١٣٠ ولكن اذا نظرنا الى هؤلاء في الحقيقة نجد ان حوالي نصفهم يقل ذكاؤه عن ١٣٠ درجة حسب تقرير «كرونباخ»، وأي شخص بنسبة ذكاء يزيد على ١٣٠ قادر على النجاح في اي عمل او مهنة تسند اليه. وكما يبين الشكل رقم (١) فإن أعلى نسبة ذكاء يقيسها اختبار الذكاء تبلغ ١٤٥ الى ١٦٠ ولكن هناك اشخاصاً يصل معدل ذكائهم من ١٦٠ الى ١٨٠ او حتى مائتين ذلك أنه ليس للذكاء حدود، ولا طريقة لمعرفته بالتحديد. ولكن المعروف ان كل من لديه قدرة عقلية تصل من ١٦٠ الى ٢٠٠ يعتبر عبقرياً.

كم عدد المتفوقين عقليا؟

يوضح الشكل رقم (٢) عدد المتفوقين عقليا من الامريكيين بالنسبة لعدد سكان امريكا الذي يصل الى ٢٢٦ مليون نسمة ومنه يتبين أن حوالي خمسة ملايين امريكي يعتبرون متفوقين ولكن هناك اقل من مليون يعتبرون بالغى التفوق. وعدد المتفوقين عندما تصل قدرته العقلية (نسبة الذكاء) إلى ١٤٠ يكون قليلا و ينقص كلما ارتفع معدل الذكاء عن ١٤٠ فحوالي ٧٢٠٠ فقط تزيد نسبة ذكائهم على ١٦٠ واقل من مائة وعشرين تبلغ نسبة ذكائهم ١٨٠ او اكثر. وهذا يعد نادرا جدا.

والمخوقون عقليا مجموعة غير متجانسة، فالحد الأدنى للتفوق هو نسبة ذكاء ١٣٠، والحد الأعلى ٢٠٠ أي بفارق يبلغ ٧٠ درجة. في حين أن هناك فرقا يبلغ ٤٥ درجة فقط بين بطيء التعلم (نسبة ذكاء ٨٥) والمتفوق عقليا الذي لديه نسبة ذكاء ١٣٠ كذلك نجد ان ثلثي سكان

العالم لديهم نسبة ذكاء من ٩٠ الى ١١٠ بفارق ٢٠ نقطة فقط . ولذلك من الخطأ الاعتقاد بتشابه المتفوقين فبالرغم من ان الموهوبين جدا اقلية لكن مقدراتهم واسعة بشكل اكثر من المتفوقين الذين نقابلهم عادة والذين تتراوح نسبة ذكائهم بين ١٣٠ و ١٤٠.

كيف نتعرف على الاطفال المتفوقين عقليا؟

تعتبر نسبة الذكاء واحدة من الطرق للتعرف على الاطفال المتفوقين ولكن هناك طرقا عديدة اخرى للتعرف عليهم منها التحصيل الدراسي والقدرة الابتكارية وتقدير المدرسين والاهل . وقد تكون نسبة ذكاء الطفل اقل بكثير من ١٣٠ درجة ولكنه موهوب فعلا في نواح اخرى . لذلك يجب ان لانهتم اعتمادا كلياً على نسبة الذكاء لأنها تختلف من طفل لآخر حسب ظروفه وقت الاختبار . فقد تكون لديه اسباب عديدة تمنعه من ان يظهر جميع قدراته في وقت الاختبار . فالطفل الجائع او العصبي المحتد المزاج لن يبدع كالطفل الهادىء والمستعد نفسياً .

وقد اثبتت البحوث كذلك ان الاطفال المتفوقين يختلفون بالنسبة لاختلاف استعماهم لأي جزء من الدماغ سواء كان ذلك الجانب اليمين او الجانب اليسر . ورغم نواحي القصور في اختبارات الذكاء والابتكار الا انها تعتبر وسائل مفيدة ومهمة للمقارنة بين طفل واخر من نفس مجموعة العمر . وهذه المقارنة تحصل في كل فصل عندما يبدأ المدرس في تنمية قدرة الطفل على التعليم من خلال الملاحظة وتقدير الدرجات . ومن الصعب ان يكون عند المدرسين او الاباء المقدرة للحكم الحقيقي على الاطفال فنرى ان المدرسين لم يستطيعوا التعرف على اكثر من نصف الاطفال المتفوقين الذين تمكنوا من التعرف عليهم من خلال اختبارات الذكاء الفردية .

و يبدو ان التعرف على الطفل المتفوق عقلياً بالطريقة التقليدية في الحكم على مقدرته العقلية في المدارس من خلال احتكاكه مع المجموعة أثبت فشله لأن الطفل يكون احياناً ممتعا عن اظهار موهبته امام الجميع . بالاضافة الى أن فشل وعدم اهتمام المهنيين بالكشف عن التفوق ادى الى انخفاض نسبة التعرف على الاطفال المتفوقين في المدارس .

ولقد اظهرت احدي الاحصائيات ان حوالي ٧٥% من المشتغلين في المدارس الامريكية ليس لديهم اطفال متفوقون ومن خلال هذه الاحصائية نفسها ظهر ان ثلثي هؤلاء الاطفال

عندما اكتشفوا لم يعطوا الفرصة لإثبات موهبتهم بينما الثلثان الاخران حظيا على قليل من المساعدة غير الفعلية.

ان اول من يكتشف المتفوق هم الآباء لأنهم يلمسون بعض الخصائص عند الطفل في الاعوام الاولى من عمره عندما يقارنونه باطفال اخرين في مثل سنه. فهناك أم تعرفت على موهبة ابنتها من خلال اسئلتها الذكية والكثيرة واخرى اكتشفت ابنتها من طريققتها في التفكير وحسها الفكاهي المبكر.

ورغم أن معدل نمو الطفل يختلف من واحد لآخر ويجعل المقارنة صعبة الا ان هناك معدلات عامة يمكن بها مقارنة الاطفال ببعضهم. ورغم إن شعور الفخر والاعتزاز بالابناء قد يجعل الاهل يعتقدون ان ابناهم متفوقون إلا أن هذا الشعور يجب أن يصحبه شعور بالمسؤولية واحساس صادق بقدرة الطفل حتى يساعده هذا على النمو الطبيعي.

التفوق الذي لا يزدهر

عندما يكتشف الاباء بان لديهم طفلا او اكثر من المتفوقين فمعنى هذا ان هذا الطفل سيكون مسؤولا وذا قيمة في المجتمع كالطبيب والعالم والفنان والمحامي. ولكن هذا بعيد عن الواقع تماما. فهناك احصائيات (اظهرت ان عطاء اغلب الاطفال المتفوقين اقل بكثير من قدراتهم العقلية. والاعتقاد بأن الطفل الموهوب يستطيع أن يشق طريقه بنفسه بدأ يتلاشى تماما لأنه في سنة ١٩٧٥ وطبقا لتقرير ليموف تبين أن اكثر من ثلاثين بالمائة من التلاميذ المتسررين الذين لم يكملوا دراستهم الثانوية، تزيد نسبة ذكائهم على ١٣٥. وقد اظهرت دراسات اخرى ان كثيرا من الاطفال المتفوقين كانوا من المتأخرين دراسيا. كما ظهر أن نسبة من هؤلاء المتفوقين يعانون من مشاكل نفسية تصل بهم احيانا الى الانتحار.

والسؤال المحير هو ما الذي يجعل الاطفال المتفوقين يفشلون ولماذا ينتحر آخرون؟ لماذا لا يستطيع الطفل المتفوق أن يجزل العطاء بقدر ما لديه من قدرات. هل يمكن ان تكون مقدرة الطفل العقلية سبب مشاكله ومشاكل اهله؟ هذا ما سنتحدث عنه فيما بعد.

الزيادة ليست بالضرورة افضل:

هناك اعتقاد سائد في اوائل القرن العشرين ان الطفل الذي ينضج في سن مبكرة يتوارى ويموت في سن مبكرة. ومعنى ذلك ان الطفل يتحول في سن ما بعد المراهقة الى ما يسمى بغباء المراهقة. وقد حل محل هذا التقويم السطحي البسيط معتقدات خاطئة حديثة مثل تلك التي نراها في الجدول التالي.

جدول رقم (١)

بعض الخرافات التي يحكم بها على الاطفال المتفوقين. خرافات في تفكير الرأي العام

خرافات تتعلق بالرأي العام

- (١) كل شيء يسير حسب ما يريدون.
- (٢) يستطيعون النجاح من غير مساعدة احد.
- (٣) ان قدراتهم الخاصة دائما تلقى التشجيع من ذويهم.
- (٤) يجب ان نقدر هؤلاء الاطفال لقدرتهم العقلية فحسب.
- (٥) انهم اكثر اتزاناً ونضوجاً من الناحية الانفعالية.
- (٦) جاءتهم هذه الموهبة نعمة من حيث لا يعرفون ولا يريدون.
- (٧) أنهم بطبيعتهم يحبون الوحدة ومنعزلون اجتماعياً.

خرافات بين الآباء والمربين

- (١) انهم لا يحسون باختلافهم اذا استرعى احد انتباههم الى ذلك.
- (٢) انهم مستعدون لإظهار تفوقهم.
- (٣) يجب أن يركز على تفوقهم قبل اي شيء اخر.
- (٤) يحتاجون الى منافسات مستمرة من جانب الاخرين اذا اردنا اظهار قدراتهم التحصيلية.
- (٥) يحتاجون الى الضبط أكثر من الاطفال العاديين.
- (٦) يجب ان يحسوا بمسئولية أكبر اتجاه الاخرين.
- (٧) يجب هؤلاء الاطفال ان يكونوا مثالا يقتدى به الاطفال الاخرون.

ومن هنا نجد لسوء الحظ أن معظم الاهل والمربين قد تأثروا بهذه الخرافات ودون أن يدركوا أن سلوكهم قد تأثر بها. كما أن شعور اللامبالاة بهؤلاء الاطفال وقف حجر عثرة في طريق تقدمهم. فهم يعتقدون ان هؤلاء الاطفال لاخوف عليهم لأنهم قادرون على ايجاد طريقهم بأنفسهم وأنهم لاينقصهم الا القليل من التنافس لكي يثبتوا مقدرتهم. فوضعهم الذي يحسدون عليه يجعل هؤلاء المربين ينظرون اليهم وكأنهم يملكون كل شيء.

والعكس في هذه الحالة صحيح، فأغلب الاطفال المتفوقين لايملكون القدرة على ايجاد طريقهم الصحيح بأنفسهم. فهم يحتاجون مساعدة أكثر لكي يبدعوا ويظهروا قدراتهم. وهذه المساعدة لا تقتصر على تشجيعهم في دراستهم فقط بل يحتاجون الى الكثير من التفهم والمساعدة العاطفية والتأييد التام والتشجيع. وحتى في الدراسات المشهورة مثل دراسات ترمان، نلاحظ أهمال المتأخرين دراسيا. وقد بينت الدراسات التقنية ان ٢٠% من هؤلاء الاطفال لديهم مشاكل نفسية وانفعالية. ولقد ظهر تأخرهم الدراسي ومشكلاتهم الانفعالية رغم ان وسائل ترمان في الحصول على العينة والتعرف على المتفوقين ساعدت على استبعاد الاطفال ذوي المشكلات. وقد قام المدرسون باختبار معظم الاطفال في دراسة ترمان ثم طبقت عليهم اختبارات عديدة جمية كان يجب ان يحصلوا فيها على درجات عالية إلا أن الاختبارات تميل لتفضيل الطفل القادر والراغب في اظهار تفوقه، ولذلك استبعد الاطفال الذين لن يستطيعوا ان يتجاوزوا مع اعمال الصف او كان لديهم طريقة غريبة في التعبير عن انفسهم نتيجة لبعض المشاكل الانفعالية التي يعانون منها مع أنهم كانوا يعتبرون من الاطفال المتفوقين.

هل يقدر المجتمع الامريكي التفوق؟

ربما يكون ذلك في بعض الاحيان وفي الوقت المناسب، ولكن ثقافة الشعب الامريكي مبنية على تدعيم وتقوية الاعتدال والتكيف. فما حظ مجتمعاتنا العربية في ذلك؟

ان الاهتمام في مجتمعاتنا العربية مركز على تعليم الاشخاص حفظ المعلومات بطريقة أقرب إلى الجمود وأن مشاكل الإنسان الحياتية غالبا ماتبسط وتوضع لها الحلول المرضية من خلال شبكات الدعاية والتلفزيون. ونلاحظ كذلك ان المجتمع الأمريكي لا يقدر المهبة العقلية

ولا يبحث على انماء المواهب العقلية المتنوعة الخلاقة لذلك نجد تركيز الإنسان منصباً على تقوية مقدراته الفضلية ومهاراته الاجتماعية ولكنه نادراً ما يطور قدراته العقلية.

وأن دل ذلك على شيء فأنا يدلنا على طبيعة الحضارة الأمريكية. ففي عام ١٩٧٩ أعدت اقل من ٣٠ جامعة برامج خاصة لدراسة الاطفال المتفوقين عقليا. كما ان المدارس كانت تخدم فقط مقدار - المجموعة المتفوقة بتقديم برامج رسمية لهم كما وان المدرسين غير مؤهلين لتدريس هؤلاء الاطفال. ومن ناحية أخرى فاذا وجد البرنامج الذي يخدم هؤلاء الاطفال فانه يركز عادة على الطريقة التقليدية في تقديم الحقائق المجردة.

وقليل من هذه البرامج يشجع حب الاستطلاع والشغف على التعلم واغلبها يركز على التقليدية ولا يعطي الفرصة للتعرف على حقيقة النفس والمقدرة على الارتباط ذهنيا مع الاخرين، وفهمهم ومراعاة مشاعرهم وفي نفس الوقت ايجاد المقدرة الايجابية لفهم النفس. وهل يستفيد الانسان من كل هذه المعرفة البحتة والنظرية اذا كانت لديه مشاكل نفسية تجعله غير لائق اجتماعيا يقضي حياته في تعاسة فردية تامة. والسؤال المهم الذي لا بد ان نبحث عنه هو كيف واين يجد الاطفال المتفوقين القيمة العاطفية لوجودهم.

من هم هؤلاء الاطفال المتفوقون؟ انهم افراد يرون العالم في طابع غير تقليدي. أنهم مفكرون مختلفون عن غيرهم من الاطفال في عواطفهم ومعاملاتهم ووجهة نظرهم. انهم يرون العالم بمنظار يختلف تماما عن المنظار الذي يرى فيه الطفل العادي هذه الدنيا. فيقال ان الطفل الموهوب يرى العالم خلال ميكروسكوب اليكتروني بالنسبة للعين المجردة لأن الاطفال المتفوقين يرون ما لا يراه الآخرون ولا يستطيعون تخيله.

مثال على ذلك ان مدرسة سألت احد الاطفال ما العدد الذي نقسمه على (٢) من بين الاعداد ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ حتى يعطي رقما صحيحا. فجاء الجواب كل هذه الاعداد، وهذا دليل على ان تفكير هذا الطفل لم يهتم بالمفهوم الحسابي ولكنه نظر اليه من مفهومه الخاص كتقسيم قطعة من حلوى او قطعة فاكهة بين الاصدقاء.

وبالنسبة للطفل المتفوق فإن ما يدور في ذهنه من اخطاء وخبرات اهم بكثير مما يدور حوله وهو يتوقع من الاخرين مشاركته هذه الخبرات والشغف بالحياة. لذلك نرى اغلب الاطفال المتفوقين عقليا يتخيلون أصدقاء وهميين في مرحلة ما قبل المدرسة لأنهم يريدون هذا

الاندماج مع شخص يطابقهم في الاهتمامات، لذلك يتعجب الطفل المتفوق عندما يراه الناس بطريقة تختلف عما يرى هو فيها نفسه، وهو يتوقع من الجميع ان يفهموه و يعاملوه بالطريقة التي يتوقعها هو.

كذلك نرى ان الاطفال المتفوقين يفعلون الأشياء بطريقة تختلف عن الاطفال العاديين حتى تتناسب مع شخصياتهم فهم يرون حلولاً عديدة وطرقاً متعرجة لحل مشكلة ما، مثال ذلك عندما طلبت الأم من طفلتها البالغة من العمر سنتين أن تأخذ قسطاً من الراحة بعد الغذاء حتى الساعة الثالثة فلم تتأخر الطفلة في تحريك عقارب الساعة حتى الثالثة لتتفادى وضعا لا تجده مرغوباً لديها.

وبالرغم من مقدرة هؤلاء الاطفال على تفهم طرق عديدة لحل مشكلة واحدة ما زالت خبراتهم المحدودة تمنعهم من الحكم الصحيح. فقد يقومون بتجارب كثيرة بعضها ممكن ان يكون مسلياً والآخر قد تكون نتيجته سيئة للغاية. فقد اقنع احد الاطفال أخاه بالقفز من النافذة لكي يثبت تجربة معينة دالاً بذلك على عدم مقدرة الطفل على تقدير العواقب المترتبة على هذه العملية. فهؤلاء الاطفال سرعان ما يجيلون الصف الهادىء الى منطقة صاخبة او يجيلون المنزل الى جحيم وتحاول الأم ان تهرب منه الى ابعد مكان.

ان هؤلاء الاطفال بقدراتهم العقلية العظيمة وطاقاتهم البشرية غير المحدودة يحتاجون الى ساعات قليلة من النوم لذلك فان طاقتهم هذه قد لا يتحملها افراد العائلة الاخرون. فنرى ان الوالدين في الغالب يصران على أن يأخذ الاطفال قسطاً من الراحة خلال اليوم حتى يتسنى لهما ان يستريحوا.

والخطأ الشائع في مثل هذه الحالات هو عندما يسيء الاهل او الاطباء فهم طاقات هؤلاء الاطفال فيعتقدون أن اطفالهم زائدو النشاط و يضعونهم تحت العلاج ولو حاول هؤلاء الاطباء ملاحظة الاطفال المتفوقين وقارنوهم بالأطفال الذين يسمون زائدي النشاط لوجدوا ان الطفل المتفوق لديه المقدرة على التركيز وانجاز مهام محدودة بينما الطفل زائد النشاط لا يركز، وانجازاته تكون بطريقة تقليدية مكررة.

من هنا تبدأ مشكلة المدرسة وكرهية الطفل لها لأن المدرسة تحاول ان تضع هذا الطفل في قالب تقليدي من غير اعتبار لاختلافه عن الاخرين. فأغلب هؤلاء الاطفال يستقبلون المدرسة بحماسة بالغة ولكن سرعان ما يواجهون الكثير من المصاعب. ومثال ذلك أن طفلة في السنة

الثانية الابتدائية ذهبت ذات صباح الى المدرسة نصف ساعة قبل موعد الدراسة لكي تقوم بانجاز بعض المشاريع قبل ان تزدحم عليها الافكار والخيلات التي ستقوم بها خلال اليوم. ولكن هذا الحماس مالبث ان توقف عندما صادفت الصد والتعنيف من مدرستها.

ان بعض هؤلاء الاطفال ينجزون اعمالهم المدرسية خلال نصف الوقت ويبقى النصف الاخر شاغرا لاعمل لهم فيه. ومن أهم طرق حل هذه المشكلة هو انتقاهم من صف الى صف اخر متقدم عنهم، اذا كان هذا النظام يتوافق مع سياسة المدرسة. وفي هذا الوقت الفائض يحاول الاطفال المتفوقون الاستفادة منه بشتى الطرق، فهم يحاولون مساعدة غيرهم من الاطفال أو حتى مساعدة مدرسهم ولكن هذا عادة لا يجلب لهم رضا الاخرين.

و يشعر بعض الاطفال المتفوقين بعدم رضا المدرسين فيحاولون الا يظهروا انفسهم بذلك المظهر لا يشغلون انفسهم بشتى الطرق كعد أسنانهم او تعليم انفسهم الكتابة عكسيا، بينما تشرح المدرسة الدرس. وهناك البعض الذي يكون غارقا في احلام اليقظة.

و يرى المعلم ان وجود طفل واحد متفوق في فصل مكون من ثمانية وعشرين طفلا مشكلة كبيرة، والمشكلة الاكبر هو وجود هذا الطفل المتفوق قبل ان يكتشفه احد. ان قليلا من المدرسين يجدون الوقت الكافي والاهتمام اللائق لتوجيه هؤلاء الاطفال الموهوبين.

وقد يكون من الصعب على الكبار التعرف على هؤلاء الاطفال الموهوبين ولكنهم يتعرفون على بعضهم البعض بسهولة في سن مبكرة لوجود نوع من الجاذبية والتفاهم المتبادل. وقد تكون المشكلة هنا هو عدم وجود العدد الكافي من الاطفال المتفوقين في المناطق المجاورة وخصوصا مناطق الطبقات الفقيرة. فعندما لا يجد الطفل مثيلا له يحس بانه شاذ عن اقرانه وحتى في فترة ما قبل المدرسة قد يحس هذا الاحساس ويحاول ان ينفرد بنفسه. ومن سوء الحظ فان هذا الطفل في ذلك العمر لا يستطيع استيعاب فكرة كونه مختلفا عن الاخرين وقد يعتبر اختلافه هذا نقصا في شخصيته.

من هو قرين الطفل المتفوق عقليا؟

ان علاقة الطفل الموهوب مع غيره من الاطفال في نفس سنه علاقة صعبة لأن اهتماماته ونضوجه العقلي يجعل طريقته في اللعب واختيار الافكار متقدما عن اقرانه وهو دائما

دؤوب على اشباع رغباته للتعلم والتحدي. فنرى ان الطفل الموهوب قد يستمتع بسماع معزوفة لبيتهوفن بينما يصعب ذلك على الطفل العادي في مثل سنه الذي قد يستمتع بمشاهدة عازف مهرج يعزف البيانو بانفه. ولكن هذا لا يعني ان اهتمامات الطفل المتفوق تكون دائما اهتمامات ذات اهمية وقيمة فنية كبيرة في جميع المجالات. فبالرغم من وجود المهارة اليدوية يفتقر الطفل الى المعرفة التي تترتب عليها. لذلك يحتاج الطفل الموهوب الى أكثر من صديق يكمله من كل ناحية. فهو يحتاج صديقاً تتوافر فيه القدرات البدنية واخر العقلية وكذلك صديقاً تتوافر فيه العلاقات الانسانية.

ان مشكلة الطفل الموهوب هو وجود تباين بين قدراته وميوله من ناحية ومهاراته في الأداء لأن صغر سنه يجعله يفتقر للطريقة الصحيحة للأداء. لذلك نجد أن الطفل يتراجع عن علاقاته مع الاخرين وكذلك يحس بان علاقته بنفسه غير طبيعية لأن هناك تناقضا بين ما يحس بانه قادر عليه وما يستطيع تنفيذه. فعندما يكون للطفل موهبة فنية وقدرة على التخيل ويحاول ان ينفذ ذلك على قطعة ورق باستخدام المقص مثلا فان مهارته الحركية لا تساعد على ذلك فيواجهه الاحباط ان لم يجد من يساعده على تنمية هذه الناحية.

وقد ينغمس الطفل المتفوق انغماسا كليا في اهتماماته الى درجة الجمود وتجده غير قادر على فهم عدم اهتمام الاخرين المماثل لهذه الاهتمامات. وتراه في السنين الاولى من عمره يتنقل من موضوع الى آخر ومن اهتمام لآخر حتى يجعل الآخرين يعتقدون بأن هذا الطفل ينقصه الاهتمام والتركيز. ولكن تراه في نفس الوقت يصب جل اهتمامه على موضوع الساعة. ان مقدرة هذا الطفل على النمو والتطور تعتمد على خصائص يولد بها علاوة على اسلوب التعامل مع فضوله في البيت والمدرسة. واذا تقبل الاهل في المنزل والمسئولون في المدرسة هذا الفضول عند الطفل وقليلاً من الفوضى في حياته فان ذلك سيساعد على توسيع افقه الذي سيحتاج الى التوجيه والرعاية فيما بعد.

واذا حصل العكس ولم يعط هذا الطفل التشجيع الكافي فانه سيفضل ان يجد لنفسه اهتمامات غريبة يشغل نفسه بها كنوع من المحافظة على كيانه وعلى نفسه.

ومن المشكلات التي تواجه الطفل الموهوب مشكلة اللغة التي غالبا ما يحسن استعمالها في سنوات عمره الاول ويكون لديه مجموعة كبيرة من المفردات التي يجد نفسه غير قادر على استعمالها مع اقرانه. فنراه يتجه الى مصاحبة الاطفال الاكبر منه سنا او حتى لمصاحبة البالغين

وقد يعطي هذا الاتجاه الطفل شعورا بالرضا والفخر من ان اهتماماته تشبه اهتمامات من هم اكبر منه سنا ولكن في النهاية يعود الى اصدقاء عمره الذين سينظرون له وكأنه يأخذ دور الاب او القائد بالنسبة لهم وطبيعي ان هذا الشعور سيولد لديهم الخرازات.

كذلك نرى ان ارتباط الطفل الموهوب بمن هو اكبر منه سنا يضعه في وضع حرج لأن مقدراته على الحكم ونضوجه لم يتبلورا بقدر معرفته البحتة وفضوله الطبيعي فنراه يحكم على الاشياء من خلال نظرتة البريئة بينما يضع ذلك اهله في موقف حرج، لأن الاهل يغيب عن فكرهم ان هذا الطفل الموهوب مهما كانت مقدراته العقلية فانه مازال طفلا ويجب ان يعامل كطفل. فنرى ان هذا الطفل يصبح متقلبا في تصرفاته فاحيانا يتصرف كإنسان ناضج نستطيع ان نناقشه في مواضيع علمية بحتة كأحتمال قيام حرب نووية وفي لحظة اخرى نراه يلعب لعب الاطفال العادية.

جدول رقم (٢)

يجب وضع الاطفال المتفوقين عند حدهم لأنهم مختلفون ومتقدمون عن غيرهم من الاطفال — مراوغون — يتظاهرون بمعرفة الاجابة عن كل الاسئلة عابثون مياولون للعب، زائدو النشاط — عنيدون غير حساسين اتجاه الاخرين. يتشككون في طريقة معالجة اهاليهم لأي موضوع — عدوانيون غريبو الاطوار — غير اجتماعيين — مغرورون — ولديهم روح التحدي — متسلطون — يحتقرون الناس — يملكهم الانشغال بانفسهم — غير راضين عن عمل الاشياء بالطرق التقليدية — غير منضبطين.

كيف يستجيب الاخرون للاطفال المتفوقين؟

قد يهمل المجتمع هؤلاء الاطفال ولكنهم غالبا يثبتون انفسهم على الصعيد الشخصي، ذلك أن نشاطهم غير العادي وتصرفاتهم المميزة غالبا ماتلقى عدم الاستحسان من اصدقائهم ومعلميهم واقربائهم، ويرون ان هؤلاء الاطفال يجب ان يوقفوا عند حدهم وان تصرفاتهم هذه غير المعقولة يجب ان تردع ليتعلموا كيف يتصرفون كغيرهم من الاطفال والا سيلقون العقاب والتعنيف إلا ان هذا الاسلوب يطفىء في هؤلاء الاطفال تلك الشعلة المضيئة التي لوروعيت بالعطف والحنان والتفهم لأنارت طرقا لهم ولذويهم ولمجتمعهم على السواء.

و يبين الجدول رقم ٢ لماذا يعتقد الاهل ان الاطفال الموهوبين يجب ان يوقفوا عند حددهم، فكل صفة من الصفات في هذا الجدول توحى بمعنى التحدي والنظرة غير السليمة هؤلاء الاطفال. ويمكننا ان نترجم بعض هذه الصفات ترجمة ايجابية، ولكننا للأسف لانفكر بهذه الطريقة في مجتمعاتنا. فالاهل غالبا ما يعاملون الطفل الموهوب بطريقة تجعله يتخلى عن مكانته و يتمنى ان يكون طفلا عاديا معتبرا موهبته سوء طالع له.

وغالبا ما يوبخ الاهل هؤلاء الاطفال ومحاولون بكل طريقة ممكنة اهانتهم والتصغير من شأنهم حتى لا يجسوا بانهم ذو قيمة نادرة في المجتمع. وتقلب هذه الموهبة التي من حقها ان تكون سلاحا لهذا الطفل الى سبب في تعاسته وانطوائه على نفسه وشعوره بعدم الطمأنينة وعدم التكيف مع الاخرين.

الاطفال المتفوقون عقليا مرهقوا الاحساس

ان الاطفال المتفوقين شديدا الحساسية، ليس بالنسبة لغيرهم او بالنسبة لأنفسهم فقط بل وبالنسبة لجميع الاحداث التي تدور حولهم. فنجد الطفل الموهوب يبكي فرحاً لسماع بيتهوفن او ينتشي سعادة لرؤية ضوء يخرج من عدسة منشورية بالوانها الساحرة. كل ذلك دليل على رؤية الاطفال للاشياء، وكيفية احساسهم بهذا الكمال الذي هو جزء من وحدة هذا الكون العظيم. ومثال على ذلك ان طفلا في السادسة من عمره أخير والدته بعد أن مات له فأر كان يربيه بانه قد رأى كثيرا من حالات الموت في عمره حتى انه لا يتحمل رؤية المزيد فموت هذا الفأر وتأثيره المطلق على هذا الطفل جعله يشعر بذلك الاحساس.

ويحس الاطفال المتفوقون بانفعالات ذو بهم من خلال حركات اجسامهم وكثيرا ما يترتب على ذلك استياء الاهالي من شدة حساسية هؤلاء الاطفال حيث يفهمون ما يريد منهم آباؤهم وما يحسونه قبل ان ينطقواهم به. و يعيش هؤلاء الاطفال تجارب الآخرين وغالبا ما يكون تأثير هذه التجارب عليهم اكثر من تأثيرها على اصحابها الحقيقيين.

وكغيرهم من الاطفال وكطبيعة الانسان ككل فان الطفل دائما ينشد المحبة والاستحسان من حوله وذلك بالتركيز على صفة مميزة فيه ملحوظة عند الآخرين وغالبا ما تكون هذه مقدره عقلية بحتة تؤدي الى المزيد من استعراض هذه القدرات التي يشجعها الاهل غالبا

مما يجعل الطفل المتفوق في الموضع الذي يحاول ان ينيغ فيه . وهذه الصفة عادة يتصف بها الطفل المتفوق من غير أن يحته احد على اثباتها لأن الطفل المتفوق يطلب من نفسه الكثير حتى اذا لم تكن له المقدرة على اظهار بعض المهارات فانه يحاول ان يثبت نفسه على الوصول اليها .

ومشكلة الاهل في استعراض مواهب اطفالهم تؤدي بهؤلاء الاطفال في اغلب الاحيان الى الشعور بأنهم اذا لم يبدعوا ولم يظهروا مواهبهم فانهم لن يكونوا محبوبين ومرغوباً فيهم . فيتطلع الطفل الى هذه المهبة كسلاحه في نيل محبة واعجاب اقرانه واقربائه فلذلك اذا احس بقليل من عدم المقدرة على ابراز مواهبه فان ذلك يجلب له التعاسة والالام . ولقد يتبين كثير من الاطفال الموهوبين مشاعر اهلهم عندما يحاولون ان يكونوا في صحبة اطفال عاديين لا يتعلمون منهم شيئاً حيث كان الاهل يغضبون من هذه التصرفات . فمن هنا نرى الطفل لا يحس بقيمته كإنسان وانما قيمته تقع على موهبته وليس في اي شيء اخر فاذا ذهبت هذه المهبة فهو انسان لا قيمة له . ولقد حاول بعض الاهل أن يلبوا حاجات هؤلاء الاطفال فجعلوهم يقومون باعمال تليق بموهبتهم ومنعوهم من القيام بالاعمال العادية التي ربما تجلب لهم كثيراً من السعادة . ان كثيراً من هؤلاء الاطفال وجدوا انفسهم امام خيار واحد في هذه الحياة وهو ان يصلوا الى الكمال في حياتهم واذا لم يستطيعوا ذلك ذهبت حياتهم هدرا . هذا هو الحمل الثقيل الذي سلطه بعض الاهل على اعناق لطفالهم لكي يثبتوا انهم موهوبون . وليس الكمال شيئاً يطال انما الكمال لله الواحد القهار . لقد قال شارلي براون «ان المقدرة العظيمة هي عبء ثقيل» واذا حاولنا الوصول بهذه المقدرة الى الكمال فقد يؤدي ذلك الى شكّل حركتها .

وبالاضافة الى حساسية الموهوبين المرهفة فهم ذوو خيال خصب . فقد يحسون اثناء تعاملهم مع الاخرين بما يواجهون من رفض او عدم رضا عليهم ، وهذا يضعهم في موضع الخائف الوجل الذي لا يشك في حقيقة مشاعر من هم حوله . فقد يبالتغون في استخلاص معان زائدة من مواقف عادية . فلذلك يجب ان نحاول مساعدتهم على تقويم افكارهم ومخاوفهم . ان حاجة الطفل الموهوب للانتماء لجيله واحساسه بالرضا عنه شيء حيوي في حياته فقد يذهب الطفل الى ابعد الحدود لكي ينتمي الى جماعة معينة حتى لو كانت هذه الجماعة من الاطفال العاديين واحيانا يلجأ هذا الطفل الى اخفاء موهبته والتخلف في اعماله المدرسية ، حتى يتمشى مع هؤلاء الاطفال ويكون له صداقات هو في امس الحاجة لها .

وقد يجد بعض الاطفال صعوبة في الاختلاط بهؤلاء الاقران فيلجأ بعضهم الى الانطواء أملا ان يقوم هؤلاء الاطفال بالخطوة الاولى . ولعل اصعب ما يلاقيه الطفل في حياته هو العثور

على الصديق وليس شعوره بالوحدة لعدم توفر الاصدقاء. وقد يرى الاهل والأطفال معا ان الوحدة بالنسبة للطفل الموهوب هي تعبير عن عبقرية، ولا بد انهم يقدرون ان طبيعة الانسان الاجتماعية تحتم عليه الاختلاط وتكوين علاقات مع الاخرين. لذلك نجد ان الوحدة والتأمل قد تتحول الى سجن خصوصا عندما يشعر الطفل بعدم قدرته على تكوين اصدقاء بالرغم من رغبته في ذلك. ويجب على الاهل تشجيع طفلهم المتفوق على تكوين علاقات مع الجماعات ذلك ان الطفل الموهوب يختار ان يكون وحيدا و يتعد عن المجموعة لأنه بذلك يستطيع التركيز على ما يريد ان ينجز من أعمال وبخاصة اذا كان خلاقا، حيث يحتاج هذه الوحدة لكي تنعش طاقته الابتكارية.

وبالرغم من حاجة الاطفال المتفوقين للاصدقاء فإننا نجدهم في بعض الاحيان يشعرون على من يفرض عليهم الاصدقاء الذين قد يقفون في طريق هواياتهم. لذلك يجب على الاهل ان يتوصلوا الى حل وسط حيث يشجعون العلاقات الانسانية لأطفالهم مع الاخرين مع اعطاء هؤلاء الحق لأن يكونوا مع انفسهم عندما يريدون الحاجة لذلك. ويجب على الاهل ان يعطوا الاولوية لرغبات الاطفال الشخصية مهما ترتب على ذلك من نتائج لأن الطفل المتفوق يعرف ما يريد وكل ما يطلب من والديه هو المساعدة والتوجيه الصحيح الكامل. ومثال على ذلك ان هناك اما كتبت لائحة على صدر ولدها تقول (رجل يفكر) حتى تعطيه الحق في عدم التدخل في شؤونه.

الشك في التقاليد والمعتقدات والثورة على الامثال

حتى في السنوات الاولى من حياة الطفل الموهوب نجده غير راض عن العالم حوله إذ يبدأ بتساؤلاته عن التقاليد والقوانين وشكها في صلاحيتها مما يسبب الاحراج والخوف لدى الاهل والمربين لأن في ذلك تهديدا لنوعية تفكيرهم وطريقتهم في الحياة. واكثر شيء يقدره الطفل الموهوب هو التفكير المنطقي ولكن كثيرا من المعتقدات والقيم والقيود غير منطقية تماما وقليل ما يتقبلها الطفل الموهوب من غير ان يحاول كسرها، والشك في مدى فعاليتها، وفي النهاية يجب ان يواجه تأثير ذلك على الاخرين، فقد نسمي هذا الطفل بالثائر الذي يبحث دائما عن مخرج او عذر لكي يبرر افعاله وبالفعل فإنه يكون في موضع النقد لأن طبيعة الانسان لا تتقبل كل ما يخرج عن حدود المألوف. وكلما شب الطفل الموهوب يجد صعوبة اكثر في تحمل النتائج

الطبيعية في المجتمع فنرى الطفل غير قادر على تحمل الثبات على مواقف معينة من جهة الكبار ويجد في المجتمع التميع والتهرب من الواقع كما يرى ان الناس يراؤون بعضهم البعض ويتحايلون على استخدام الطرق الملتوية. ويشعر الطفل ازاء هذا الوضع بالاستياء ويعجب بشأن هؤلاء الكبار وكيف يسمحون لهذه التصرفات غير العاقلة وهم الذين بيدهم زمام الامور.

و يؤدي هذا الوضع الى ثورة الطفل المتفوق اذ يظهر سخطة في السنين الاولى من عمره عن طريق الاضراب السلمي ليظهر عدم رضائه ولكن عندما يكبر و يصبح في سن الشباب يظهر هذا الاستياء في المدرسة والبيت والمجتمع على السواء بطريقة علنية صريحة. والتفسير الوحيد لهذه الشورة سواء كانت سلبية او ايجابية هو الشعور بعدم الانتماء لهذا المجتمع والاحساس بالبعد عن بقية العالم. فيؤدي هذا الاحساس بالشباب الى ترك المدرسة والتخلي عن عائلاتهم وتقاليدهم ومجتمعهم.

وكثيرا ما يتساءل الاهل عن سبب اهتمام الاطفال الموهوبين ما بين الخامسة والسابعة بكثير من الموضوعات والمشاكل الرئيسية في حياتنا منذ عدم التكافؤ الاقتصادي في المجتمع والسلام العالمي والاهتمامات الدينية والاجتماعية والانسانية. وكثيراً ما يعتقد الاهل بان هذه الاهتمامات انما هي مرحلة عابرة سيمر بها الطفل ولكن الحقيقة ان هذه المواضيع هي عادة مطروقة لدى الاطفال الموهوبين في المرحلة الابتدائية اكثر مما هي لدى البالغين.

ولكن شعور هؤلاء الاطفال بهذه الاحداث والتحدث عنها لا يعني انهم يعون فعلا مكنون هذه التساؤلات و يستطيعون التكيف انفعاليا مع نتائجها، وما يترتب على ذلك من مسؤوليات. ان تكوينهم العقلي يمكنهم من رؤية هذه الموضوعات ولكن تركيبهم النفسي لا يستطيع ان يتعامل مع نتائج هذه الأفكار، وما يوضع الاطفال في موضع اكثر صعوبة هو تركيز الاهل عليهم وجعلهم يعتقدون بانهم الامل في تحقيق المستقبل المشرق لهذا العالم وبانهم العماد الرئيس لتغيير هذا العالم الى عالم افضل. ان تلك المسؤولية ثقيلة على اكتافهم لأن فوهم الانفعالي وحكمهم على الاشياء ومقدرتهم على التحمل او حلول الامد البعيد قد تتخلف عن فوهم العقلي والذهني.

كيف تكون الموهبة بلاء بدلا من ان تكون نعمة

قد يعتبر الاهل الموهبة الفذة بلاء عندما يكون تأثيرها على الطفل هو الحساسية المرهفة وقد يعامل الاهل هذا الطفل وكأنه آلة اليكترونية بدل معاملته كأ انسان. ومعاملة الاهل الخاصة

لهذا الطفل الموهوب تجعل اقرانه (اخوانه) ينظرون اليه بعين الغيرة او يحسون بهذه الموهبة وكأن لها معنى مزدوجاً. فاذا كان لديهم اخ موهوب فهذا يعني انهم غير موهوبين. لذلك تظهر مشاعر الغيرة والاحتجاج ومحاولة احباط هذا الأخ بطرق احيانا قد تصل الى الدرجة المأساوية.

وقد يصادف الطفل الموهوب مشكلة المعاملة غير الثابتة فاحيانا يؤيده مدرسه واهله ومحيطونه بالاهتمام والافتخار وحيانا يصدم هذا الطفل من وجهة نظر اخرى بمعاملة قاسية يحاول بها الاهل ان يذكروا الطفل بانه ليس افضل من غيره من الاطفال وعليه ان يضع نفسه في موضعهم. ويحاولون بشتى الطرق وضع هذا الطفل في قالب التقليدي للطفل العادي لكي لا يشعر بالفخر والاعتزاز لديه من موهبة تجمله يختلف عن غيره.

وغالبا ما يبدأ الطفل الموهوب الشعور بعدم الانتماء والغربة والعزلة في عالم مختلف تماما في افكاره وقيمه عن عالمه الخاص. واكثر المتفوقين شعورا بذلك هم الاطفال الذين تزيد نسبة ذكائهم على ١٦٠. إذ يرون أن ما يحيط بهم غير منطقي، وبالبالغون الذين هم في موضع القوة ليس لديهم المقدرة الكافية على التفكير السريع كما أن تصرفاتهم غاية في السخف. وقد يخيف هذا الوضع الطفل الموهوب لشعوره بان هؤلاء القادة من مصلحين ومعلمين وسياسيين لا يتمتعون بالحذافة الكافية ولا الذكاء والسرعة في التفكير التي تمكنهم من قيادة هذا العالم.

لذلك نرى الطفل الموهوب يعتقد انه مسئول عن اصلاح هذا العالم وبالطبع هذا حمل لا يستطيع ان يتعامل معه، فنجده يقع في برائن الحزن والانطواء على نفسه لأنه يجد نفسه شخصيا لا يمت الى هذا العالم بصلة، كما يجد نفسه غير قادر على تحمل المسؤولية بتغيير هذا الوضع. فيصبح الطفل غير راغب في الحياة التي تملأها التفاهة والابتذال في كل الاعمال وليس هناك من هو صادق في عمل يؤديه كصديق الطفل الذي يحس بقيمة هذه المعرفة وكيفية التفاعل معها.

انتظار الاخرين للحاق بهم

أن أصعب الأمور على الطفل الموهوب أن ينتظر الآخرين حتى يلحقوا به، و يظهر ذلك تماما في المدرسة فهو في المرحلة الابتدائية دائما ينتظر اقرانه حتى يحلوا مسائل بديهية بالنسبة له وفي المرحلة المتوسطة يعتقد الطفل الموهوب ان وضعه سيتغير الا انه يواجه نفس المشكلة، بل

وأسوأ منها فهو الان متفوق على معلميه فهو ينتظرهم لكي يلحقوا به. وهكذا حتى يدفعه الملل لكي يترك المدرسة ظنا منه ان العالم حوله سيكون مختلفا. ولكنه لا يلبث ان يصدم بالحقيقة حتى بعد ان يختار لنفسه شريكا في الحياة له مستوى معين في التفكير ويختلط بالقليل من الناس الذين يعتبرون نخبة المجتمع. واذا كان هذا الطفل بنتا فانها تحاول ان تخفي موهبتها خوفاً من أن تخسر أصدقاءها وهذه الحياة التي اختارتها لنفسها بكثير من الدقة والحذر. ففي النهاية يصل الطفل في قرارة نفسه الى القناعة بانه يقضي معظم حياته منتظرا الاخرين ليلحقوا به. ونجده في النهاية يتقبل الدور السليبي رغما عنه ولكن بصدر رحب و يضطر كل الموهوبين القيام بذلك حتى يستطيعوا التعايش مع العالم الذي حولهم. ويمكن لنا تخيل وضع هؤلاء الاطفال المتفوقين اذا تصورنا اننا نحن العاديين نعيش في عالم اغلبه من المتخلفين عقليا وان هذا العالم هو الوحيد المتوفر لنا بكل تقليديته.

فماذا نتوقع ان يكون هدفنا في مثل هذا العالم؟. هل نستطيع ان نتعايش مع هذا العالم بكل سلبياته بروح مرحة او اننا سنكون تعساء منطوين على انفسنا لأن هذا العالم لا يناسبنا؟ ان بيت القصيد هو ان نعطي الطفل التوجيه السليم المشبع بالمحبة المخلصة الذي سيساعده على التكيف والتعايش في اوضاع قد تكون أسوأ من هذه. فمقدرة الطفل على التكيف مع المحبة والتوجيه السليم تجعله يحول وقت الانتظار هذا الى فرص عمل هائلة ويستطيع كذلك أن يملا هذا الوقت الذي حسبه ضائعا في قراءة كتب مفيدة او المشاركة في هذه المعرفة مع احد اقرانه الذين يحاولون الوصول الى مستواه.

ومن خلال التوجيه والتغذية الروحية للطفل الموهوب يمكن أن نوصله لحقيقة مفادها أن الطفل غير الموهوب والذي لا يضاهاه بمقدرته العقلية وسرعته في التفكير لا يقل اهمية عنه لأن الحياة بما فيها لا تركز على المقدرة العقلية فحسب، انما الحياة مليئة بالحب والشجاعة والوفاء والكرم كما أن الأعمال تختلف للوصول الى حياة افضل.

العلاج: الانفعالات ضمن مفهوم قوي للذات:

كيف نعلم الطفل المتفوق القدرة على الاحتمال وتقبل وضعه؟ انه لمن المؤكد ان القدرة العقلية هي شيء ذو قيمة كبيرة ولكن ما العمل اذا كانت هذه القدرة ستقف حجر عثرة في سبيل نمو هذا الطفل وتجعل منه انسانا وحيدا تعيسا غير قادر على العمل المثمر. وقد صور لنا

التاريخ صورا كثيرة لرجال عظماء ذوي قدرة عقلية نادرة ولكنهم كأشخاص اثبتوا عددهم مقدرتهم على تقييم انفسهم والتحكم في عواطفهم حتى ان العالم قد قاسى كثيراً من الولايات من جراء ذكائهم الذي لم يستخدموه بحكمة.

ويمكن حل مشكلة الطفل المتفوق في ان نساعد على وضع قيمة لنفسه الحقيقية وعلى التحكم في مجريات الامور على نهج بعيد عن القلق، ومما يساعد في ذلك هو مقدرة هذا الطفل السريعة على فهم الامور وحسن استعماله للالفاظ اللغوية والمفاهيم المعقدة. وقد يظن البعض ان كل الاطفال الموهوبين لابد ان يتعرضوا في حياتهم لظروف قاسية تجعلهم دائمي القلق وغير قابلين للتكيف ولكن ذلك غير صحيح اذا تعاون الاهل والمدرسة في محاولة فهم هذه الامور وعلموا ان هؤلاء الاطفال هم اكثر قابلية لتفادي هذه المضايقات اذا وجهوا الى الطريق الصحيح في فترات مبكرة من حياتهم.

المشاعر هامة للغاية

انه لمن أهم العوامل في تنشئة الطفل الموهوب هو مساعدته لكي يتفهم احساسه ويميزها ويستعملها كسلاحه اثناء نموه. واذا لم يستطع الطفل ان يحدد مشاعره ويحس انها معتدلة فسيكون من المستحيل عليه ان يرى نفسه كأنسان قادر مفيد لنفسه بعيد عن الموهبة التي اعطيت له ولم يكن له يد في اكتسابها. ويجب الا تتسم مشاعر الطفل بطابع الصح والخطأ لأن المشاعر بحد ذاتها تلقائية وجزء من طبيعة الانسان ولكن طريقة التعبير عنها ربما تأخذ طابع الصح او الخطأ. ولذلك يجب ان نسيطر عليها ونصقلها، وعملية الصقل هذه هي ما تسمى بعملية التكيف الاجتماعي. فعلياً ان نتوخى الحذر في الحديث عن الاحاسيس والعواطف بالنسبة للاطفال الموهوبين. فانهم يحاولون دائماً ان يتجنبوا خوض هذه المواضيع والحديث عما يجعلهم يشعرون بالامان مثل السؤال عن الحقائق والمعلومات. ولكنهم يجب ان يتعلموا في الفترات الاولى من حياتهم بان الاحاسيس والعواطف قد تكون في اغلب الاحيان غير منطقية ولكن لها نصيب الاسد في التأثير على حياتهم. فيجب ان يتلمسوا هذه الاحاسيس وان يحاولوا اظهارها في المكان والزمان المناسبين. وسلاح الطفل الموهوب هو كيفية التعبير عن شعوره لأنه الطريق الذي يستطيع ان يتحمل من خلاله عبارات الشجب والرفض. ان عدم التشجيع والاحباط يؤدي بالطفل الموهوب لأن يكون اقل انتاجاً بقليل مما هو قادر عليه لأنه لا يستطيع الشكوى ولا يلاقي اي صدى للمضايقات التي تواجهه.

كيف نضئ الطريق لهذا الطفل؟

إذا أراد الأهل مساعدة المدرسة في إيصال الطفل الموهوب إلى أهدافه لا بد من أن يبدأوا معه من البداية، لأن الطفل الذي ليس له هدف في الحياة لا يمكن له التعاون مع أحد مهما كانت قدرته إلا إذا حاول هذا الشخص أن يتمشى مع ما يحتاجه الطفل وليس مع ما يطلبه المربي منه. لا بد من المسئول أن يكون قابلاً للفهم والمجاراة. ولا بد للأهل والمعلمين أن يأخذوا خطوات معينة ليساعدوا الطفل الموهوب بأن يكون له حافز يدفعه لتحقيق الثقة بنفسه وبالآخرين.

وعندما يفقد الطفل الموهوب هذا الحافز، يصعب توجيهه لأن اهتماماته وقدراته لا بد من التعامل معها بجدية حتى يستطيع أن يظهر تقدماً ورغبة في العمل. فعلى الأهل أن يضعوا لأنفسهم حوافز تجعل عملية إيجاد الحافز عند الطفل سهلة هينة لأنه يرى والديه ويحاول تقليدهما. فقد تكون اهتمامات الطفل ووقته مختلفة عن اهتمامات الأهل ولكن لا بد من تشجيع هذه الاهتمامات لكي يكون الطفل الثقة بنفسه ويني لها مكانة بين الناس. فدوافع الطفل مهما كانت إذا وجهت التوجيه الصحيح فإنها ستؤدي في النهاية إلى الطريق الذي يرغب الطفل في سلوكه وعندما يكون إبداع الطفل عظيماً.

كيف يكون الطفل لنفسه الدوافع والمقدرة على ضبط النفس وتقييمها

إن أهم ما يجب على الطفل الموهوب فهمه هو أنه سيد نفسه لذا يتحتم عليه أن يبرز طموحاته وأن يثق بقدراته حتى يستطيع أن يحقق هدفه في الحياة. وبمساعدة الطفل لمعرفة مكانته في هذا المجتمع نعطينه القدرة على التكيف مع الآخرين ويكون لديه القدرة على التعاطف مع من هم أقل منه حظاً. وإذا استطاع هذا الطفل أن ينظر إلى الدنيا بعين الآخرين فإنه سيكتشف كم هو محظوظ في هذا العالم ويبدأ بتفهم كل ما يصدر عن الآخرين من إيجابيات، كما يتعلم بأن يضع نفسه موضع الآخرين ويشعر بشعورهم عندما يواجهون مشكلة معينة، وخصوصاً في السنين الأولى من عمره ويحس بأحاساس هؤلاء الناس، وفي النهاية سيحس الطفل الموهوب أن مشاعر الآخرين لها نفس الأهمية التي يحسها اتجاه نفسه.. سيجد نفسه يحس بأحاسيس الآخرين ويفكر على طريقتهم مستنجاً أن مشاعر الآخرين تضاهاه في الأهمية مشاعره اتجاه نفسه.

خلاصة الفصل

تأتي أهمية الانسان ليس فقط من كونه موهوبا او متفوقا، وإنما تأتي من كونه عضوا فعالا في المجتمع، راضيا عن نفسه متعايشا مع هذا العالم الذي حوله. ومهما كان اختلاف الاطفال الموهوبين عن غيرهم فإنه يشاطرون الاخرين كثيرا من الصفات العادية.

ويحتاج الطفل الموهوب الى المحبة والرعاية والاحساس بالانتماء وهذه كلها احساسات طبيعية يحس بها الطفل العادي أيضا، الا ان الطفل الموهوب قد يظهر اكثر حساسية ومطالبة بهذه الحقوق من غيره ولكن الحقيقة ترجعنا الى كون الطفل طفلا مهما بلغت درجات موهبته فهو في حاجة للرعاية والمساعدة دائما. والحقيقة ان المشكلة الاساسية التي تواجه الاطفال الموهوبين وعائلاتهم تكمن في اننا نعيش في مجتمعات تؤمن بامثال الفرد لصالح الجماعة ومهما بلغت أهمية الفرد فإنه في النهاية جزء من جماعة لا بد ان يتعايش ويتوحد مع مصالحها.

وهذا الاختلاف يقابل بنوع من الخدر احيانا من ناحية الاهل. فالأم التي تكتشف ان طفلتها البالغة من العمر عامين ونصف لديها قدرات طفل في السادسة تلجأ الى معاملة هذه الطفلة كطفلة اولا وتجعل الموهبة شيئا جانبيا وكأن الطفل يمكن تجزئته الى اجزاء بعضها يتماشى مع تركيب الطفل العادي والاخر شيء اضافي ينظر اليه كزينة تضاف اليه. واذا نظرنا الى الطفل المتفوق كطفل عادي مع قليل من الزينة الاضافية نكون بذلك قد هضمنا حق هذا الطفل ولم نعطه الفرصة في اثبات نفسه.

ان الفرق بين الطفل الموهوب والطفل العادي هو نفس الفرق بين الطفل العادي والطفل المتخلف عقليا. ولكن بما ان التخلف هو صفة ملحوظة وسلبية، فاننا نقابلها دائما بالاهتمام والتركيز. فاذا كانت الموهبة هي فقط زينة لهذا الطفل فهل يمكن ان ننظر الى التخلف بنفس الطريقة. لا يمكن ان نقول بان الطفل المتخلف عقليا هو اولا طفل وثانيا متخلف. انما التخلف هو الجزء الذي يجب علينا ان نركز عليه. لذلك فان قدرات الطفل الموهوب لا يمكن فصلها عن شخص هذا الطفل بل يجب علينا تنميتها بالطريق الصحيح حتى يكون هذا الطفل قادرا على التكيف في مجتمعه

ويجب عليه ان يتعلم التوسط في بعض الاحيان، الا انه فعلا يرفض هذا التوسط الذي يحتاج الى شخصية قوية ودعم تجعله يحس بانه على طريق الصواب. ان اعتداد الطفل بنفسه

ومساعدته على تنمية عواطفه وثقته، لم تجد بعد الاهتمام الكافي من الجهات المختصة. ويجب التوصل الى ملتقى طريق بين الذاتية ومقارنتها مع الاخرين.

إنّ الطفل الموهوب يجب ان ينظر اليه كوحدة ذاتية بحد ذاتها بعيدا عن مقارنتها بالاطفال الاخرين، ولا يتم ذلك الا اذا استطاع الاهل قبول الطفل وتشجيعه على قبول نفسه. فالمقارنة هي اسلوب في الحياة لأن عالمنا هو عالم الاخرين كذلك فلا نستطيع الحكم على انفسنا في اغلب الاحيان الا بالمقارنة مع الاخرين. ولقد صور احد الاطفال الموهوبين وضع الطفل الموهوب في احسن صورة في كتاب عن الموهبة فقال:-

— «ان الموهبة ليست خياراً تستطيع أن تأخذ منه قليلا اذا أحببت وتنحية جانبا اذا أردت. انه الشيء الذي يؤثر في حياة الانسان كل لحظة. وقد تدفعك هذه الموهبة لأن تكون ناضحا قبل الاوان، وقد تكون هذه الموهبة هي سوء طالع لبعض الاشخاص فتتركهم غير قادرين على الاستمرار في الحياة».

ان الانسان هو الصيغة التي يجب على الطفل الموهوب تفهمها وان هذه الصفة توجد عند اقل الناس معرفة. فليعلم الطفل الموهوب بأن الناس العاديين قد يعلمون ويحسون بمتابعب هذه الموهبة لصاحبها وانهم يستطيعون ان يروا هذه الدنيا بأعينهم فلا بد للطفل ان يبدي استعداداه لأن ينظر للاشياء العادية بشيء من الاحترام والتقدير لأنه في النهاية هو جزء من هذا العالم العادي. ولقد فسر «برنارد شو» هذا الاحساس تصويرا دقيقا عندما قال:-

— «ان الانسان العاقل يكيف نفسه للحياة والانسان غير العاقل ينتظر من العالم ان يتكيف حسب رغبته هو. لذلك نرى ان معظم التقدم قد قام به اناس غير معقولين».

لذلك يتحتم على الطفل الموهوب ان يتسم بالمنطقية ولو الى حين. ويجب عليه ان يتحسس نفسه عندما يكون غير منطقي، فقد ينتج ذلك من كونه مختلفا من وجهة نظر المجتمع.

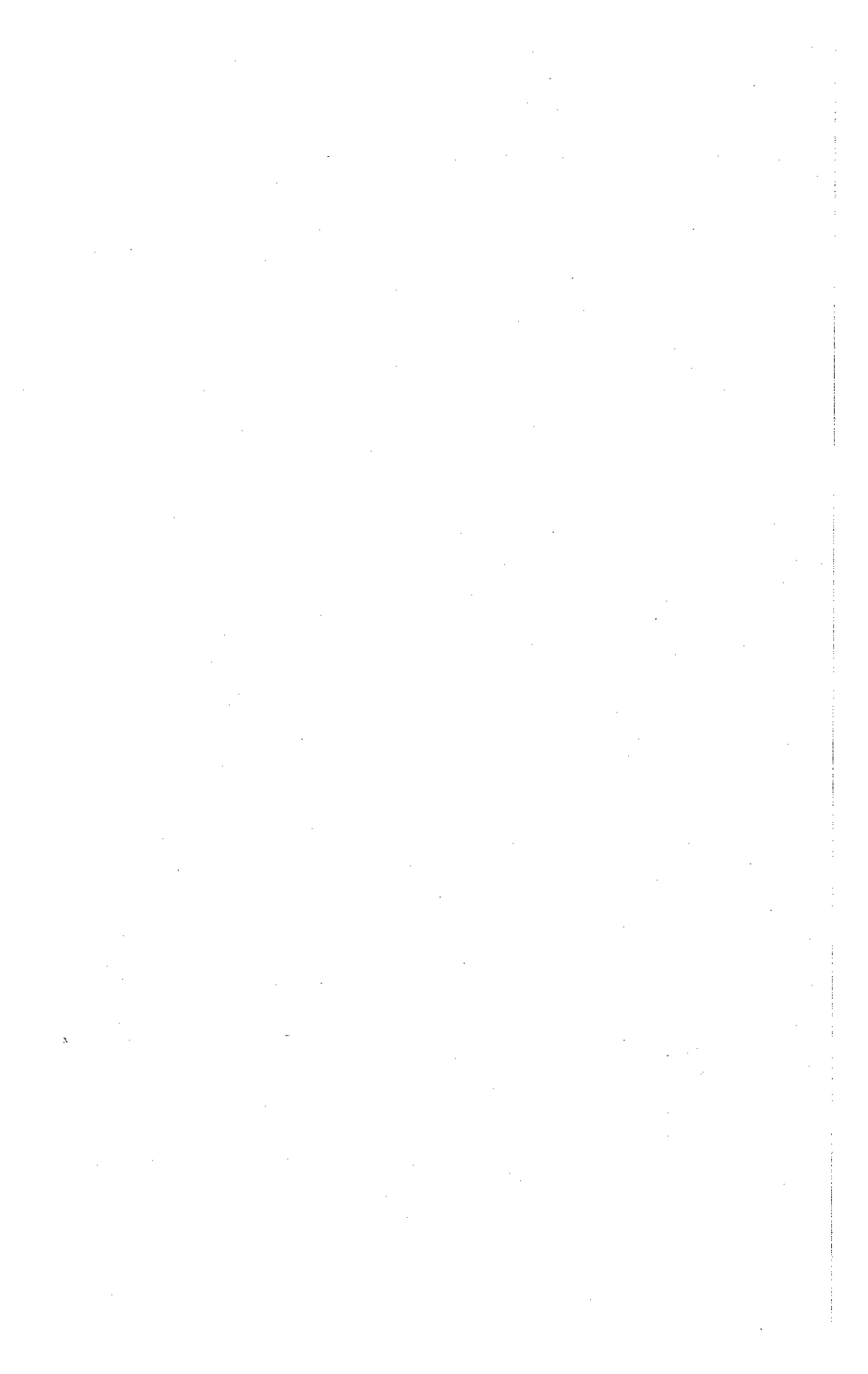
* * *

— ان فن الحياة العظيم هو تحسين اللحظات الذهبية في عمر الفرص واصطياد الجيد الذي في متناول اليد.

«صاموئيل جونسون»

— لا تنتظر الظروف غير العادية لتغيير حياتك ولكن استغل الفرص العادية.

«جين بول ريشتر»



الفصل الثاني

هناك بعض المشكلات في علاقة الطفل المتفوق بمن حوله
ولكن هناك فرصاً ايجابية للتعلم.

ان التشجيع والدعم الدائم من الأهل والمربين ومن يحيطون بالطفل المتفوق يلعب دورا هاما في تغذية شخصيته ومساعدته على النمو عاطفيا واكاديميا.

ومحاولة بعض الاهل تنشئة اطفالهم ليكونوا صورة حية لما كانوا هم عليه خطأ كبير يقع فيه الكثير، فاذا اعتبرنا انفسنا كاملين بغير اخطاء، وهذا لا يمكن تصديقه فاننا بعملنا هذا ننشئ جيلا يحمل نفس أخطائنا و يعاني من نفس مشكلاتنا، وبذلك نكون قد اضعنا جهدا ومقدرة كان من الممكن ان ننشئ لنا جيلا يتمتع بحياة افضل و يعاني من مشكلات اقل.

ولقد قام (بول لورانس عام ١٩٨١) وهو مؤلف معروف في مجال الابتكار بدراسة مجموعات من الاطفال المتهوقين والمبتكرين سنوات طويلة، ثم سأهم فيما بعد ان يتذكروا «المدرسين الذين كان لهم تأثير» في حياتهم، وقد تكرر بشكل واضح ابراز خصائص مميزة وهذه الخصائص يمكن تلخيصها على النحو التالي.

- ١ - لقد كانت مدرستي تشجع المشاركة الحية مع الآخرين، فقد كانت تسأل الكثير من الاسئلة وتتقبل جميع الاجوبة بما فيها الاجوبة التي لا تتعلق بالموضوع، من غير أن تشعرني بالمدلة او الاستهزاء، وقد ساعد ذلك على شعوري بأنني قادر على تحمل اي شيء ولو كان جديدا علي كلية.
- ٢ - لقد كانت تشعرني بكثير من الثقة في مقدرتي على العمل والفهم مما دفعني الى تقبل هذا الشعور والاعتزاز به، وهذا ساعدني على العمل بثقة تامة وسعادة جعلت تلقي المعرفة وتقاسمها مع الاخرين من اجمل الاشياء.

٣ — لقد شجعني مدرسي على حب العمل الذي اقوم به لدرجة انه جعلني اشعر بأن هذا العمل هو محور الحياة وهو المستقبل. لقد اعطاني الاهتمام الفردي وركز على احتياجاتي الشخصية وجعل من اهم اهتماماته نجاحي الشخصي وتقديري ل نفسي.

من هذا نخلص الى ان المعلمين او المهتمين بالاطفال المتفوقين يرون ان الطفل واهتماماته واعتقاداته وشعوره وتصرفه الشخصي هو المهم، أي انهم يركزون على كل طفل بما لديه من صفات سواء كانت بالمفهوم التقليدي جيدة او غير جيدة. فإذا عولجت بالطريقة العلمية تكون نتيجتها في النهاية سليمة وتعود بالخير على هذا الطفل وكل من حوله. ويمكن أن تخرج من ذلك بما يلي:

- ١ — ان المعلمين او من لهم علاقة بالطفل يرون الطفل كوحدة كاملة بكل ما لديه من احساس وتصرفات و ينيرون له الطرق لاكتشاف مشاعره الخاصة وتقبلها.
- ٢ — ان الطفل يقدر بكل ما يتحلى به من صفات وليس فقط بمقدرته على الانتاج والنبوغ. لقد ساعد هؤلاء على تحسين الطفل بتقدير مواهبه الخاصة ولكن من غير مغالاة بها حتى يكون دائب البحث عن كل جديد في اغوار نفسه.
- ٣ — كما شجعوا الطفل على ان يواصل العمل والبحث عن اهتماماته حتى اذا لم يحالفه النجاح. انهم لم يتوقعوا النجاح دائما لجميع محاولات الطفل مما جعله يثق بمن حوله و يدرك ان اهتمامهم به لن ينقطع اذا ما ابدى تقصيرا أو فشلا في احد المجالات.
- ٤ — لقد كان هؤلاء المعلمون المثل الاعلى في التعاون المنتج والمشاركة الفعالة التي حذا حذوها هؤلاء الاطفال في حياتهم ووجدوا انها الطريقة المثلى للعمل. ان هذه الصفات التي اذا لم توجد في من يحيط بهؤلاء الاطفال، فان نموهم لن يكون نمو صحيا فعالا، ولن يستطيعوا ان يثبتوا مقدرتهم مهما كان لديهم من مواهب.

فاذا لم يجد الطفل هذا التعاطف ممن حوله تكون فرصته في النجاح ضعيفة لأنه سوف يشعر بأنه يعيش في عالم بعيد عنه، فهو يطمع في منزل يتفهم اوضاعه الخاصة، ومكان يستطيع ان يولد من جديد فيه حسب العلم والمعرفة، وهذا لا يعني ان يتفق معه الجميع في كل آرائه بل يعطونه الفرصة في ابداء هذه الاراء وتقبلها كجزء من تعامل هذا الطفل مع العالم الغريب الذي يحيط به.

ان هذا الدعم في المنزل والتفهم عند المدرسين يجعلان من هذا الطفل نواة طيبة لمجتمع سليم و يساعده على ابراز قدراته العقلية، التي يفيد بها مجتمعه ونفسه على السواء. ان هذا

الدعم يجعل من الطفل المواطن المحصن ضد اي تيارات قد تعصف به في رحلة الحياة. ان الدعم الحقيقي لهذا الطفل من احد المؤمنين فعلا بمقدرته تحصنه ضد العديد من الانتقادات من اناس كثيرين يقفون ضده، فعملية التحصين هذه، عملية فعلية كما هي قائمة في الحالات المرضية فتجد المحصن ضد مرض معين يتمتع بصحة جيدة تمكنه من أن يختلط بالعديد من الحالات المرضية من غير ان يتأثر بها. ولقد ذكر احد المختصين أن هذا التحصين يزيد من مناعة الطفل ست مرات اذ ان مدرساً واحدا يكون لديه المعرفة الحقيقية والتفهم يجعل الطفل قادراً على تحمل حوالي أربعة مدرسين عاديين واثنين لا تمت لهم مهنة التدريس بصلة. كما ان ذلك ينطبق على العلاقات الاجتماعية ايضا، فان احترام الذات الذي يحصل عليه من شخص واحد كفيل بان يجعله يتحمل من الناحية العقلية ضغوط النقد الهدام واللوم وحتى التحقير التي قد يلقاها في مكان آخر.

ان الطريقة المثلى لحل المشاكل هي منعها من الحدوث او بناء وسائل دفاعية وطرق حل هذه المشاكل التي لا بد من ظهورها. فاذا وجدت المشاكل فيجب ان نستغلها كفرص للنمو الذي يساعدنا على تفاديها. ومع ان الاطفال المتفوقين وعائلا تهم اكثر عرضة للمشاكل النفسية التي تقلق راحتهم فاننا نعلم ايضا ان الطفل المتفوق لديه المقدرة اكثر من غيره على التكيف وتقبل هذه المشاكل. فالشعور بالضيق ليس ضروريا ان يؤدي بالشخص الى مواجهة المشاكل الانفعالية ولكن بالعكس قد تكون هذه المواجهة هي الطريق الى اعطاء قوة نفسية وقدرة على الصمود امام المشاكل. فهذه القدرة على تحمل المصاعب والتعامل مع الضغوط تجعل من هؤلاء الاطفال اناسا قادرين على الخلق والابداع. وعندما يساعد المربون هؤلاء الاطفال لتعلم طرق معينة لمعالجة وطأة القلق، فانهم يجعلون منهم اناسا لديهم مقدرة على التحمل باشباع رغباتهم التعليمية والنفسية وجعلهم خلاقين ومنسجمين مع انفسهم والآخرين.

وفي اعتقادنا ان محور الامر يقع في يد الآباء والامهات. فمهما وضعنا من برامج تعليمية خاصة لنشري حياة هذا الطفل فان هذا يشمل الجزء الصغير من حياته، بينما الجزء الاكبر هو الذي يقضيه بين اهله. فقد اثبتت البحوث ان اكثر ما يؤثر على شخصية الطفل وادائه هو تصرفات اهله. فان بداية تبلور مشاعر الطفل ونموه تبدأ في سن الطفولة الحديثة وسن ما قبل المدرسة. واغلب صفات الطفل التي تؤثر على شخصيته يكتسبها قبل سن السادسة وهي سن المدرسة ومن سوء الحظ ان اغلب البرامج الخاصة للناية بالطفل المتفوق لا تبدأ الا في سن الثامنة وما بعد مما يلقي على عاتق الاهل المسؤولية العظمى في تنشئة الطفل واعطائه المحبة والثقة التي تجعل منه انسانا يعتز بذاته.

واستجابة لهذه الحاجة الماسة لتفهم اكبر ودعم للاطفال المتفوقين من خلال عائلاتهم فقد قام المؤلفون بوضع برنامج لهؤلاء الاهالي. ورغم ان الاهتمام تركز على الاطفال في السنين الاولى من عمرهم الا ان المشتركين في هذا البرنامج هم اهالي الاطفال من مختلف الاعمار. ويجتمع الأهل في حلقات جماعية لمناقشة بعض الموضوعات مثل شخصية الطفل من الناحية الانفعالية والنفسية، وقد استفاد الاهل فائدة عظيمة من هذه البرامج وحبذا لو اقيم لدينا في البلاد العربية مثل هذه الحلقات التي تخدم في النهاية اي طفل سواء كان متفوقا او عاديا، كما أنها تعمل على ايجاد الوعي عند الامهات والآباء بان الاطفال مسئولية كبرى لا بد لنا من تحملها فهم ليسوا مجرد مخلوقات وجدت على هذه الارض بحكم وجود اسرة كونها أب وأم. ان الابوة والامومة مهمة صعبة اذا اردنا ان نعطي الطفل الفرصة لكي يبدع و يظهر كل مواهبه، لأن المعرفة الحقيقية للطفل تتطلب من الاهل معرفة حقيقة لأنفسهم لكي يستطيعوا ان يقرروا هل يريدون من اطفالهم ان يكونوا صورة مصغرة لهم او يريدون لهم ما يمكن ان تبذره شخصياتهم.

وتركز هذه الحلقات التوجيهية على الناحية العملية مع قليل من الاهتمامات النظرية لأن الاهل قد سمعوا الكثير من النظريات التي يصعب أحيانا تطبيقها فلكل طفل وضعه الخاص، ولذلك فهم يركزون على تحقيق اهدافهم عن طريق تفهم نفسية الطفل والعوامل التي تؤثر في انجازاته او عدمها.

وقد تم التركيز في هذه الحلقات على عشرة موضوعات جيدة ومهمة في تكوين شخصية الطفل مثل التعرف على الطفل من خلال مراقبة تصرفاته والتعرف على دوافعه وانضباطه. كما ان هناك تركيزا على مقدرة الطفل على الانجازات تحت الضغط وامكانية التعرف على مشاعره وكيفية توصيلها للآخرين علاوة على علاقته مع اصدقائه واقربائه ومقدرته على تغيير التقاليد ومواجهة القلق.

لقد اختيرت هذه الموضوعات لأنها في الغالب هي التي تؤثر على علاقة الطفل المتفوق باهله واقربائه. وفي كل حلقة يتعاطى الاهالي الحالات التي تمر بهم و يناقشونها بها ويجعلون منها حالات تعلمهم الكثير علاوة على وجود مديرين لهذه الحلقات يوجهون و يقدمون العون عند الضرورة.

وهذه الحلقات هي حلقات تعليمية مفيدة يطرح فيها الحالات التي تساعد بعض الاهالي على التعامل مع مشاكلهم التي من غير معرفتهم بها قد تكون بعيدة كل البعد عن الحل

المناسب ولقد ذكر احد المهتمين بهذه الحلقات أن هناك نوعين من الناس، نوع لديه مشاكل يستطيع عرضها ونوع آخر لا يعرف مشاكله ويحتاج معرفة في هذه الناحية. ولذلك فإن هذه الحلقات تساعد الناس على الثقة ببعضهم البعض والتعرف على مشاكل الغير فكثير من الناس قد يساعد غيره في حل مشاكله وهو عاجز عن حل مشاكله الخاصة. وهنا تأتي فائدة هذه الحلقات التي قد يجد بعض الناس فيها من خلال بعض مشاكل الآخرين المنطلق الى حلول افضل ونظرة اعمق الى الحياة ككل. فهناك المثل القائل «من رأى مشاكل الغير هانت عليه مشاكله».

وفي الحالات التي تعجز فيها المجموعة عن إيجاد الحل المرضي يحول الاهل الى اناس مختصين في هذا الحقل لكي يتابعوا المشكلة حتى يجدوا لها الحل المناسب. وعلاوة على وجود هؤلاء المختصين الذين يوفرن المعونة الفردية، هناك بعض المهتمين بالعلوم السيكولوجية الذين يسخرون انفسهم لخدمة الاهل الذين كانوا يجدون صعوبات كثيرة في العثور على الانسان المهني المؤهل لكي يرجعوا اليه بمشاكلهم. ولذلك فإن انشاء هذه الحلقات او المجموعات لا بد ان يشرف عليها متخصصون ومهتمون بصحة الطفل العقلية والبدنية. وعلاوة على ذلك يجب ان يكون هناك اشراف على هذه الحلقات.

ورعاية المسؤولين لهذه الحلقات من وقت لآخر ضروري حتى لا تتحيد هذه الحلقات عن غرضها الرئيسي من عرض احساسيس ومشاعر بعض الافراد وتجاربهم المؤلمة على الآخرين. وعندها ينفعلون باظهار مشاكلهم حيث يشعرون بعدم الرضا، أو عرض بعض تصرفات الناس على بعضهم الاخر بصورة شخصية لا مبرر لها. لذلك فان المراقبة والضبط لهذه الحلقات هو مفتاح نجاحها والاستفادة منها.

لاتحاول انجاز كل شيء في فترة قصيرة

أن ما يدور في هذه الحلقات هو فعلا مادة غنية لحل كثير من المشكلات من منطلق يختلف عما تعودنا عليه. لذلك فان هذه المجموعات تعقد من آن الى اخر مع وجود فترة اسبوع او اثنين بين كل حلقة واخرى لكي تُعطى فرصة للاهل لأستيعاب الاقتراحات التي سمعوها وكيف يمكنهم تطبيقها على انفسهم. (ويمكن اتباع نفس الاسلوب اثناء قراءة ما بهذا الكتاب من معلومات واقتراحات، فيجب على القارئ ان يقرأ الكتاب ككل لكي يكون لديه فكرة عن

محتواه وبعد ذلك يستطيع ان يرجع الى كل فصل على حدة ويحاول دراسته دراسة دقيقة. لأنه مهما اختلفت طرقنا في القراءة فان محاولة التعامل مع كل هذه المواضيع امر غير وارد ويجب ان يتم الاطلاع على كل موضوع ودراسته ومحاولة الوصول الى ما يرشد الموضوع اليه وبعد ذلك نزيد على اللبنة الاولى لبنات اخرى حتى يتم البناء.

وكما هو الحال مع كل الاطفال فان الهدف هو ان يصلوا الى معرفة حقيقية لاغوار انفسهم وتقييمها والثقة بها مع احساسهم بالانتاء لشيء ما. لذلك نرجو ان تكون هذه الابواب ذات فائدة لكم.

حول الموضوعات العشرة

خصص فصل لكل موضوع من الموضوعات العشرة وكل فصل يعطي المعلومات الاساسية عن الموضوع. وستكون هذه المناقشات بمثابة الدليل لفهم اعمق لكل موضوع واعادة تقويم بعض الاشياء غير المفهومة. وتحتوي هذه الفصول على كثير مما اثير في الحلقات السابقة ذكرها وسوف نقوم في بعض الاحيان باثارة بعض النقاط التي سبق أثارها وذلك للتأكيد على بعض الموضوعات كما اننا الحقنا بنهاية كل فصل من الفصول العشرة اسئلة واجوبة مختصرة وذلك بالافاضة إلى اجوبة لبعض الاسئلة التي غالباً ما يتكرر ذكرها.

وكثير من النقاط التي اثيرت في كل من المواضيع العشرة هي بمثابة قاعدة عامة للطريقة الصحيحة للابوة والامومة بصورة عامة وليس فقط بما يخص بالطفل المتفوق. ومن هذا المنطلق يستطيع الاباء ان يجدوا ما هو مناسب لتوجيه ابنائهم المتفوقين.

والتربية الصحيحة هي الاساس سواء كان الطفل متفوقاً او عادياً. ان محبة الطفل فقط لا تكفي بل يجب على الاباء ان يعرفوا كيف يتعاملون مع أطفالهم. لأن الاطفال المتفوقين مهما اختلفوا عن غيرهم فهم لا يزالون يحتاجون الى تنظيم حياتهم ووضع الحدود لهم وتوجيههم. كذلك يحتاجون الى التشجيع الدائم والمثابرة لبلورة قدراتهم وإلى إعطائهم الفرصة لكي يثبتوا قدراتهم في هذه الحياة وإلى الحرية التي تجعلهم يتحملون نتائج تصرفاتهم. هذا هو الطريق الوحيد الذي يستطيعون معه ان يقرروا لأنفسهم ماهي الاولويات التي تساعد على بناء

حياتهم. ومن خلال عناية وتوجيه الكبار لهؤلاء الاطفال بتولد عندنا اناس لديهم احساس بالكرامة والرفعة وتحمل كبير للمسئولية الى جانب شعورهم بقيمة وقت الفراغ وكيفية السيطرة على القلق.

* * *

- اذا وجد الشيء فانه يوجد بكمية معينة. وما وجد بكمية معينة يمكن قياسه.
«ادوارد ثورنديك»
- ان الذكاء هو قدرة الفرد الشاملة التي تمكنه من التصرف بتعقل والتفكير بترث والتعامل مع محيطه بلباقة وكياسة.
«دافيد وكسلر»
- ان نسبة الذكاء التي تحصل عليها من اختبار ذكاء فردي قد ظهرت علاقتها بالسلوك اكثر من اي مقياس سيكولوجي اخر. فاختبار الذكاء يعطي تقديرا افضل للامكانيات اكثر من اي مقياس للتحصيل.
«جيروم ساتلر»
- يجب ان نتوخى الحذر من ان نعرف الذكاء فقط في ضوء القدرة على النجاح في الاختبارات الموجودة في اي مقياس للذكاء. ويجب أن ندرك قبل أن يلفت نظرنا احد بأنه يوجد هناك مقياس يمكن من خلاله تقويم القدرة على معالجة جميع انواع المواد الموجودة في كل مستويات الذكاء.
«لويس ترمان»
- ان قياس اعلى قدر من الذكاء هو القدرة على احتواء فكرتين متضادتين في نفس الوقت مع الاحتفاظ بالقدرة على الاستمرار في تأدية العمل.
«سكوت فيتزجيرالد»



الفصل الثالث

التعرف على المتفوقين واختبارهم

ان تعريف الذكاء لمهمة صعبة لأن الذكاء هو صفة معقدة وكيفية قياسها وتحديدتها تكون اكثر تعقيداً. فهناك العديد من المحاولات لوضع تعريف خاص للذكاء متفق عليه ولكن جميعها او اكثرها باء بالفشل. أما الشيء المعترف به فهو ان الذكاء صفة موجودة بين الناس ويمكن تحديدها بطرق عديدة، وليس بطريقة واحدة.

وكما ذكرنا في الفصل الاول من الكتاب فإن هناك اختلافات هامة تظهر بين الاطفال المتفوقين، ومن المحتمل انهم اكثر اختلافا من الناحية العقلية عن الاطفال العاديين. ومع ذلك فإن هؤلاء الاطفال لديهم خصائص عقلية مشتركة نوقشت باسهاب في كثير من الكتب الاخرى وفي الجدول التالي بيان موجز بهذه الخصائص.

جدول رقم (٣)

الخصائص العقلية الخطية للاطفال المتفوقين

- ١) لديهم كثير من المقدرات بالمقارنة بأقران سنهم.
- ٢) لهم القدرة على القراءة المبكرة اكثر من الاطفال العاديين وغالبا ما يكون ذلك في سنين ما قبل المدرسة.
- ٣) فهم اعمق لدقائق اللغة.
- ٤) قدرة على التركيز والثابرة والانتباه لوقت طويل.
- ٥) قدرة على تعلم المهارات الاساسية بسرعة وبدون تمرين.
- ٦) متعددو الاهتمامات والميول.
- ٧) حب استطلاع مرتفع مع معين لا ينضب من الاستئلة.
- ٨) حب التجارب وعمل الاشياء بطرق مختلفة.
- ٩) تركيب الافكار والاشياء بطريقة غير عادية وغير واضحة (التفكير التباعدي).
- ١٠) القدرة على حفظ كمية كبيرة من المعلومات.
- ١١) حاضرو البديهة.

كم من هذه الخصائص نحتاجها ليكون لدينا طفل متفوق وكيف نقارن الطفل المتفوق مع غيره؟ وهل يجب ان يتمتع الطفل بجميع هذه الخصائص ليكون متفوقاً ومن يقرر ذلك، وعلى اي اساس يكون هذا القرار؟ كل هذه الاسئلة تدور في اذهاننا وخصوصا في اذهان الاباء عندما يواجهون طفلا متفوقاً أنهم لا يستطيعون ان ينتظروا نتائج الاختصاصيين الذين دأبوا على تحليل كلمة التفوق واعطائها تعاريف كثيرة كالعبقرية او الموهبة ولا يزالون يبحثون في هذا المضمار حتى يتمكنوا من الوصول الى نتيجة.

١ - المعلمون:

في الحقيقة أن أول من يلاحظ الطفل المتفوق هم المعلمون سواء على مستوى ملاحظة الطفل من خلال تصرفاته الشخصية أو من خلال انجازات هذا الطفل في المجموعة. وغالبا ماتكون هذه المجموعة من المعلمين هي الموجهة للبرامج المعدة لخدمة الطفل المتفوق. ولكن البحوث اثبتت ان كثيرا من الاطفال قد يغفل بعض المعلمين عن التعرف عليهم، وبالعكس وقع اختيار المعلمين على بعض الأطفال وما لبثت الدراسة ان اثبتت انهم غير متفوقين، ذلك أن صعوبة التعرف على الطفل المتفوق هي مشكلة واجهت العديد من المربين وما زالت الدراسة تجري لكي يعرف الطفل المتفوق في الوقت المناسب.

٢ - اختبارات التحصيل الجمعية:

ان الاختبارات الجمعية هي وسيلة أخرى للتعرف على الطفل المتفوق. فباستخدام هذه الاختبارات التي هي عبارة عن اختبارات لقدرة الطفل على الانجاز تسعى المدارس إلى الاستدلال على قدرة الطفل العقلية. وتعتقد الهيئة التدريسية عموما بان الطفل اذا كانت درجته عند المثتي والتسعين وما فوق فلا بد ان يكون له قدرة عقلية متفوقة. ولكن هذه الافتراضات لاتكون صحيحة دائما والسبب الاول في ذلك ان بعض انجازات الاطفال في المراحل الاولى من العمر تكون عظيمة نتيجة الشغف غير الطبيعي بالتعليم واثبات الذات ولكن قدراتهم العقلية اذا قيست وجدناها فوق المتوسط بقليل. والسبب في أن البعض الآخر من الاطفال لا يبدون قدراتهم الحقيقية يرجع لعدم وجود الدافع الذي يتفق وطبيعتهم الخلاقة او لنوعية هذه الاختبارات التي ربما تقيس القدرة اللفظية أكثر من قياسها للمستوى العقلي الفعلي للمتفوق.

وهذه الاختبارات لها نفس نواحي النقص في اختبارات التحصيل فهي ايضا غير كافية للتعرف على حوالي ٥٠% من الاطفال المتفوقين. والفرق كبير بين نتائج الاختبارات الجمعية والاختبارات الفردية للقدرة العقلية للطفل ويرتفع هذا الفرق كلما ارتفع مستوى الطفل العقلي.

ولذلك يجب على الاهل اذا ملاحظوا ان لديهم طفلا متفوقاً ألا يتخلوا عن هذه الفكرة اذا اتت الاختبارات الجمعية بعكس توقعاتهم. ويجب ان يواصلوا البحث والمناقشة مع مدرس هذا الطفل حتى يتبينوا الحقيقة لأن هذه الاختبارات الجمعية - كما ذكرنا - سواء كانت على المستوى الانجازي للطفل او للمستوى العقلي لا تكون دائما صحيحة مائة بالمائة.

لذلك ننصح الاباء بأن يعاملوا الطفل الذي لديهم شك في انه طفل متفوق على انه متفوق فعلا على الاقل الى أن يصل للسنة الثانية او الثالثة الابتدائية ونحن بذلك لانوصي بأن يبحث الاباء هؤلاء الابناء على الانجاز واثبات هذه الصفة، بل بالعكس يجب على الاباء ان يشجعوا اي صفة ايجابية حتى يساعدوا الطفل لكي يثبت نفسه.

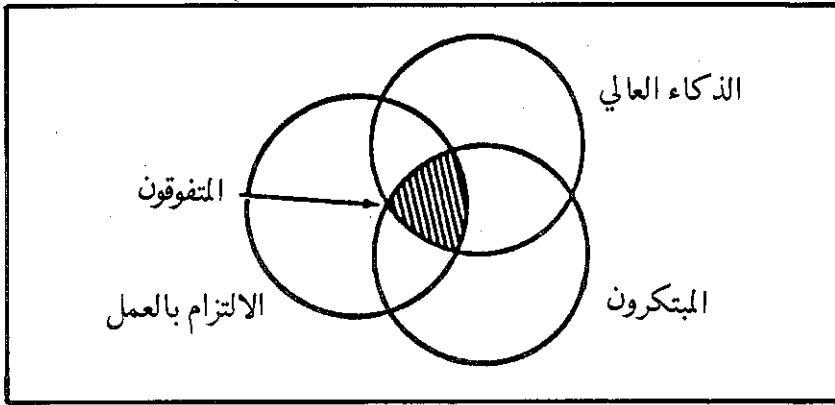
وعندما يطالب الآباء باجراء اختبارات فردية لأطفالهم بواسطة نفسيين مختصين فإنهم بذلك يتحسبون للمستقبل وكيفية توجيه هذا الطفل في حياته الدراسية، ولذلك يجب على الاهل ان يعرفوا نتيجة هذه الاختبارات النفسية لأطفالهم حتى تكون لديهم المعرفة الحقيقية بقدراتهم.

ومع أن هذه الاختبارات تقرر وضع الطفل النفسي والتعليمي الا ان كثيرا من القائمين بالعمل في المدارس تنقصهم الخبرات اللازمة في الاحصاء والقياس ربّما بنسبة اكبر بكثير من الاهل الذين قد يعلمون الكثير عن هؤلاء الاطفال بحكم علاقتهم الوطيدة، ولذلك يجب على المختصين النفسيين تفسير هذه الاختبارات للمسؤولين بالمدارس.

وإذا قارنا الاختبارات الفردية بالاختبارات الجمعية، نرى الاولى ذات فائدة اكبر لأن الاختبار الفردي يعطي الفرصة للطفل على التركيز التام على موضوع الاختبار، لأنه يستخدم كل طاقاته من خلال هذا الاختبار. وإذا كانت هذه الاختبارات موجودة فانها تعطي القرار للمقارنة بين الطفل وغيره من الاطفال في نفس عمره. وهذه الاختبارات مهمة وخصوصا عندما تكون في

حاجة الى دليل موضوعي لإقناع الهيئة التدريسية لكي تتخذ موقفا تجاه هذا الطفل. وبالرغم من النتائج الحسنة التي حصل عليها بعض الاطفال من خلال هذه الاختبارات، فلا زالت الجهات المختصة في المدارس تعتبر هذه النتائج غير صحيحة. وفي هذه الحالة يجب على المربين والسيكولوجيين المختصين في هذا الحقل التدخل واقناع الجهات المختصة بصحة هذه الاختبارات وقيمتها وتقديم بعض المعلومات المؤيدة لآرائهم.

نموذج زنزوي للتعرف على التفوق



شكل ٣ نموذج زنزوي

نموذج زنزوي

إن التعرف على الاطفال المتفوقين من خلال النظم المدرسية تتضمن ثلاثة عوامل تتشابه مع بعضها البعض (شكل ٣).

وهذه العوامل هي القدرة الفعلية والقدرة الابتكارية والالتزام الكبير بالعمل فنحن من خلال هذه الطريقة التي تستعمل بكثرة، يمكننا التعرف على الاطفال المتفوقين. إن الطفل هنا يجب ان يتحلى بهذه الصفات الثلاث حيث تندمج مع بعضها ببعض بطريقة مقبولة. ومعنى اخر فإن طريقة زنزوي تعني ان القدرة التحصيلية العالية وحدها غير كافية للتعرف على الطفل المتفوق، اذا لم توجد الدوافع التي تعزز هذه القدرة وتعب عنها بطرق خلاقة.

ولأن هذه الطريقة تركز على التعبير الواضح عن التفوق فهي تتجاهل الاطفال المتفوقين الذين لا يملكون الدافع للتعبير عن مواهبهم او غير راغبين في ذلك لأي سبب من الاسباب.

والطبيعي ان لا يظهر الطفل الموهوب في بعض الاحيان مقدرته على التحصيل العلمي أو يظهر مواهبه حتى اتجاه الاختبارات العادية مع العلم بأن لديه مقدرة عقلية كبيرة. فهناك اطفال موهوبون على مقدرة عقلية كبيرة ولكنهم يفتقرون إلى القدرة على التحصيل العلمي أو أظهار مواهبهم في الاختبارات التقليدية في مدارسهم. والسبب في ذلك يرجع الى ان بعضهم ينقصه التشجيع وربما يحتاج الى مساعدة خاصة من اناس مختصين. وهؤلاء يعانون من مشكلة عدم وجود دافع لديهم لإظهار مقدراتهم امام الناس وهذه المشكلة تشكل حجر عثرة في طريق تحصيلهم العلمي وربما يكون سببها القلق والمعاناة النفسية. وقد تكون المشكلة في طريقة التدريس او وجود المواد المدرسية.

وطريقة رنزولي واسعة الانتشار لأنها تركز على التحصيل العلمي من المواد المدرسية كما ان الاطفال يتعلمون بطرق مختلفة، ولديهم قدرات عقلية مختلفة، هذا بالاضافة الى ان اختلاف الجنس يؤثر على التحصيل العلمي. فنجد ان الفتيات خلال المرحلة الابتدائية يتعلمن بطريقة افضل اذا قدمت لهن المعلومات بطريقة لفظية بحتة. اما الأولاد الذين في نفس السن فيتعلمون افضل من الطرق المرئية. ولكن الوضع يختلف في الكبر فيبدأ الأولاد في التعلم بشكل افضل من الطرق اللفظية ولذلك فإن التركيز على الطريقة اللفظية (الشفهية) في جميع المدارس في وقتنا الحالي خصوصا في المراحل الأولى من التعليم غالبا ما تكون بمثابة اعاقاة لتقدم الطفل. فهناك فئة من الاطفال الذين يعيش معظمهم في اجواء عائلية تستعمل لغة كلامية مختلفة عما يستعمل في المدارس كما ان انفتاحهم على العالم الخارجي محدود. فالتعرف على هذه الاقلية من الاطفال يشكل صعوبة اكثر من التعرف على غيرهم، كذلك فان استخدام الاختبارات الجمعية مع هؤلاء الاطفال يشكل مشكلة كبيرة.

وهناك مجموعة من الاطفال المتفوقين الذين يفكرون و يتعلمون بطرق مختلفة كلية عن غيرهم من الاطفال فمنهم من يفكر بطريقة موسيقية او بطريقة موقعية او من خلال التفكير الفعلي باستخدام العلاقات الرياضية او المكانية. ولابعض الاخر يتعلم افضل عندما يقوم بعمل ما بشكل فعلي كمثل الطفلة التي تعلمت عناصر الجدول الكيمائي عن طريق الرقص ثم عن طريق تخيل نفسها تقوم بذلك.

الدماغ الأيمن والدماغ الأيسر:

هناك بعض الأفكار المثيرة التي ظهرت عند مناقشة ما يعرف بالأطفال ذوي الدماغ الأيمن والأطفال ذوي الدماغ الأيسر وعلاقة ذلك بالتحصيل والذكاء. ومن الطبيعي ان يستعمل الانسان الجزأين من الدماغ ولكن البحوث قد اثبتت ان بعض الناس غالباً ما يستعملون جزءاً من الدماغ اكثر من الجزء الاخر و ينتج عن ذلك التركيز على جهة معينة من الدماغ. اي ان الاختلاف في طريقة التفكير وحل المسائل الحسابية وطريقة التحصيل والذكاء يمكن تلخيصها كما هو مبين في جدول رقم (٤).

جدول رقم (٤)

بعض الطرق المفضلة للمعرفة طبقاً للتخصص الدماغى	
تخصص الدماغ الايسر	تخصص الدماغ الايمن
١- يفضلون الشرح اللفظي	١- يفضلون الشرح المرثي
٢- يستخدم اللغة ليتذكر	٢- يستخدم الصور العقلية
٣- يعالج المعلومات بطريقة متتالية	٣- يعالج المعلومات بطريقة كلية
٤- ينتج الافكار بطريقة منطقية	٤- ينتج الافكار بطريقة حدسية
٥- يفضل الاعمال التي تتطلب تفكيراً محسوساً	٥- يفضل الاعمال التي تتطلب تفكيراً مجرداً
٦- يركز على عمل واحد دائماً	٦- يتعامل مع اكثر من عمل في وقت واحد
٧- يفضل النشاطات التي تتطلب البحث والتنقيب	٧- يفضل النشاطات التي تتطلب التأليف والتركيب
٨- يفضل الاعمال المنظمة والمرتبطة	٨- يرتجى في مالمديه من معطيات
٩- يفضل الخبرات المحددة	٩- يفضل الخبرات المفتوحة غير المحددة
١٠- يفضل تعلم الحقائق والتفاصيل	١٠- يفضل الحصول على فكرة عامة
١١- يواجه المشاكل بجديّة	١١- يواجه المشاكل بطريقة غير جادة

ونلاحظ ان الاطفال ذوي التركيز على الجهة اليسرى من الدماغ يهتمون اكثر بالمنطق والتحليل والتخطيط ولبراز الحقائق. واما الذين يستعملون الجزء الايمن فهم اكثر تفضيلاً للاشياء المرئية و يستعملون الصورة التمثيلية و يفكرون بطريقة بدئية بسيطة.

فاذا تساءلنا أي المجموعتين افضل؟ فإنه يمكن القول بأن ذلك يعتمد على العمل الذي يقوم به الطفل، فالطفل الذي يستعمل الجزء الايمن يميل الى ان يكون فنانا موسيقيا او حتى عالما طبيعيا نظريا. أما الطفل الذي يستعمل الجانب الايسر فهو يبدع عندما يكون محاميا او محاسباً لأن ذلك يتطلب دقة ونظاماً معيناً في الحياة.

ولكن المشكلة التي تظهر لدينا هنا اذا كان الطفل يستعمل الجزء الايمن من دماغه بينما يقوم بتعليمه مدرس يستخدم الجزء الايسر فنكون بهذا التضارب كمن يحاول خلط الماء والزيت او تعليم الدلفين كيفية استعمال الة كاتبة - فالمدرس او المدرسة تطالب التلاميذ بطريقة نظامية منطقية وطريقة شفوية في التعلم ولكن هذه الطريقة لاتناسب الطفل الذي يتعلم اسرع بالطرق المرئية الحسية والتوصل الى المعلومات بطريقة حرة. لذلك يجب على اهالي هؤلاء الاطفال ان يضعوا دائما في اعتبارهم ان جميع المدارس تخدم الاغلبية وهم الاطفال الذين يستخدمون الجانب الايسر من الدماغ. و يلاحظ ان اختبارات الذكاء أو التحصيل الجمعية تركز بشكل كبير على وظائف الجزء الايسر من الدماغ ولذلك لاتعطي معلومات كافية عن نماذج وقدرات خاصة ومستويات تحصيلية تصلح للتوزيع في برامج خاصة. فالاطفال يمينيو الدماغ يعالجون حل المشكلات بطريقة مختلفة لاتصلح الاختبارات المعروفة للتحصيل والاستعداد والذكاء لقياسها.

وتقيس اختبارات الذكاء اداء الطفل المتفوق كما يظهر وقت الاختبار ولا يتمتع كل الاطفال بايام جيدة باستمرار فقد تكون استجاباتهم أياماً، و يقابلهم اياما اخرى المرض والاجهاد والتعب والخوف، وهنا تكون استجاباتهم غير جيدة وهذا بالطبع سيؤثر على نتائج اختبارهم العقلي. لذلك فإن نتائج الاختبارات العقلية على هؤلاء الاطفال هي في الواقع عبارة عن تحديد حالة الطفل المعيشية، فيجب ان يجرى هذه الاختبارات نفساني مطلع على حالة الطفل. والمطلوب من الاخصائي النفسي ان يكون لديه مقدرة جيدة على الحكم على الاشياء وعلى التعامل مع الاخرين لكي يساعد الاهل على ان لا يعتبروا نتائج هذه الاختبارات كنهاية المطاف مع اولادهم انما يعتبرونها كنواة لتعزيز موقف معين من هؤلاء الاطفال وتقديم الحكم المهني السليم.

وكما ذكرنا من قبل فإن الذكاء يختلف عن التحصيل، كما ان اختبارات الذكاء تختلف اختلافا كبيرا عن اختبارات التحصيل. فاختبار الذكاء يقيس قدرة الطفل بوجه عام وبعض القدرات الفردية الخاصة، اما اختبارات التحصيل فتقيس ما يتعلمه الطفل في مجال محدود.

والقدرة الخاصة للطفل التي يظهر بها قدرته على الابداع هي بالطبع ترجع الى كون الطفل يتمتع بالذكاء والقدرة على الانجاز ولكنهما يختلفان تماما فهناك اختبارات خاصة لمعرفة قدرات الطفل الابداعية سواء في مجال الفنون أو الموسيقى أو غيرها من المجالات.

وهناك جدل قائم منذ امد بعيد حول كون الذكاء صفة مكتسبة من البيئة او مورثة. ولقد تركزت جميع الابحاث على دراسة التوائم المتشابهة حيث أخذ كل واحد من التوائم لتنشئته في محيط يختلف عن الاخر فنتيجة هذه التجربة هو ان حوالي ٦٠% الى ٧٠% من التشابه في نسبة الذكاء ترجع الى الوراثة وهذه النتيجة طبعا لاتعني ان اغلب الاطفال المتفوقين ينحدرون من عائلات ممتازة. فان البحوث اثبتت ان حوالي ٣٠% من الاطفال المتفوقين يأتون من عائلات متخلفة ذات خلفيات بسيطة، أي ان الاطفال المتفوقين يأتون من مزيج من العائلات التي تتكون من خلفيات مختلفة، وانه لمن المؤكد ان المحيط الذي يعيش فيه الطفل له اثره على تحديد قدرته العقلية، فالذكاء يمكن ان ينمو عن طريق التنشئة الصحية ويمكن كذلك ان يتدهور عن طريق الاهمال او اساءة استعماله. فترى ان الاطفال الصغار جدا ينمو ذكاءهم بطريقة ملحوظة عندما يجودون الرعاية الانفعالية التامة والغذاء الروحي الذي يساعد على نمو نسبة ذكائهم بمقدار عشر درجات الى عشرين درجة.

ومع ان الذكاء هو صفة عامة الا انه يتكون من مجموعة من المركبات التي قد تختلف كثيرا من حيث مستوى الطاقة الكامنة فيه او من حيث نموه. ففي بعض الاحيان يكون هناك طفل ذو قدرة عقلية عالية ولكنه يعجز عن ابداء قدرة عالية في بعض المجالات كالرياضيات مثلا. ان هذه الحالة تسمى العجز عن التعلم وهناك بعض الاطفال المتفوقين الذين يعانون من هذا العجز الذي يجعلهم يشعرون بالاحباط في كثير من الاحيان.

واكثر مقاييس الذكاء الفردية انتشارا أو أستعمالا هي :-

١ - مقياس وكسلر لذكاء الاطفال

رُوجع هذا المقياس واصبح يناسب الاطفال من سن السادسة وما فوقها كما بني مقياس اخر هو مقياس وكسلر لذكاء اطفال ما قبل المدرسة (بين ١/٢ و ٦ سنوات). وهذه الاختبارات تقيس الذكاء اللفظي منفصلا عن الذكاء العملي الذي يعتمد على التأزر البصري المكاني. ويمكن ان نعتبر هذين المقياسين مقابلين لما سبق ذكره عن وظائف الدماغ الايمن والدماغ الايسر، حيث تعكس نسبة الذكاء اللفظي ما سبق ذكره عن خصائص الدماغ الايسر، بينما نجد ان الدماغ الايمن يتعلق بنسبة الذكاء العملي.

وبالاضافة الى تقسيم هذه الاختبارات الى مجالين لفظي وعملي، فإن المجال يحتوي ستة اختبارات فرعية منفصلة و يقيس المقياس اللفظي المعلومات والفهم والمفردات والمتشابهات والحساب وإعادة الأرقام ويتناول المقياس العملي جوانب تتعلق بتكميل الصور وترتيب الصور ورسوم المكعبات وتجميع الاشياء واستخدام الرموز والمتاهات.

٢ - مقياس ستانفورد بينيه للذكاء

ويستخدم بشكل خاص مع من هم في مرحلة ما قبل المدرسة. وتبدأ هذه الاختبارات بمستوى الطفل في سن الثانية حتى مستوى البالغ الراشد. وهذا المقياس يتضمن ستة اختبارات مختلفة في كل مستوى من مستويات العمر. وبالرغم من ان اختبار (بينيه) لا يحتوي على اختبارات لفظية وعملية منفصلة الا ان من مزايا هذه الاختبارات ان لها سقفاً اعلى مما يتيح للاطفال وبخاصة الاصغر الحصول على نسبة ذكاء اعلى وبذلك يمكنهم ان يحققوا نتائج طيبة. والاختبارات الفردية للاطفال تكون عادة دقيقة نوعاً ما في سن الخامسة والسادسة ولكن بعد هذين العمرين فإن النتائج غالباً ما تبقى كما هي في حالة توازن. أما في سن السادسة الى الثامنة فان التغير في درجات هذه الاختبارات ربما لا يزيد على ثماني درجات في حوالي ٨٥% الى ٩٠% من الحالات المختبرة وهذا يعتبر دقة كافية في اغلب الحالات. واغلب هذه الاختبارات ربما تقلل من قدرة الطفل الحقيقية عند الاختبار ولكنها لا تعطي الطفل نتيجة عالية من غير ان يكون خليق بها اي ان هذه الاختبارات تتوخي الدقة التامة في نتائجها.

ومما يساعد في تخطيط سيردراسة الطفل المتفوق وما نتوقع منه من انجازات هو هذه الاختبارات العقلية والتحصيلية في حوالي سن الخامسة وتعاد هذه في سن العاشرة او الحادية عشرة. فقد يكون الطفل في مدرسة لا تجري هذه الاختبارات لتلاميذها الا اذا ظهرت مشكلة معينة عند الطفل المتفوق أو اذا غفلت عين المدرس عنه، ولم يكتشف حتى سن متأخرة مثل سن العاشرة مثلاً. وبناء على بعض الدراسات فان ٥٠% من قدرات الطفل العقلية تظهر في عمر الرابعة و٨٠% تظهر عندما يصل الى الثامنة ولذلك فإن معرفة الطفل المتفوق المبكرة ربما لا تستطيع ان تمنع مشكلة عدم القدرة على الانجاز اذا وجدت عند طفل معين ولكننا ربما نستطيع ان نعالجها اذا تواجدت أمامنا في وقت مبكر.

ومن هنا نجد من المهم ان نعلم ان تنمية الذكاء لا تكون بطريقة مستمرة سهلة. فبعض الاطفال لديهم صفات وراثية تجعل تقدمهم العقلي يتلاءم مع نموهم الجسمي حتى مرحلة النضوج. ويكون هذا التلاؤم تارة متدفقاً واخرى متوقفاً، وعندما تختلف طريقة النمو الفردي اختلافاً ملحوظاً فإن الاختبار مرة ثانية يكون مهماً لأنه سيقدر مدى تأثير هذه الاختلافات في مدى التلاؤم بين النمو العقلي والجسمي وأثر ذلك على قدرة الطفل على التحصيل او اداء اي عمل آخر.

ومن الافضل ان تجرى الاختبارات خارج نطاق المدرسة، حتى تعطي الفرصة للاهل لاختيار الملائم لاختبار الطفل. علاوة على ذلك فإن المدرسة غالباً ما تكون جزءاً من مشكلته. فيجب على الاهل ان يختاروا المكان الذي يكون بعيداً عن تأثير المدرسة. وكذلك على الاهل ان يضعوا في اعتبارهم دائماً بان المختصين في رعاية الاطفال في المدارس هم في أغلب الاحيان غير مؤهلين للتعامل مع الطفل المتفوق فهم يضيعون معظم وقتهم في التركيز على الاطفال الذين لديهم تأخر أو لديهم عاهات تعليمية تمنعهم من التحصيل العلمي العادي.

كما أن بعض المختصين لم تتح لهم الفرصة من قبل في التعامل مع الاطفال المتفوقين لذا يجب على الاهل عندما يقصدون أحد المختصين ان يتأكدوا من قدرته على التعامل مع الاطفال المتفوقين؟

ان علم النفس اليوم يؤمن باعادة التقويم في حالة أي طفل متفوق وهذا أمر شديد الاهمية للأهل خصوصاً اذا احسوا بان المدرسة ومن فيها من مسئولين قد أساءوا تقويم الطفل.

ويوجد بكل ولاية في الولايات المتحدة الامريكية رئيس لبرنامج الاطفال المتفوقين ومن هنا يمكن للاهل ان يتوجهوا الى أقرب مركز لتقديم برامج مخصصة للاطفال المتفوقين الذي بدوره يمكن ان يكون مصدرا وملاذا ومرجعا لهؤلاء الاهل. و يعتبر منظمو برامج المتفوقين ينبوعا وموردا للتعاطف والحماس الشديد ويكرسون جهودهم لإظهار احسن ما عند الآخرين.

والخلاصة انه من المهم جدا ان لا يعتمد الاهل كلية على رأي المدرسة في الطفل المتفوق فحسب، انما يجب ان يلجأوا الى المصادر الاخرى الكثيرة المتوفرة لديهم — كما ذكرنا — مثل المختصين الذين يستطيعون تقويم الطفل من حيث ذكائه وقدراته. كما أن نظرة الأهل ورأيهم في طفلهم لها أهمية كبيرة حيث ان لكل هذه الأختبارات دائما بعض القصور اي انها لا يمكن ان تعتبر الحد الفاصل.

ويجب علينا ان نتذكر دائما عندما نحاول التعرف على الطفل المتفوق ان كثيرا من هؤلاء الاطفال لا يظهرون قدرة حقيقية في تقدمهم الدراسي اذ ان الدوافع تنقصهم وعدم تحصيلهم الكافي في المدرسة يكون له اسباب كثيرة سوف نبحثها في الفصل القادم.

بعض الاسئلة التي يكثر طرحها حول التعرف على الطفل المتفوق.

— لقد عرفنا ان طفلتنا متفوقة ولكن ما مدى تعرفها على نفسها هي؟ هل يجب علينا اخبارها بأنها طفلة متفوقة؟ هل يجعلها ذلك تشعر بالتعالي والاختلاف عن غيرها من الاطفال الاخرين؟

بطريقة او باخرى لا بد للاهل ان يشرحوا للطفل بانه متفوق ومختلف عن غيره من الاطفال. فإن الطفل في سن الثالثة أو الرابعة سيشرح بأنه يختلف عن غيره وفي سن السادسة عندما يدخل المدرسة سيحتاج بعض الشرح والمساعدة في هذا المجال. لأن الطفل قد يستنتج بنفسه بعض الحقائق التي قد لا تكون صحيحة مثل شعوره بأنه غير محبوب لأنه مختلف عن الاخرين او شعوره بان الاخرين لا قيمة لهم بالنسبة له. وبما أن اغلب الاطفال المتفوقين يكرهون كلمة التفوق فيمكن الاستغناء عنها بكلمات اخرى مثل طفل خاص او سريع أو موهوب أو سريع التعلم. ولا بد من التركيز على ان الاطفال الآخرين لديهم العديد من المواهب الخاصة التي تختلف عن مواهب الطفل ولكنها ليست بأقل منها أهمية. فإن التركيز على الشعور بالتعاون المتبادل بين الاطفال المتفوقين وغيرهم من الاطفال العاديين يكون الحد الفاصل بينهم وبين الغرور أو يقف عائقاً في طريق غرورهم.

— ماهو تأثير ادخال الطفل في سن مبكرة الى المدرسة وتخطيه بعض الصفوف عليه انفعاليا ونفسيا؟

ان نصف الاطفال المتفوقين قد علموا انفسهم القراءة قبل دخولهم المدرسة. فبعضهم تعلم القراءة في سن الثانية واخرون تعلموها في سن الرابعة. فالسؤال هنا في موقعه. فهناك بعض الاطفال المتفوقين الذين يتخطون صفا دراسيا من غير اي عناء لأن نضوجهم الانفعالي يكون ملائما لتقدمهم هذا. ولكن هذا لايعني أن المشاكل لن تواجه هذا الطفل ابدا. فمثلا إذا كان الطفل اصغر سنا في الصف فإنه سيواجه صعوبة في المستقبل لأنه في سن المراهقة سيكون الاخير الذي يحصل على رخصة القيادة والاخير الذي يتعدى سن المراهقة والبلوغ بين الاولاد في فصله وبمقارنة هذه النتائج السلبية بالضجر والملل الذي يحس به الطفل المتفوق القادر إذا ما اجبر على التخلف نجد تأثير النتائج الأخيرة أكثر خطراً على الطفل. الا ان ذلك الذي يواجهه الطفل قد لا ينطبق على جميع المدارس فهناك الكثير من المدارس التي تضع برامج تعليمية مكثفة للتقدم بالطفل الموهوب الى مستوى يجعله قادراً على السير بسرعة في دراسته، إلا أن تخطي صف او صفين يحتاج الى دراسة متأنية إذ لا بد من التأكد من مقدرة الطفل على تحملها فلا بد من استشارة المختصين التربويين النفسيين قبل القيام بهذه الخطوة. وقد يكون تخطي صف واحد افضل بكثير للطفل اذا ما صاحب ذلك البرامج المركزة خارج المدرسة. وبالرغم من هذا كله فهناك بعض الاطفال المتفوقين الذين استطاعوا النجاح حتى بعد تخطيهم صفين في وقت واحد. فمقدرة الطفل المتفوق لا حدود لها في بعض الاحيان ولذلك لا بد لنا من التعرف عليه أكثر فأكثر.

— ان الاخصائي النفسي بالمدرسة قد اخبرنا بأن طفلنا متفوق ولكنه لم يعطنا بالضبط

نسبة ذكائه. هل معرفة هذه النسبة مهمة لنا؟

قد لا يكون من الضروري للاهل معرفة نسبة ذكاء اطفالهم ولكنه قد يكون من الافضل معرفة مدى الثماني او العشر درجات التي تقع فيها هذه النسبة. فهذا يسمح بالتباين الطبيعي الذي يحدث في مثل هذه الحالات. والمعروف ان هناك مدى امثل لنسبة الذكاء التي يقع فيها المتفوق وهذا المدى يتراوح بين ١٢٥ — ١٤٥. وفي حدود هذا المدى فإن معرفة النسبة في الحقيقة

غير مهمة لأن الطفل يكون لديه القدرة الكامنة للقيام بأي عمل يختاره. وإذا تعدت نسبة الذكاء ١٤٥ وزادت عن ١٦٠ فإنك في هذه سوف تحتاج الى معلومات اكثر عن نتائج هذه الاختبارات. وبغض النظر عن نسبة الذكاء فان الاهم من ذلك هو معرفة ما اظهرته النتائج من مواقف ضعف ملحوظه في الطفل ومواقع القوة الظاهرة فيه. ومن هنا يكون لدينا توقعات اكثر واقعية عن طفلنا لمساعدته في تطوير مواقع القوة عنده والتركيز على الاقلال من جوانب الضعف.

— لم تتعرف المدرسة على طفلي كواحد من المتفوقين بها مع انه يظهر كثيرا من صفات الاطفال الموهوبين. فهل هناك احتمال ان المدرسة قد اغفلت ذلك لسبب ما؟.

قد يكون من المحتمل ان تغفل المدرسة عن التعرف على الطفل مع أنه قد يكون متفوقاً وبالامكان للوالدين اختبار هذا الانطباع بعدة طرق منها مقارنة قدرات طفلك مع الاطفال الاخرين في نفس عمره، وقد يساعد في ذلك الرجوع الى المكتبات العامة التي تحتوي احيانا على كتب بها جداول عن مراحل نمو الطفل، ومناقشة الموضوع مع طبيب الطفل وعن كيفية اختلافه عن الاخرين، والحديث مع آباء الاطفال المتفوقين قد يكون خير دليل على مقارنة طفلك بالآخرين. وقد يكون من الممكن اخذ رأي بعض المختصين في هذا المجال خارج المدرسة عن قدرات الطفل. فإذا كان هؤلاء يؤيدون رأيك في طفلك مع ان المدرسة لا تعتبره متفوقاً فاعتبره متفوقا وحاول أن تقنع الجهات المختصة في المدرسة بأنه كذلك.

— ان اختبارات التحصيل في المدرسة اوضحت بأن مستوى طفلي أعلى بمقدار صنفين عن صفها الحالي، ولكن تقديراتها التي تحصل عليها هي عبارة عن تقدير جيد فقط أو مقبول في بعض الاحيان. فما العمل؟ هل اعتمد على نتائج اختبارات التحصيل أم اعتبر تقارير المدرسة هي المؤشر الصحيح لقدراتها؟

في مجال التحصيل لا بد من تصديق الاختبارات التي اجريت على الطفل لأنها لم تسجل هذا المستوى العالمي على غير اساس. وقد يكون لعدم اظهار قدرتها في الفصل سبب واضح، وقد يكون الحصول على درجات عالية غير مهم عند الطفلة لأنها تحاول اختبار موهبتها عند اصدقائها او تحاول تفادي بعض المشاحنات مع المدرسة أو مع الوالدين في المنزل، وقد يكون هذا واضحا بالنسبة للمراهقين الذين يواجهون بعض الصراعات النفسية عند رغبتهم في تحقيق الاستقلالية واطهارهم لمقدرتهم على التحكم بانفسهم فإذا اعطينا الطفلة الدعم العاطفي

والتشجيع، واتحنا امامها الفرص فإن هذه الطفلة ستكون قادرة على تحقيق نفس النتائج التي اظهرتها الاختبارات، ذلك انها سوف تصل الى هذا المستوى الانجازي في حياتها اليومية، وسوف تحقق ذلك اذا لم تصبح المدرسة محور صراع امام الطفلة.

* * *

— قد تستطيع اقتياد الجواد الى مكان الماء ولكنك لاتستطيع ارغامه على الشرب.

«مثل انجليزي».

— ان كل عقل انساني انما هو قوة عقلية غارقة في سبات عميق لا يوقظها الا الرغبة الملحة والعزم الاكيد على الدأب على العمل.

«ادجار روبرتس»

— ان الافتقار لشيء يجعلك تشعر بأهميتك هو قمة المأساة الانسانية.

«ارثر مورجان»

الفصل الرابع

الدافعية

ان من اكبر المشاكل التي يواجهها الاهل بخصوص المدارس هي مشكلة التأخر الدراسي وسببها عدم وجود الدوافع الكافية، فعندما يدخل الطفل المتفوق المدرسة، يتساءل الاهل إذا ما كان الطفل يستخدم كل طاقاته الكامنة أم لا؟ ففي خلال سنوات ما قبل المدرسة يُبدي الطفل حب الاستطلاع نحو كل شيء وهذا شيء بعيد عن الدافعية. ومع أن هناك علاقة بينهما الا إننا سنرجى مناقشته إلى فصل لاحق.

— وتنطبق الاوصاف التالية على الطفل المتفوق في مرحلة ما قبل المدرسة:
— وجود رغبات جامحة عند الطفل لتعلم كيفية عمل الاشياء من بدئها حتى نهايتها. عند ذلك يصل الطفل إلى هذه الحقائق ويحقق رغبته في المعرفة.

لماذا نجد ثغرة عند اغلب الاطفال المتفوقين بين قدرتهم الشخصية وأدائهم؟
ما هو السبب الذي جعل كثيرا من الاطفال الموهوبين يفقدون تلك الشعلة المتقدة؟
كيف يمكن لهذه الطاقة ان توجه بعد ان انطفأت شعلتها؟

نرجو ان تتمكن من الاجابة على هذه الاسئلة في هذا الفصل وان نعطي التوجيه للاهل والمدرسين لكي يتعاملوا مع هذه المشكلة.

نقص الدوافع

إن ما يمنع الطفل من الانتاج حسب قدراته قد يُعزى إلى عائق جسماني سواء كان هذا العائق في السمع او النظر او نوع من المرض العضال أو كما الحال عند بعض الشباب حيث تنتشر مشاكل سوء التغذية وتعاطي المخدرات والمشروبات الروحية، كذلك اذا رصدنا بصورة عامة حالة العائلة الانفعالية نجد هناك نوعا من المشاكل التي تستنفد كل طاقات الطفل الانتاجية. ومن أكثر هذه المشاكل انتشارا في المحيط العائلي الطلاق او انفصال أحد الوالدين عن الآخر، أو تنقل العائلة المتكرر الذي يمنع الطفل من تكوين صداقات دائمة هو في أمس الحاجة لها، وكذلك ما قد ينشب بين افراد العائلة الواحدة من شجار وحزازات.

ونتيجة لعجز الاهل عن تخفيف وطأة الموقف في هذه الحالات وتحت ضغط المشاكل يتجه التركيز على الطفل وعلى تحصيله ولكن من المستحسن ان يخفف الاهل من الضغط على الاطفال في تلك المواقف حتى لا يتعرضوا لأي انفجار. واذا كانت كل هذه العوائق لا تشكل مشكلة بالنسبة لعلاقة الطفل بوالديه ويظل يلقي التشجيع الكافي من الأهل وممن حوله فيجب أن يدرس الوالدان نظرة هذا الطفل بهما وعلاقتها به من وجهة نظره هو ومن حوله. ومن المفيد هنا ان نذكر الطفل بالأوقات التي كان بها مدفوعا بدافع قوي للعطاء، وما سبب هذا الدافع؟

من ناحية أخرى يجب مناقشة الطفل في هذه الأمور ومن خلال الاسئلة الحذرة نحاول ان نشعر الطفل بذلك الوقت الذي احس فيه بالعجز ونشجعه على حسن التقدير للنفس وللانجازات التي قام بها. وبعد هذه الخطوة يجب على الوالد ان يحاول مناقشة طفله عن سبب انغلاقه على نفسه وعدم تفاعله مع مشاعر الآخرين. ووظيفة الاهل هنا ان يؤكدوا شعور الطفل بقيمته كإنسان قادر على التحصيل والعمل المستمر والاعتزاز بالنفس. واذا لم يثمر الحديث والمناقشات مع الطفل فيجب اللجوء الى عدة طرق اخرى منها، أن يضع الاهل انفسهم على كرسي الاعتراف ويتساءلوا هل كانوا المثل الأعلى لأطفالهم في السلوك والابداع؟ وهل هم في الحقيقة متصلون باطفالهم اتصالا قويا؟ وهل يقضون معهم الوقت الكافي؟ وهل يريدون رغبة في التعلم امامهم؟ وهل يعطون اطفالهم الفرصة للتناقش معهم بطريقة ديمقراطية مفتوحة؟ والى اي حد يشجع الاهل هؤلاء الاطفال في جميع النواحي؟ كل هذه الاسئلة والاجابة عليها تتعلق بتحصيل الطفل وارتفاع الذكاء لديه.

والمكان الثاني الذي يجب التركيز عليه هو المدرسة والوضع السائد فيها، أو بالأحرى يجب أن تكون المدرسة المكان الاول الذي يهتم به بعد أن ينتهي الاهل من دراسة حالتهم العائلية. ان الطفل المتفوق يذهب الى المدرسة مغمورا بحب التعلم وحب استطلاع هائل للمجتمع الذي يحيط به كما يكون لديه القدرة على التعبير عن نفسه وعلى التكيف مع من يحيط به. ومن الواجب ان نقوى هذا الحماس الظاهر بالاضافة الى توليد احساس بالاعتماد على النفس والثقة بها. ان الاطفال الذين يظهرون هذه الصفات في مقتبل العمر يحصلون على نتائج عالية في مقدرتهم على التحصيل في سن السادسة والسابعة. كذلك اسقراطية هذا الطفل عاطفيا عند أهله ومعلميه تبشر بالخير حيث مقدرته الذهنية وتحصيله يكونان في مستوى عال حتى بعد الصف الثاني الابتدائي.

ولكن محافظة هذه الفئة المتفوقة والتي تقدر بحوالي ٣ من مجموع الاطفال على الحافز على التحصيل والابداع تبدو قليلة لأن المدارس التي يتعلمون بها ذات برامج معدة للاغلبية العظمى من الاطفال العاديين. لذلك يجد الطفل المتفوق نفسه في مواجهة مع المعلمين الذين يطالبونه بالتأقلم والتعود على طرق التدريس العادية. وانه لمن الطبيعي ان نجد بعض المعلمين الذين يستاءون من الاطفال المتفوقين ويحاولون احباطهم بكل الطرق فأما أن يستهزئوا بهم او حتى يحاولوا ان يعطوهم نتائج متدنية حتى يوقفوهم عند حدهم.

وهناك بعض المعلمين الذين يحاولون تجاهل الطفل المتفوق لكي لا يتحدى معرفتهم، ولكن ذلك لا ينطبق على جميع المعلمين. فهناك نوع من المعلمين والاهل الذين يساعدون الطفل ويؤازرونه حتى يتخطى جميع العقبات في حياته ويظل انتاجه مدعوما بتشجيعهم و يصبح تفوقه بهجة لقلوبهم. ان هؤلاء الاشخاص تكلمنا عنهم في السابق وعرفناهم بالجماعة التي تدعم الطفل وتسانده. وهذه المجموعة هي التي شجعت الطفل الموهوب واعطته احساسه باحترام النفس وقيمتها، وجعلت لديه القدرة للتعبير عن نفسه من غير خجل ولا تردد وجعلت هذا الطفل قادرا على المشاركة الوجدانية والعملية مع اخوانه الصغار ومدرسيه واهله. ان هذا الطفل الموهوب بفضل هذه المجموعة اصبح ثروة في حياة اهله وثرورة في محيط مدرسته وانسانا ذا قيمة فعلية في نظر نفسه.

ورغبة الطفل واستعداده للتعلم هي الكفيلة بتعليمه إذا كان يتمتع بالنضوج العاطفي الكامل والفرص المهيأة. فهنا يجب ان نركز على السبب الذي يعوق هذا الطفل عن التعلم. فإذا

كان الطفل يعاني من نقص في الدعم النفسي فإن جهود الآخرين لن تثمر في تعليمه. فقد نستطيع ان نجبر الطفل ان يدرس دروسه ولكننا لن نستطيع ان نجبره على استيعاب هذه الدروس، كمثّل الحصان الذي نأخذه الى منبع الماء ولكننا لا يمكن أن نجبره على الشرب. فالاكراه لا يمكن ان يعطي نتيجة، وعلى العكس فان الطفل المكروه على التعلم يستطيع ان يريح المعركة عندما تظهر نتائجه في اخر العام. فالاكراه سيتسبب في فقدان الدافع على التعلم. لذلك يجب مساعدة الطفل لكي يرى سبب رفضه للتعلم ونحاول ان نجد لديه الدافع الذي سيشجعه على التعلم تلقائياً.

ومن أهم العوامل التي تفقد الدافع عند الطفل للتعلم هي:—

- ١ — انه من الصعب على الطفل أن يرضي رغبات الآخرين وتوقعاتهم له ولكنه سهل جدا له ان يترك المدرسة.
- ٢ — يجد الطفل صعوبة في التعامل مع اهله ومعلميه.
- ٣ — انها طريقة لإثبات النفس لأن الطفل سيتغلب على اهله اذا اعلن عليهم العصيان.
- ٤ — استعمال عدم وجود الدافع كسلاح، فهو يتظاهر بأنه لم يحاول فعلا لأنه بذلك يحفظ ماء وجهه وينقذ كبرياءه.
- ٥ — عدم وجود الدافع لدى الطفل تجعله مقبولا اكثر من الاطفال الذين هم أقل موهبة منه.
- ٦ — يمكن ان ننظر لهذه الظاهرة على انها تعبير عن الكبت وعن احساس الطفل بالوحدة.
- ٧ — ربما تكون هذه هي طريقة الطفل في اجتذاب انظار الآخرين لمساعدته واعطائه الحنان والمحبة التي يحتاجها.

ولكننا ربما نتساءل ان هؤلاء الاطفال يجب ان يعلموا ان هذه الاسباب ليست كافية لتجعلهم يفقدون الدافع للتعلم. والحقيقة هنا ان هؤلاء الاطفال لو استطاعوا ان يستوعبوا كل هذه الظواهر لما ظهرت لديهم هذه الصفة الناشئة عن عدم القدرة على الاستيعاب لذلك يجب ان نحلل هذه المشكلة من زاوية اخرى.

اين نبدأ

لكي نساعد شخصا اخر لتكوين دافع للتعلم يجب ان نقدم الافكار والاعمال التي تتناسب مع احتياجات هذا الطفل. يجب ان نتعامل اولاً مع احساس الطفل في ذلك الوقت،

وجدير بالذكر ان الانسان يكون غالبا مدفوعا باحتياجاته النفسية هو ولا يمكن ان يندفع لأحتياجات غيره. فالطفل لا يؤثر فيه الفشل بقدر ما يرغب في انقاص شأن احد معلميه اذا حاول السيطرة عليه.

انه لمن المهم ان نلاحظ كيف يعتقد هذا الطفل انه من الافضل له ان ينطوي على نفسه و يقاوم احيانا مايريده منه الآخرون.

إننا بتوجيه الاسئلة المتفهمة لإحساس هذا الطفل نستطيع ان نبين له انه في النهاية يسيء الى نفسه بطرق لا يستطيع هو تبينها قبل حدوثها. لأن الطفل الذي يتصدى لسلطة الاهل والمدرسة يعتبر نفسه في معركة ويكون دائم التأهب للوثوب على هؤلاء الذين يرغمونه على عمل لا يرغب فيه. وفي هذه الحالة يتجه الاهل الى المدرسة على اعتبار انها المخرج الذي لا مفر منه لكي تساعد الطفل ولو بالطرق المتتوية لكي يقرر لنفسه ما يريد تعلمه ويقف الاهل هنا موقف المحايد من المدرسة حيث لا يستطيعون تأييد ما تقوم به المدرسة او شجبه وبما ان الطفل المتفوق يفضل دائما الاهداف الفلسفية على الاهداف العملية، والمنطقية فقد يجد الاهل انفسهم مضطرين إلى الاعتراف بتصور الاهداف الفلسفية في النظام التعليمي وذلك عند محاولتهم اقناع اطفالهم بأن الطرق العلمية يجب ان يكون لها الاولوية.

ما الذي يحفز سلوكنا

هناك تتابع هرمي من الحاجات التي وضعها (ماسلو) وهي تساعد على فهم نمو الانسان عامة وقد يساعد هذا على فهم بعض اسباب تصرفات طفلك. ان هذا التتابع مرتب من ابط حجات الانسان الى أكثرها تعقيدا والتي يمر بها الانسان من مرحلة الطفولة الى مرحلة الشباب.

١ - الحاجات الفسيولوجية (المستوى الاول)

ان الحاجات الاساسية للطفل كالجوع والعطش والتعب هي من أهم العوامل التي تؤثر في انتاجية هذا الطفل ومقدرته على الاستيعاب. فقد يفقد الطفل الجائع أو المتعب الدافع لتعلم الموسيقى مثلا الا اذا سد حاجته اولا. وعادة يحتاج الطفل المتفوق نتيجة لطاقاته الهائلة المزيد من العناية في التغذية.

٢ - الحاجة للامن (المستوى الثاني)

ان الطفل الذي لا يشعر بأنه بعيد عن الاخطار وانه يستطيع ان يحمي نفسه من جميع العواصف سواء كانت نفسية او جسمية لا يستطيع ان ينجز اي عمل . لذلك يجب علينا ان نوفر الحماية والاستقرار لهذا الطفل المتفوق لكي يشعر بالامان والطمأنينة .

٣ - الحاجة الى الانتماء (المستوى الثالث)

حاجات الطفل الجسمانية هي من اهم الاحتياجات التي يجب ان تتوفر له ، فبعد ان يشعر الطفل بالطمأنينة والحماية من اهله فانه يبدأ البحث عن شيء ينتمي اليه وانا من يندمج معهم ويشعرونه بالاحترام والتقدير . هذا الشعور بانه واحد من الجماعة يعطيه الاحاس بأنه مقبول لديهم كانسان وبكل مايفعله .

وحتى يجد الطفل تلك المجموعة التي يجب الانتماء اليها ليكون واحداً منها ، فإنه يسير في كثير من التجارب مع كثير من المجموعات وحيث ان الطفل لا يمكن ان ينتمي لكل مجموعة يقابلها في حياته ، فإنه يقضي وقتاً طويلاً من حياته لكي يقرر بنفسه انه مقتنع بمجموعة معينة ويريد ان ينتمي لها ويشعر بمحبتها له ورضائها عنه . ولا يمكن له ان يجد هذا الشعور عند كل من يقابله في حياته .

٤ - الحاجة الى تقدير الذات والحاجة الى الحب (المستوى الرابع)

عندما يحصل الطفل على احتياجاته الرئيسية فان دوافعه تبدأ بالتحول الى دوافع نفسية تنبع من الداخل . فيبدأ في التركيز على احساسه تجاه نفسه و يقلل من اهمية احساس الاخرين به اذا ما اختلف معهم في الرأي . فتبدأ قيمته الفردية في التبلور ، وهنا تبدأ مرحلة التعرف على جوانب من الحياة وعلى تكريس طاقاته ورغباته لحب الاخرين و يكافئ نفسه من خلال تقييمه الشخصي لها ...

٥ - الحاجة الى التفهم العقلي وتحقيق الذات (المستوى الخامس)

عندما يتحقق للطفل جميع الاحتياجات التي تكلمنا عنها من البداية فانه يبدأ بالتركيز اكثر على النفس وخصوصا على السؤال (من أنا). هل انا حر في اختياري؟ ما هواهم شيء يجعل الانسان انسانا؟ وكيف يجب على الانسان معاملة اخيه الانسان وغيره من الكائنات الحية.

يبدأ الطفل بالتعرف على قدرات قوته الذاتية الكامنة في داخله. وللطفل المتفوق قدرة غير عادية ويحاول ان ينمي ويحقق هذه القدرات من خلال ايجاد هذا الوازع أو الحافز في نفسه وكقاعدة عامة يجب على الطفل حتى يصل الى هذه المرحلة المتقدمة في معرفة ذاته وحوافزها ونوازعها أن يحقق في البداية حاجاته الاولى التي تكلمنا عنها مسبقا. ولو أن واحدة من هذه الحاجات الاولى لم تتبلور في حياة الطفل فانها غالبا ما ستظهر مهما بلغ الطفل من درجات المعرفة الشخصية الحقيقية بحاجاته ودوافع نفسه، وسيطئ ظهورها على كل ذلك وستكون المشكلة الرئيسية في حياة الطفل.

كيف نحول الدوافع

إذا اردنا أن نعرف كيف نحول الدوافع للطفل فلا بد لنا ان نرجع لما سبق ذكره من العوامل التي تؤدي الى عدم وجود حوافز. فإذا فهمنا محتوى هذه العوامل وطبقنا تلك الحقائق على انفسنا فقد بدأنا بالخطوة العملية الاولى، وعندما نتكلم فيما بعد عن موضوع تبادل الشعور فإننا لا بد من ان نفهم بأن الطفل مدفوع بحوافز، ولكنه ليس مدفوعا بالطريقة التي تروق لنا. ولتغيير هذا لا بد لنا من تعريفه باننا نود أن نهتم به وعليه يمكنه الثقة بنا وبأننا نفهم مشاعره واهتماماته لأنها قد تكون حساسة جدا. وحين يظهر الاحساس بالثقة بيننا وبين الطفل والاهتمام به وتعرف وجهة نظره ورغباته نكون قد توصلنا الى ثلاث نقاط لتغيير الحافز وهي النجاح المتتالي فتحديد الاهداف والعلاقات الشخصية.

١ - النجاح المتتالي

عند النظر الى الطفل سواء كان طفلا لديه الدافع للتعلم او لديه قليل من هذا الدافع او انه ليس لديه اي دافع يجب ان نضع في عين الاعتبار دائما النجاح المتتالي لهذا الطفل حتى نحصل على نتائج مرغوبة.

هذا المبدأ سيكون مُفيداً وستتعامل معه كثيراً في هذا الكتاب وفيه يظهر الشخص المدح والثناء والتشجيع لأقل محاولة في الاتجاه الصحيح يقوم بها هذا الطفل. وعندما ينجح الطفل في هذا المجال فإن الخطوة الثانية هي التركيز والتشجيع للطفل فقط في حالة تقدمه الى مرحلة اخرى وبذلك نكون قد قطعنا خطوات عديدة مع انها صغيرة ولكنها متتابعة وفي النهاية سنقترب من التصرف المنشود من هذا الطفل. ومن الجدير بالذكر ان نعلم ان الاطفال يتقدمون في المجالات التي يستمتعون بها وفي هذه الحالة يجب علينا ان نشجع المحاولة ولو كانت غير ذات قيمة. والمهم ان نوضح للطفل ان انجازاته الصغيرة هذه ستكون في مصلحته، وقد تكون هذه الفائدة جوهرية او عرضية.

اننا نعلم انه من الافضل ان يقوم الطفل بالعمل بدافع الرغبة في العمل وليس للحصول على مكافأة خارجية. ولكن في بعض الاحيان يكون تقديم هذا التشجيع ضرورياً، ويجب ألا يغيب عن اذهاننا ان المكافأة قد تكون اكثر فعالية اذا كانت مكافأة معنوية ككلمة حلوة او تشجيع على عمل او حتى امسك الطفل بنوع من الحنان والتفهم قد يغني عن هدية مالية أو هدية مادية من اي نوع. ولتشجيع الطفل على تعديل تصرفاته يجب ان تكون هذه المكافآت المعنوية متتالية الحدوث في جميع الاحيان حتى تبرز التصرف الجديد. وهنا يجدر بنا التوقف عند هذه النقطة لأهميتها والتي قد غابت عن اعين الجميع دائماً من قبل. إن تتابع تقديم هذه المكافآت هو اهم بكثير من حجم هذه المكافأة فمثلاً اذا اعطينا الطفل هـ بالونات مكافأة لحسن تصرفات متتالية فإن تأثيرها سيكون أكثر بكثير من اعطائه هـ بالونات في مرة واحدة. والخطأ الشائع الثاني هو الانتظار لوقت طويل قبل ان نكافئ الطفل او ندعمه. إن النتائج الفورية هي الفعالة.

عندما نتأخر في تقديم الثواب او المكافأة فإن الطفل سيتراجع عن انهماكه في... العمل الذي كنا نحاول دعمه وربما لا يربط بين المكافأة والعمل. ولكننا لاننكر ان الوالدين قد لا يتواجدان طول الوقت لكي يعززا تصرفات طفلهما ولكن علينا بقدر المستطاع أن نكون دقيقين في تقديم المكافأة لهذا الطفل مهما كانت بسيطة على ان تقدم في الوقت الذي يكون فيه في أمس الحاجة لها. وربما تكون هذه المكافأة ابتسامة تفهم أو لمسة حنان و يكون اثرها اكبر على هذا الطفل الذي هو في انتظار مثل هذا التشجيع على الدوام.

ولكي يظل هذا الطفل مدفوعاً لفترة طويلة ربما نواجه مشكلة وقد نحتاج مساعدة أكثر ممن يحيطون به. فالأهل يطلبون من ابنائهم ان يثبتوا لهم لفترة طويلة انهم يستطيعون القيام بعمل ما ويصعب هذا على الطفل لأن ذلك يتطلب تمرينا طويلا ولا يأتي هذا الهدف الا بعد مقدرة الطفل على الانجازات السريعة الصغيرة المتتالية. فيجب على الطفل ان يتعلم كيف يكافئ نفسه عندما ينجز هذه الاعمال الصغيرة السريعة المتتالية ولا ينتظر المكافأة فقط من والديه. فهذه تكون بمثابة الوقفة القصيرة على مفترق الطريق الطويل لأنجاز الاهداف العامة. ولهذا فإن هذه المكافآت تشكل جزءاً هاماً من حياة الطفل الموهوب وخصوصاً اذا ادى عملاً يتطلب الكثير من التركيز والفهم.

٢ - تحديد الهدف

يجب ان نحدد للاطفال اهدافهم لأن وضع الهدف غير الملائم لطبيعة الطفل ربما يجعله يشعر بالفشل. وقد يضع الطفل لنفسه اهدافاً وآمالاً أكثر من طاقاته البشرية كثيراً أو أقل منها كثيراً وقد يكون هدفه غير واضح يجعله غير قادر على تحديده أو التوصل اليه. فيجب على الاطفال المتفوقين كغيرهم من الاطفال العاديين ان يتعلموا كيف يحددون اهدافهم. لذلك يجب ان تكون هذه الاهداف مؤقتة معقولة ومنها ما يكون مناسباً للمدى البعيد. وحيث ان الاطفال المتفوقين كثيراً ما ينظمون حياتهم حول اهداف معينة فأن مذكرة كتابية يضعها الطفل تصف فيها هدفه المحدد قد تساعد في الحصول على هذا الهدف والتقيده به. وقد اتبع هذا الاسلوب في تعليم الكبار كيف يحددون اهدافهم في الحياة ويوضحون القيم الحياتية لهم. وباستخدام هذا الأسلوب يدون الطفل اهدافه ويلتصق بها ليجعلها جزءاً من حياته. وبما ان الطفل المتفوق له مقدرات ذكائية عالية فانه يستخدم هذا الاسلوب النظامي في فترات مبكرة من حياته.

وتحديد الهدف عموماً يجعله واضح الرؤيا وخصوصاً في الحالات الانسانية المعقدة. وقد يكون من الصعب تحديد الهدف المناسب لواقع ما اذا كانت له خيارات متضاربة، وخصوصاً بالنسبة للطفل الذي يصعب عليه اختيار البدائل التي قد تكون مناسبة في المدى البعيد ولكن لا فائدة لها في المدى القريب. فاذا تعلم الطفل منذ الصغر بعض الطرق لكي يوضح القيم ويعطي الاولوية للمناسب منها، فانه يستطيع التغلب على هذا التضارب في الخيار ويجعله بعيداً عن الارتباك. فعلى سبيل المثال قد يقوم الطفل بعمل مسرحية يمثل فيها أن ماتبقى له من العمر هو حوالي ٦ أشهر فقط وما قد يختار من الاعمال ليقوم بها قبل ان يموت. كيف يكرس نفسه ليكون قادراً على عمل هذا الشيء؟ وما تأثير ذلك على الآخرين؟ وما أهمية ذلك له.

كل هذا يتطلب من الاهل اختبار قيمهم في هذه الحياة. هل يتطلع الاهل الى طفلهم ليكون قائدا او خطيبا لطبقة معينة او انهم يتطلعون الى ما قد يبده هذا الطفل واهدافه وهل يعتقد الاهل ان اهدافهم عملية لهذا الطفل. هل هم يتوقعون ان يكون هذا الطفل مهنيا في المستقبل حيث توفر له هذه المهنة الضمان المعيشي أم هم يفكرون بطريقة فلسفية حيث يرجون ان يكون هذا الطفل قد حقق كيانه. والبعض يطالبون الابناء بتحقيق الكيان والضمان معا. وماهي الاهداف المعقولة التي حددها الاهالي لأطفالهم؟ هل هم قادرين على التعرف على هذه الاهداف اذا توصل اطفالهم الى انجازها؟

ان بعض الاهالي يعكسون تجربتهم الشخصية في مرحلة الطفولة من غير علمهم على اطفالهم حيث يفرضون عليهم اهدافا لم يستطيعوا تحقيقها لتحل محل اهداف هؤلاء الاطفال الشخصية. وبالنسبة لأهالي الاطفال الموهوبين فيجب عليهم أكثر من غيرهم ان يضعوا تحت الاختبار مقدار احتياجاتهم لاستحسان المجتمع لما يقومون به لأن ذلك يعكس تأثيره على علاقة الطفل بالأهل عندما يواجهون مشكلة معينة. وهناك كتاب وضعه سيمون وزملاؤه (عام ١٩٧٢) بعنوان «توضيح القيم» ويمكن لمن يرغبون الاطلاع عليه للحصول على المزيد من المعلومات عن تحديد الاهداف. وإذا كانت الاهداف مصحوبة بالموضوعية الضرورية لتحصيلها، فإن الطفل يجد الحصول عليها سهلا و ينظر الى نفسه كإنسان ناجح قادر على تحصيل اهدافه. فالنقطة الاساسية هنا ان يجعل من الاهداف الكبيرة اعمالا بسيطة ضرورية يسهل للطفل الحصول عليها وتساعد على الشعور بالقوة والمقدرة على السيطرة على الموقف الذي يواجهه وشعور اخر بالمقدرة على انجاز الاعمال التي تولد عنده اهدافاً جديدة يسعى دائما للحصول عليها. فهذا الطفل له طاقة هائلة ينتظر تلك العقدة التي لا بد من فكها واذا ما فكت فانه سيمسك بطرف الحبل الى اخره ولن يكمل ولن يمل حتى ينجز مبتغاه.

٣ - العلاقات الشخصية

كلما زاد الاثر الانفعالي والمعنى الشخصي لعمل ما، زاد اقبالنا عليه وحاولنا النجاح فيه. وبالمثل كلما كانت المعرفة وثيقة الصلة بالعلاقات الشخصية التي نتمتع بها، زاد اقبالنا على التزود بهذه المعرفة. فكل تحصيل الانسان ومقدرته وعلمه تقاس من خلال علاقته بالجماعة كذلك احساس الطفل الذي يعتبر نفسه بكل انجازاته جزءاً من الجماعة. فحاجات الانسان الاساسية متعلقة بعلاقته بالآخرين سواء بصورة مباشرة او غير مباشرة، وكذلك بالنسبة للطفل

فكل دوافعه مرتبطة بعلاقته بالآخرين وهي الحلقة التي تربط الطفل بالديه حيث يكون معهما علاقة طيبة تجعلهما قادرين على توجيه الحافز لدى هذا الطفل. وهذا هو بيت القصيد، فإذا حاول الاهل منذ البداية أن يبنوا علاقة طيبة دعامتها الثقة والتفاهم، استطاعوا من خلال ذلك التأثير على دوافع هذا الطفل، وتوجيهها التوجيه الصحيح من خلال العلاقة الوطيدة والتفهم المتشمر.

وعلى الاهل ان يلاحظوا هذه الانجازات وان يبدو آراءهم فيها ومحسوا باحساس الطفل اتجاه هذه الانجازات لأنه كثيرا ما يغيب عن بالنا هذا الطفل ونتجاهله او بالاحرى نقيمه ونصنفه كممثل الطفل الذي يقدم شهادته الى والده وبدلا من ان يشني الوالد على عمله ككل وعلى مجهوده يركز على ان هذه الشهادة تدعو الانسان الى المفخرة، ثم يحث الطفل على ان يكون فخورا بدوره بدرجة هذا المجهود، أي أن الوالد يركز على درجة المجهود لا على مجهود الطفل بصفة عامة.

ويجب على الوالدين ان يشجعا محاولات هؤلاء الاطفال. فاذا تكلم احد الوالدين عن تصرفه هو او عن تصرفات طفله، فيجب ان يكون واضحا في طلبه، بحيث يشجع الطفل على التقدم الدائم لأن يطلب منه الكمال. أعط هذا الطفل الثقة بانه قادر على حمل المسؤولية وعلى التصرف بطريقة متفهمة.

وعلى الوالدين كذلك ان يشاركا اولادهما في اعمالهما. فالطفل يلاحظ دافع والديه عندما يشاركانه العمل، كذلك عليه ان يتعلم منهما التقييم الصحيح للاشياء، وقد يأخذ عنهما شعورهما بالحب للعمل واحساسهما بالرضا. ان هذه المشاركة تجعل من الوالدين مثلا يحتذيه الطفل في حياته. لذلك فاننا اذا تحدثنا عن تحديد الاهداف والنجاح المتتالي والعلاقات الشخصية مع هذا الطفل فاننا لا يمكن ان نتحدث عن كل منها على حدة لأنها تتشابك وتتفاعل مع بعضها البعض لكي تساعد على توضيح الاهداف او حتى تغييرها.

فاذا وضعنا في عين الاعتبار ان الاطفال المتفوقين هم بطبعهم مدفوعون دائما لشيء ما، فإن دوافعهم هذه نجدها موجهة الى جهات تختلف عما نرغب فيه نحن الكبار، لذلك نحسبهم بلا دوافع ولكن الطريق الوحيد الذي يمكننا به توجيه دوافعهم او ربما تغييرها وتحويلها للوجهة المناسبة هو العلاقة الشخصية والثناء المتتالي ووضع الاهداف الملائمة لهم. فانجازات الطفل في وجهة معينة ان كانت جيدة وكافية فانها تنعكس على انجازاته في كثير من المحاور في حياته فالمهم هنا ان نهيء له الحمل الذي يبدع فيه ويجعل من حياته جنة خضراء.

— التحصيل الزائد —

التحصيل الزائد عند الطفل هو موضوع قلما يشتكي منه الاهل . وغالبا ما تظهر هذه المشكلة في سن الرشد وهذا التحصيل الزائد او ما يسمى بالادمان على العمل غالبا ما يتوقف في منتصف رحلة الحياة ليكتشف هؤلاء المدمنون انهم لم يعيشوا بل استبدلوا بجميع القيم الانسانية إنجازاتهم واعمالهم التي كرسوا كل حياتهم لها . فاذا كان اهل الطفل المتفوق من هذا النوع المدمن على العمل فانهم ينسون ان طفلهم سيتخذ منهم مثلا اعلى في حياته عند الكبر مهما حاولوا توضيح مساوئ هذا الادمان على العمل وان الناس جميعهم بمختلف انواعهم يحتاجون للوقت الكافي للراحة والمرح والاسترخاء بعيدا عن مضايقات العمل ، لأن العلاقات الانسانية لها مرود فعال في نفس الانسان ولا يمكن التخلي عنها . لذلك فإن المبالغة في اظهار الانجازات عند الطفل الموهوب مشكلة يجب ان نركز عليها منذ البداية .

ويتجه هؤلاء الاطفال الى التحصيل الزائد لملء فراغ عاطفي واحساسهم بأنهم غير سعداء في حياتهم وعلاقاتهم مع الاخرين . فلكي يكون الطفل مرموقاً يشعر ان عليه ان يضحى بأشياء كثيرة في حياته وان يكرس جميع طاقاته في سبيل الحصول على تلك المرتبة العالية . وبهذا نجد ان معظم الاطفال المتفوقين يكونون الى حد ما مدفوعين برغبات اولياء امورهم حيث يولد هؤلاء لديهم الاحساس بالعظمة أو بأن الطفل هذا قادر على أن يكون الاحسن في مجموعته . وطبيعي ان يخضع الطفل لهذا الضغط ولكنه يكون على حساب علاقته بالآخرين .

— استثمر علاقاتك —

السؤال الذي يواجهنا هنا هو كيف يستطيع الآباء ان يشجعوا اطفالهم لكي يكون لديهم الدوافع التي تجعل انجازاتهم مرموقة من غير ان يفقدوا علاقتهم بالآخرين وان يكونوا راضين قانعين بأنفسهم .

والحل هنا هو ان نساعد الطفل على تكوين اهداف معينة في الحياة ولكن لا يكون ذلك على حساب هذا الطفل . فالتركيز على الانجازات دون الالتفات لطبيعة هذا الطفل واحتياجاته النفسية هو الذي يولد لدينا المبالغة في هذه الانجازات . فالطفل هنا يشعر ان قيمته كإنسان

ترتكز على انجازاته وان اي مشكلة يواجهها في حياته يمكنه الهروب منها بالانغماس في هذه الانجازات التي هي دائما محل مدح وثناء. فأصل المشكلة هنا ان الطفل يباليغ في اظهار مقدرته على الانجاز لأنه لم يشعر بأنه مقبول كأنسان بل كمنجز وان الطفل الذي يباليغ في انجازاته يجد التشجيع من اولياء الامور الذين يطالبونه دائما بالمزيد. فإذا ما أحسن عملا ما يثنون عليه ويعطونه الاحساس بأنه يمكن ان يكون احسن، فهذا الاحساس يعطي الطفل الشعور بأنه غير قادر على اثبات نفسه كأنسان فقط، فيجب عليه ان ينجز دائما حتى يحصل على الثناء الكافي ولمعالجة هذه المشكلة على اولياء الامور ان يلاحظوا كيف يركزون على انجازات اطفالهم على حساب علاقاتهم الشخصية بهم، وهل هم متفاهون مع هؤلاء الاطفال، هل يعامل اولياء الامور هؤلاء الكبار الذين يكون لهم احتراماً بنفس الطريقة التي يعاملون بها هؤلاء الاطفال؟ وهل يمكن لنا ان نضع هؤلاء الكبار موضع النقد او حتى موضع الحث على عمل المزيد في علاقاتنا اليومية معهم؟ ان هذا لا يمكن. فمحاولتنا العديدة اليائسة لتوليد الدوافع عند اطفالنا بغير ادراك نجعلهم يحسون بأنهم غير أكفيا وبذلك نكون قد قللنا من اعتدادهم بانفسهم، كما وضعنا عليهم اللوم بأنهم لا يملكون القدرة على الحكم على الاشياء وبالتالي نجعلهم يحسون بأن اهتماماتهم وتصرفاتهم ليست جديرة بالثناء.

من هنا نكون قد خرجنا عن الهدف الاساسي الذي ننوخواه لهؤلاء الاطفال وهو مساعدتهم لتنمية اهتماماتهم بطرق يجودونها هم بأنفسهم ملائمة ومثيرة و يستطيعون ان يتعاونوا تلقائيا مع غيرهم. وهذا يتطلب نوعاً من النظام وتقويم النفس بالنسبة للطفل المتفوق واولياء الامور حتى يتكون لدى الطفل نوع من احترام النفس وثقتها كما هي من غير انجازات او دوافع.

بعض الاسئلة التي يكثر طرحها بالنسبة لدوافع الطفل المتفوق

○ إن طفلي يرفض عمل الاشياء التي يجب عليه عملها حتى عند رشوته، فما هو الحل؟
ان اسلوب الرشوة والتحايل لافعالية له مع الاطفال المتفوقين لأن هؤلاء الاطفال يفهمون هنا الاسلوب جيدا ولا يخفى عليهم. ولكن اسلوب المكافأة له اكبر الاثر في نفس الطفل المتفوق ولأن المكافأة تختلف عن الرشوة فالرشوة تعني انك تحاول دفع الطفل الى عمل لا يرغب في انجازه وله الحق في رفضه بينما المكافأة هي مجرد عطاء وليس جزءاً من عقد او

اتفاقية فقد يحصل الوالدان على اذعان مؤقت من طرف الطفل وذلك بوضع القوانين الصارمة له واجباره على تنفيذها بينما للحصول على تعاون الطفل الودي لا بد من تنمية علاقة صحيحة تقوم على الثقة والشعور بالمشاركة في الاهداف، وذلك يتطلب وقتا وخبرة لكي يساعد الطفل ان يرى اهمية التعاون وقيمة العمل التي تتطلب منه ان يتعاون معك على انجازه.

● اذا اعتاد الطفل على اسلوب المكافأة في كل مرة يقوم بها بعمل على اطيب وجه فهل هذا يعني بان الطفل سينمو متوقعا المكافأة دائما ولن يقوم بأي عمل لمجرد العمل فقط؟

ان هذا الوضع لايسبب مشكلة مع الطفل المتفوق ولكنه ينعكس على الطفل العادي لأن اغلب الاطفال المتفوقين دائبو العمل لأنهم يتمتعون بحماسة العمل لذاته وليس لما سيحصلون عليه من نتائج ولأن هؤلاء الاطفال لديهم الحافز الذي يدفعهم دائما للعمل بما لديهم من حب الاستطلاع فانهم يصبحون مدفوعين الى تجربة العديد من الاعمال غير مبالين بالنتيجة أو المكافأة. اما اذا حاول الاخرون ان يطالبوا هؤلاء الاطفال أو يتوقعان منهم النتائج فان المشكلة تبدأ حيث يبدأ اسلوب المكافأة كطريقة في تحويل التصرف او تعليم تصرفات اخرى حتى تصبح هذه الاعمال مقبولة في حد ذاتها.

وانه لمن الضروري ان نلفت النظر بان اغلب طاقة الانسان في هذا الكون موجهة او مستنفدة في العمل للحصول على المكافأة وهي ما يسميه الكبار بالنقود. فالصغير ينتظر المكافأة نتيجة عمل يؤديه والكبير ينتظر معاشه في اخر الشهر. وكلما زاد رصيد الانسان في البنك، كلما تحدد هدفه في الحياة. وقد تشكل هذه المكافآت المالية على العكس مشكلة بالنسبة لبعض الاطفال الموهوبين اذ يرفض هؤلاء الاطفال ان يستجيبوا لمحاولة الاهل في ترويضهم لأن اغراءات الاهل في تقديم المكافآت لهم لا تجد لديهم اي صدى او تشجيع.

● ان طفلنا يعيش في عالمه الخاص فهو لا ينساق لما نريده ان يكون او يفعل، فكيف نستطيع ان نجعله يعيش عالمنا ويشاركنا فيه؟

الحل لهذه المشكلة هو ايجاد جسر من التفاهم واشعار الطفل بان ما يفعله هو مهم لأهله. فقد يبدأ الاهل بالاعتماد على قدرات هذا الطفل وافساح المجال ليكون معطاء لوالديه. فعندما يشعر الطفل بأنه يفيد والديه فشعوره بالعجز والاعتزاز قد لا يقاس بجانب حثه على ان يحسن بأن ما يعطيه شيء مهم.

• ان طفلي يستطيع ان يحصل على امتياز باستمرار اذا ما أراد ذلك ولكنه لا يفعل ، لماذا؟

قد لا ينجز الطفل لأن الانجاز شيء غير مهم بالنسبة له ، ولكنه مهم جدا بالنسبة للوالدين. فان ذلك ينطبق على الشخص الذي يستعمل سيارة صديقه فهو يستعملها لكي تقضي له بعض الحاجيات ولكنه لا يفكر في تفاصيل اصلاحها اذا توقفت، او ملئها بالوقود وما الى ذلك من تفاصيل دقيقة. وهذا بالضبط ما يحدث بين الطفل والديه. اذ لا بد للوالدين من ايجاد طرق لربط اهتماماتهم باهتمامات الطفل. فليبحث الوالدان عن نقط ايجابية لبنينا عليها هذه العلاقة. فأول شيء هو الاهتمام بالطفل كوحدة منفصلة عن والديه وعن انجازاته بالدرجة الثانية. كما ان الاهل يملكون الثقة التامة بهذا الطفل بأن ينجز اعماله على اتم وجه. وحيث ان الاهل لا يملكون المقدره على اجبار الطفل للحصول على درجات افضل في المدرسة فان الحل الوحيد هو في وجود مدرس يساعده في واجباته المدرسية، ولا بد ان نعطي الفرصة بأن يقوم بهذا بنفسه كأن يحدد موعد حضور المدرس ويتفق معه على السعر، كما له الحق بالغاء الموعد اذا احس بالرغبة في ذلك. كل هذا يجعل الاهل يقفون موقف المؤيد الذي يكيل المديح والتشجيع لهذا الطفل.

• كيف استطع تعديل الدافعية؟ ان طفلي يركز على دراسة النجوم في كل وقت. كيف اشجعه على ايجاد اهتمامات اخرى؟

ان دراسة النجوم هي الفرصة الذهبية التي ستجلب معها الكثير من المواضيع التي لها علاقة وثيقة بهذا المجال. فمن دراسة النجوم تأتي دراسة الفيزياء والرياضيات. وقد تكون دراسة اللغة الانجليزية وعلوم السياسة صعبة ولكن من السهل ادخالها. فالمهم هنا ان نؤيد الطفل وهو في اهم اهتماماته وان نستعمل مواقف قوته حتى تكون عملية الادخال هذه لصالحه. فقد نستطيع ان نساعد الطفل على انشاء مجلة مدرسية عن النجوم ومساها وكثير من المجالات التي قد يحس الطفل نفسه مندججا بها من غير ان يحس بالانحراف المفاجيء عن اهتماماته الاصلية.



— نادرا ما يتحسن الناس اذا لم يجدوا مثلا يحتذونه غير ذواتهم.

«اوليفر جولد سميث»

— الانسان الذي صنع نفسه هو تعبير خاطىء. لأننا مجبولون من الآف الناس الآخرين. فمن عاملنا برحمة واحاطنا بكلمة تشجيع فقد دخل في تركيب شخصياتنا وافكارنا، وبالأكثر اثر في نجاحنا.

«جورج ماتو ادامز»

— لكي يتحلى الانسان بروح معنوية عالية فان ذلك يتطلب نفس المشقة في التمرين ليكون في حالة صحية جيدة.

«جواهر لال نهرو»

— يتعلم الانسان مرتين. مرة من الاخرين والثانية وهي الأكثر فعالية هي مانعلمه لأنفسنا.

«جون راندولف»

الفصل الخامس

الانضباط

ربما نتساءل ما علاقة الانضباط بالاطفال المتفوقين، والواقع أن هذه العلاقة نفوق كثيرا ما يتصوره بعض الناس. وفي هذا الفصل سوف نركز على بعض جوانب الانضباط ذات العلاقة بالتفوق.

والمهم اولا هو التفريق بين الانضباط وبين العقاب. فالعقاب قد يؤثر على نمو ذكاء الطفل. فقد اوضحت دراسة ما كول وزملاؤه ان الاطفال ما بين الثالثة والسادسة اذا ما اتبع اسلوب العقاب في تربيتهم فان مستواهم العقلي قد يتدنى بشكل ملحوظ، والعكس صحيح بالنسبة للاطفال الذين نشأوا في بيوت لا تؤمن بالعقاب كاسلوب لتربية الاطفال، ولكنها تطبق اسلوب التشجيع ووضع الحدود للتصرفات من غير مبالغة، فهؤلاء ازداد مستواهم العقلي ونما حتى سن الثامنة.

والجدير بالذكر ان نفس هذه الدراسة بينت أن الأهل الذين يفتقرون الى كل مقومات الانضباط في معاملتهم لأطفالهم ولا يضعون اي حدود في تربيتهم نجد ان اطفالهم يفقدون الكثير من قدراتهم العقلية، وذلك الى سن معينة ولكنهم لا يلبثون ان يسترجعوا ذلك خلال السنوات المتوسطة من المدرسة.

— الانضباط اكثر من العقاب

ان العقاب مصطلح سلبي، ولكن الانضباط مصطلح ايجابي، فالنظام ووضع الحدود للطفل هو بالنهاية افضل بكثير من ترك الطفل على حريته ليضع نظامه الخاص لحياته لأن الطفل

يحتاج الى التوجيه ويحتاج الى التنبيه في كثير من الاحيان. فالانضباط يعلم الطفل كيفية التحكم في نفسه لكي يكون قادرا على تحديد القيم والمقاييس في حياته حتى يتعايش مع الاخرين بطرق معقولة ومرضية له ولغيره. وقد يكون الانضباط في حياة الطفل صفة محبوبة تساعده على الاختيار الصحيح، ليكون قادرا على الاكتشاف والاعتماد على قوته الشخصية. فالغاية من الانضباط هو توجيه النفس بينما العقاب هو القوة الخارجية لتوجيه الطفل.

وبالنسبة للاطفال المتفوقين فان توجيه النفس هو الاساس لأن احتياجات ومتطلبات ورغبات الاطفال المتفوقين هي اوسع من غيرهم من الاطفال العاديين كما ان دوافعهم واندماجهم في تأدية الاعمال تكون مكثفة اكثر من غيرهم. ولقد وصف اولياء امور الاطفال المتفوقين اطفالهم بانهم لا يعرفون معنى كلمة التفوق وفي بعض الاحيان يجدون صعوبة في العمل في جوهادىء عادي فقد تكلم احد اولياء الامور عن طفله بأن لديه سرعتين في العمل احدهما السرعة القصوى للامام والاخرى التوقف عن العمل. لا توسط بين (الاثنتين). وهدف هؤلاء الاطفال هو انهم اذا وجدوا الشيء المهم فلا بد من عمله، وهذا يتطلب تحقيق الانضباط وضبط النفس.

وقد تكون هذه القدرة في صالح الطفل وقد تكون عكس ذلك. فيجب على الطفل ان يتفهم كيف يتقبل حدوده و يتفهم كذلك ان الآخرين محدودو الامكانيات. وفهم ذلك يتطلب ضبط النفس وتوجيهها.

ان كل مايفعله الانسان يكون مدفوعا برغبة في التوصل الى النتيجة او الحصول على مكافأة او انتهاء العمل للاهمية الكبيرة المترتبة عليه. وفي معظم الحالات هناك نتائج عدة تساعد على الابقاء على هذه الرغبة في العمل، بعضها سلبي والاخر ايجابي. فعلى سبيل المثال نرى ان جميع الناس يعملون اما بدافع الحصول على المال الذي سيوفر لهم متطلبات الحياة او يعملون لكي يشعروا بانهم يقومون بانجازات معينة يحققون بها شعورهم الذاتي بالفخر أو لكي يرضوا رغبات الاخرين تجاههم. فهناك الكثير من المديح الظاهر والباطن للانسان العامل وكثير من القدر الجارح للانسان غير العامل. ولكن من الواجب ان نتذكر ان كلا الصفتين من مدح او نقد هي عامل تقوية للشخص المقصود. وبما ان اغلب الناس يعملون ليحصلوا على الثناء و يتجنبوا النقد فان ظهور مجموعة المييز في الستينات كانت تظهر عكس هذه النظرية. فكان الشباب يتركون المدرسة لكي يضعوا انفسهم موضع النقد حتى يظهروا ثورتهم على العالم. وان الفشل والتصرفات غير البناءة من قبل الاطفال هي كالتصرفات البناءة تعتمد على توجيه الدافع على

النجاح. والسر في اكتشاف هذه الدوافع هو إيجاد المثل العليا. وعلى اي حال فاننا نجد ان جميع المحاولات التي تدعم تميل لأن تكرر نفسها.

وجميع التصرفات المكتسبة يمكن تعديلها. وهناك كثير من الفرص التي تمكننا من مساعدة الاطفال لتشكيل تصرفاتهم والتحكم بها دون ان نبدي السيطرة والتحكم كعامل خارجي كلية. وبما ان الاطفال المتفوقين يتكيفون اثناء تعليمهم فهم باستطاعتهم السيطرة على تصرفاتهم ولكي يتهيأ لهم ذلك، يجب مساعدتهم بتوفير المعلومات المناسبة التي يحتاجونها واعطائهم الدعم والتأييد.

وضع الحدود

ان القوانين الواضحة والمتفق عليها والحدود والتوقعات الخاصة بالتصرفات تعطي الطفل الشعور بالاطمئنان والاستقرار. وهذا مهم خصوصاً بالنسبة للطفل الصغير لأن الطفل الكبير قد يكون خلق لنفسه حدوداً وتوقعات تحد وتسيطر على تصرفاته لأن الحدود تعطي الفرصة لكي يكون الطفل في موقع القيادة من نفسه وكل ما يحيط به من احداث

وكل الاطفال سواء كانوا متفوقين او عاديين يحتاجون الى وضع الحدود لهم. وغالبا ما يخطيء الاهل باعتقادهم أن الطفل المتفوق لا يحتاج الى هذه الحدود لعدم تأكدهم من تأثيرهم عليه. فهم يعتقدون أن الطفل المتفوق يستطيع ان يتصرف وفقا لحسن مقدرته على الحكم على الامور. ولكن حتى هذا الطفل تنقصه الخبرة لكي يكون حكمه على الامور صائبا. فاطلاق سراح الطفل في العالم من غير ان نضع له حدوداً او قيوداً يجعله يحس بانه طليق في حقل لا اول له ولا اخر. والطفل لا يعلم ما الذي سيواجهه اذا اتخذ خطوة معينة وقد يجب ان يوقف لكي يحدد لنفسه اهمية ما هو مقبل عليه. وهنا يشعر الطفل بالضياح ويشعر أن المسؤولين عنه لو كانوا يقدرن شعوره لحدوا له هذه المهمة التي هو مقبل عليها. وبما انه ضائع في حقل فسيح، فإنه يعتمد في بعض الاحيان ان يحتلق مواقف ويفجرها لكي يعرف موطيء قدمه. لذلك فان تحديد تصرفات الطفل تجمله قادرا على التصرف بأمان مظهرا كفاءته وعاملا على تحسين نفسه حتى يصل الى هدفه الذي حدد له. كما انه يتعلم ان الحدود موجودة فلا داعي لأن يتحسس نهايتها. وقد يحاول الطفل سواء كء عاديا او متفوقا ان يتعدى حدوده في بعض الاحيان وهذا وضع طبيعي لأنه يحاول اكتشاف ما وراء هذه الحدود.

ومن المفيد ان نعلم ان الاطفال المتفوقين قد يحتاجون قيودا اقل بكثير من غيرهم من الاطفال العاديين. فالحدود التي نصفها لهم يجب ان تكون معقولة لتعطي فرصة للنمو وخوض التجارب ولا تكون بمثابة السجن الذي يطبق عليهم. ومن خلال فهم وتجربة النتائج الطبيعية المعقولة ومن خلال الاشتراك في تعريف هذه الحدود يتعلم الطفل الاستثنائي قبل غيره وضع حدود لنفسه. وكما انهم يتعلمون من نتائج اعمالهم فانهم يضيفون الى حصيلة تجربتهم التجربة الخاصة بوضع أسس التقييم الجيد.

تخطي القواعد

يجب أن نلجأ للاجبار أحيانا لأن القواعد سوف تكسر، واننا نقترح كلما أمكن ذلك أن نترك النتائج الطبيعية تحدث وستحدث عن ذلك باسهاب في الفصول القادمة. فالطفل الذي يمتنع عن التمرين على الكمان حسب جدول متفق عليه للعمل، يجب عليه ان يواجه نقد مدرسه له أو يواجه فشله في العزف بالجودة التي تمنها أمام اقرانه. و ينبغي علينا حتى في مثل هذه الظروف ان نتدخل ونفرض على الطفل ان يتبع نظاما معيناً.

وعندما نحدد للطفل ما يجب عمله، يجب ان نكون جادين وثابتين على مبدئنا ولدينا الفهم التام للغرض من هذا العمل. فان الاطفال المتفوقين يمتثلون أكثر من غيرهم للقوانين التي يجدون لها سببا معيناً اكثر من القوانين التي تفرض لتثبيت سيطرة الاهل عليهم فقط. وعلينا ان نضع الحدود التي نكون مقتنعين بأننا سنطبقها، وهذا لا يستدعي منا ان نكون متصلبين في الرأي. ففي بعض الاحيان وتحت سيطرة التعصب يفرض اولياء الامور بعض القوانين التي لا يمكن تطبيقها كمثل ان نمنع الطفل من الخروج من البيت لمدة شهر مثلاً. فإن تهديداً من هذا النوع يكون غير طبيعي ويحصل غالباً تحت تأثير الغضب وعدم ضبط النفس.

اذن يجب علينا ان نضع القوانين التي يمكن تطبيقها لأن تكرار هذه التهديدات بوضع الحدود التي لا يمكن للعقل تصديقها ولا يمكن حدوثها يقلل من قيمة الوالدين تجاه الطفل و يقلل كذلك من قيمة الحد الذي وضعه الوالدان، كما ان ذلك يعطي الطفل الفرصة لكي يتحدى رأي الوالدين إلى ان يعطياه سبباً مقنعاً لعدم تطبيقها لما فرضاه من حدود او قوانين. فالتراجع في هذه الاحوال امام الطفل مع اظهار السبب مهما كان بسيطاً يجعل الطفل يستعيد ثقته بوالديه.

والنصيحة هنا ان لانضع حدودا وقوانين الا بعد ان نكون متأكدين اننا سننفذها، ولذلك كلما قلت هذه الحدود كلما كان من السهل تطبيقها. ويحاول الاطفال المتفوقون مرارا ان يجسوا النبض وان يتحدوا القوانين لكي يتأكدوا من فعاليتها وما اذا كان الاهل جادين في تنفيذها.

وبما ان الاطفال المتفوقين يتحدثون بطلاقة، فهم دائما يتناقشون ويحاولون ان يدافعوا عن وجهة نظرهم ومدى تقويمهم للأمور. وهذا امر يجب ان نتوقعه من هؤلاء الاطفال وأن نستعمله كسلاح لوضع الحدود بدلا من التهديد بالقوة والمجابهة. ويجب على الوالدين ان يشجعا الطفل لكي يضع القوانين والحدود لنفسه، وبما ان الطفل المتفوق لديه الكثير من التعاطف مع الاخرين، فيجب ان نوضح له قيمة هذه الحدود وتأثيرها على الاخرين حتى يقتنع ويحاول تطبيقها طوعا.

وبما ان الغاية النهائية هي ضبط النفس، فلنشجع الطفل على ابداء الرأي فيما سيعود عليه بالفائدة من هذه القيود. وبما ان الطفل المتفوق يكون لديه قدرات جديدة دائما فيجب ان نقيم هذه الحدود والقوانين ونحاول ان نضعها في صيغة جديدة تتلاءم مع تطور الطفل. وقد كتب كثير من الكتاب في هذا المجال ووضحوا الكثير عن وضع الحدود والقوانين للاطفال.

النتائج الطبيعية

ان النتائج الطبيعية هي خير من النظام المفروض بطريقة متكلفة او اعتبارية واننا ننصح بأن ندع هذه النتائج الطبيعية تحدث بقدر الامكان لأن الفائدة من هذه النتائج غالبا ماتكون أكثر بكثير من غيرها. كما أنها تعمل على توطيد او اصر الصلة بين الطفل ووالديه. ومثال على ذلك هو ان نعود الطفل الذي ينسى غداءه في المنزل ان يشعر بالجوع لكي يتذكره مرة ثانية، وهذا افضل بكثير من أن نأخذ له الغداء الى المدرسة ونعطيه محاضرة عن كيفية التركيز وعدم النسيان. لأن المثل السائد يقول ان الطفل الذي يحرق نفسه يتعلم ان يتناول الطعام ببطء اكثر. واذا اتبعت هذه الطريقة مع الطفل فإنه سيكتشف بنفسه ما هو الصالح له وان يجعل الوالد في محل المشرف الذي يقدم العون والثناء والتعقيب بطريقة ايجابية بناءة، ويجعله بعيدا عن المشاكل التي لا تخصه. فمثلا: اذا اعتقد الطفل ان احد المواضيع التي يدرسها في المدرسة موضوع سخيف لايهتم به، وإن لجوء الوالد للتحدث الى المدرس في هذا الموضوع لن يحل المشكلة

بل بالعكس ربما يزيدنا تعقيدا. وقد يكون من الافضل مناقشة الطفل في البدائل التي يقترحها ولا يجب على الوالدين ان يتدخلوا الا في الحالات القصوى.

والنتائج الطبيعية ليست دائما سلبية وانغماس الاهل في هذه المسائل لا يكون الا عند الضرورة القصوى او في حالة وجود مشكلة. ولكن هذا لا يعني ان الامور يجب ان تسير على هذا المنوال عادة ولكننا نقول انها قد تظهر بهذا الشكل. والنتائج الطبيعية الايجابية تساعد اولياء الامور في مساعدة الطفل بالشعور على انه جدير بالثقة والتطلع الى طرق مختلفة للحصول على النجاح. فاذا جاء طفلك ليخبرك انه وبعد محاولات عديدة نجح في اضحاك شخص من الصعب عليه الابتسام. فإن هذا الطفل يستحق الثناء على محاولاته العديدة التي يقوم بها لكي يجعل الناس يشعرون بالسعادة. وقد يحاول الطفل بطرق عديدة ان يسعد الآخرين في المستقبل.

ولقد درست طريقة تربية الطفل مع اتباع طرق النتائج الطبيعية باسهاب ووضوح في الدراسة التي قدمها دريكز عامي ١٩٥٨ و١٩٦٤ ونحن ننصح بقراءتها للتعرف على المزيد من هذا الاسلوب في التربية، ومع ان الامر يحتاج احيانا ان يعرف الاهل نظامهم وما يترتب عليه من نتائج لكي يستطيعوا ان يحققوا هذه الحدود الا انه في بعض الاحيان تكون النتائج الطبيعية اما خطيرة او غير صالحة، فلا بد من ايجاد البديل لها. وبالرغم من ان تدخل الاهل ينتج عنه نتائج غير طبيعية، فمن الممكن ان نجعله اكثر فعالية باستعمال الفاظ المدح والعقاب التي سنذكرها فيما بعد.

ومن المهم مرة اخرى ان نتذكر الفرق بين الانضباط والعقاب. فالعقاب يعلم الطفل مالا يجب ان يفعله وفي اغلب الاحيان يولد هذا الاسلوب الغضب والاحتجاج وفي بعض الاحيان يؤدي الى الانتقام. وكذلك يحس الطفل ان موضع التحكم والمسئولية عن تصرفاته يأتي من الخارج ولا ينبع من نفسه هو، فلماذا نجد الطفل عاجزاً عن تقدير تصرفاته بنفسه وانما يعتمد على الكبار لكي يقرروا له نتائج تصرفاته السلبية.

تنشئة الطفل بالمديح

وعلى النقيض من العقاب فان الانضباط يعطي التعزيز الايجابي للطفل بالاضافة الى وضع الحدود مع العقاب الملائم. والهدف من الانضباط هو توجيه النفس والسيطرة عليها.

فالعقاب عند اغلب الناس لايشتمل على المكافأة وقد تبين من دراسة التصرفات النفسية للطفل ان المكافأة تعطي نتائج احسن بكثير من العقاب وبطبيعة الطفل المتفوق فانه شديد الحساسية وقليل من العقاب قد يؤثر فيه كثيرا على المدى البعيد.

والمدح هو احسن المكافآت، ولكننا ومع الاسف نادرا ما نستفيد منه في علاقاتنا باطفالنا. ومن المدهش ان بعض أولياء الامور قد اعترفوا بأنهم لا يستطيعون ان يثنوا على ابنائهم لأنهم لم ينشأوا على هذا المتوال اي لم يتعودوا المديح في طفولتهم. وقد اكتشف بعض الاهل عدم مقدرتهم على التعبير المناسب للثناء على اولادهم وكل ما يتذكرونه هو بعض الكلمات التي فقدت بالتركرار معناها. وبما ان الاطفال الاستثنائيين يميلون الى التجديد، فقد اقترحنا هنا جدولا من كلمات الثناء المختلفة لأستعمالها في المناسبات العديدة (انظر جدول رقم ٥).

وهذا لايعني ان نكيل الثناء للاطفال في كل الاوقات. ان العقاب في الوقت الذي يخرج فيه الطفل عن حد معين هو ضروري، ولكننا نعود لتذكرك ان المدح على المدى البعيد يعطي الطفل الاحساس بالمقدرة على عمل الشيء. والطفل الذي يشعر بهذه القدرة قادر على تحمل مسؤولية اعماله مهما كانت النتائج.

اعط الأ ولوية للمشاعر— وللانضباط ثانياً

عندما يتطلب موقف ما انضباط الطفل فالأفضل ان يعالج الموضوع بطريقة غير مباشرة، وهو ان لا ننظر للحادثة بل لشعور الطفل الذي حدا به للقيام بهذا العمل. فاذا حاولنا فهم شعور الطفل اولاً فالتفاصيل والتعلم من هذا الدرس يأتي في المرتبة الثانية، لأنه من الصعب على الطفل الذي يواجه مشكلة معينة ان يفكر بطريقة منطقية واضحة. فالتفريق بين الشعور الذي حدا بالطفل الى القيام بهذا العمل والعمل نفسه يساعد الطفل على التفريق بين هذين العاملين المهمين.

جدول رقم (٥)

تعبيرات المديح

- شكرا لمساعدتك.
- ان هذا العمل جدير بالثناء.
- انني فخور بك.
- ممتاز. انك تتقدم فعلا.
- عمل رائع.
- بديع.
- عمل دقيق يشعرنني بالفخر بك.
- ان هذه حذاقة فعلا.
- إن لفتتك جميلة.
- نظراتك بعيدة الرؤيا.
- لقد ادركت الموقف بجدارة.
- تهانينا.
- عمل متقن جدا وخالق.
- فعلا رائع.
- امض في المسار انه الطريق السليم.
- انا معجب بعملك.
- هذا العمل احسن بكثير من الذي قبله. داوم على التقدم.
- ان عملك جيدا جدا.
- لقد فهمت الان.
- ان تعليقك مشوق وهام.
- تجعل الشيء الصعب سهل البلوغ.
- انك تتعلم بسرعة وتتقدم كل يوم.
- انك تساعدني على العناية بك. ان عملك من الدرجة الاولى.
- راقب كم هو متقن عملك.
- شكرا لمساعدتك وجهدك.

- عملك جيداً.
- انني معجب باستمرارك على المحاولة.
- يجب ان تكون فخورا بنفسك.
- اتمنى ان يكون عملك قد حاز اعجابك.
- ان هذا العمل يصعب علي عمله.
- شكراً لتأقلمك مع الوضع الجديد بسرعة.
- انني فعلاً معجبة بعملك.
- انك هام جداً لكثير من الناس.
- انني فخورة بطريقتك في العمل اليوم.
- انه لمن دواعي الفخر ان ارى طفلاً لبقاً بهذه الدرجة.
- انك تعمل هذا العمل بطريقة ممتازة تجعلك قادراً على تعليمه لأختك.
- انك موطن السعادة بالنسبة لي.
- ما كان بمقدوري ان اعلم هذا من غير مساعدتك.
- انني اقدر كثيرا كم تقدم لنا من مساعدة.
- انك قد خططت لهذا الشيء بلا شك.
- اشكرك للسماح لي بمساعدتك في تأدية العمل.
- انني اقدر شعورك نحو الآخرين.

إن إعطاء الطفل شعوراً بالطمأنينة واحساسه بأن أولياء امره يحبونه و يقدرون مشاعره يجعله ينظر لهم كأصدقاء بدلاً من ان يكونوا اعداء. وهنا يصبح الانضباط اسهل بكثير عندما يحس الطفل بأن اولياء امره دائماً بجانبه و يؤيدونه. فقد يكون تصرف الطفل هذا عبارة عن اختبار شعور اهله تجاهه لكي يجعلهم يقدرون مشاعره.

و يركز بعض الاهل كثيراً على الانضباط من غير اي حساب لمشاعر الطفل، وقد يجعل هذا الطفل ينصاع لمطالبنا ولكن ذلك لن يقوم شخصية الطفل على المدى البعيد لأنه لم يأت عن طريق مقنع للطفل يتمشى مع قيمه. إن هذه العلاقة بين الطفل وذويه تمثل علاقة الجنود برئيسهم فهم يمثلون لأوامره بحكم مركزه ولكنهم يتحينون الفرص لكي يتجنبوه اذا تسنى لهم ذلك خارج نطاق العمل. عند فرض العقاب على الطفل ربما يعتقد الاهل بأنهم كسبوا المعركة ولكنهم سيخسرون تعاونه معهم وعلاقتهم به كلية، لأن هذا النجاح يكون على حساب شعور

الطفل بالاستياء والتقهقر وبما ان الاطفال المتفوقين لديهم قوة ارادة حديدية فيجب ان نضع هذا في الحسبان، ولأنهم معرضون للانخراط في مشاحنات مع الوالدين فليدهم المقدرة على ايجاد طرق عديدة للتعامل مع المشاكل. فاذا دأب الوالدان على ابراز الموقف واقتراح حل واحد له من غير افساح المجال لآراء اخرى او تساؤلات مختلفة فانهما يولدان حالة حرب فيها طرف رابح واخر خاسر. فالعلاقة بين المنتصر والمنهزم هي علاقة أصعب بكثير من علاقة اثنين يتعاونان على حل مشكلة معاً. ولكن هذا لا يمنع أنه في حقبة ما من حياة هذا الطفل لا بد من سيادة رأى الوالدين مهما كانت مشاعر الطفل ضدهما.

الاختيار

ان الاطفال المتفوقين يحتاجون إلى الاختيار في الحياة و يفتحون معه. فالاختيار يعطي الاطفال الغرض لكي ينموا انفسهم ويحققوا لذاتهم الشعور بالكفاية. فيجب ان نعطي الفرصة لأطفالنا بأن يختاروا كلما حانت لهم الفرصة في الاختيار لأننا في كثير من الاحيان نقرر لأطفالنا قرارات هم قادرون تمام المقدرة على ادائها. لذلك يجب تشجيع الطفل على تحمل مسؤولية تصرفاته باعطائه الفرص اللازمة و ابراز الخيارات امامه. ولكن يجب ان تكون هذه الخيارات صحيحة فلا يجوز مثلاً ان نسأل الطفل اذا ما كان يرغب في اخذ التطعيم ضد مرض معين ولكن يمكن ان نسأله في اي مكان يجب ان يأخذ هذا التطعيم في اليد اليمنى او اليسرى.

إن هذا يعطيه الخيار الصحيح، ولكن اذا خيّرناه بين اخذ التطعيم او عدمه فإنه وفي حالة اختيار عدم التطعيم يعرض نفسه للخطر وهو غير قادر على التكهن بدرجة هذا الخطر. لذلك يجب ان نعطي الطفل الخيار الصحيح ونجعله يقرر في حدود المعقول، (كما لو طلبت الام من طفلها ان يرتب حجرته فلا تسأله اذا كان يريد ترتيب الحجرة. يجب عليها ان تحدد الخيار وتسأله عما اذا كان يريد ترتيب حجرته قبل الغذاء او بعده. السر هنا هو ان نعطي الخيارات التي تكون نتائجها مرضية لدينا بدلا من ان نعطي ما نعتقد انه خيار ونعود لنسترجعه. وبالتركيز على الخيارات الصحيحة فاننا نتفادى كثيرا من الاشتباكات التي قد تؤدي الى فريقين: خاسر و رابح.. ومن ناحية اخرى فإن ذلك يشجع الطفل على الاستقلالية وضبط النفس.

واغلب الاطفال المتفوقين يجيرون اولياء الأمور على ان يتخلوا عن استعمال الالفاظ غير الصالحة عندما يعطون لأولادهم الخيار بأن يتعاملوا مع هذه الالفاظ حرفياً. وكمثال على ذلك

عندما تطلب الام من طفلها بطريقة غير واضحة فيما اذا كان يرغب في تنظيف اسنانه فأن جواب الطفل في هذه الحال يكون كلا، ولو انه لا يقصد بذلك الرفض انما هو يحاول ان يرغم الوالدين على ان تتخليا عن هذه الالفاظ، ولكن استبدال هذا الموقف الذي يعطي الطفل الخيار غير الجيد باعطاء الطفل الامر بعمل الشيء لا يحل المشكلة ايضا. والحل هو ان نعطي الطفل الخيار الصحيح. وعندما نركز على مقدرة الطفل الصحية للاختيار نكون قد تجنبنا كثيراً من الممارك.

وهناك طرف آخر من الخيار غير الجيد يضع الطفل في موضع الحاسر مهما كان اختياره، ذلك عندما تكون الافضلية عند الوالدين ظاهرة وواضحة لهذا الطفل. ويحاول الوالدان عدم فرض الامر على الطفل لأنهما يعلمان ان الطفل يفضل عكس ما يرغبان فيه إنهما يعطيانه الاحساس. بأنه حر الاختيار، ولكنه في الحقيقة يقع بين نارين: إذا اختار ما يرغب هو نفسه فيه فإنه يعرض نفسه لغضب الوالدين او يمثل دور الذي يختار بمحض ارادته الشيء الذي هو غير راغب فيه. فمثلا سؤال الطفل اذا كان يرغب في زيارة احد افراد الاسرة في المستشفى مع والديه أم أنه يفضل أن يكون اثنان و يبقى في المنزل لكي يمضي وقته سدى بين أقرانه. فهو في حالة ارضاء والديه والذهاب معهما يجب ان يتحمل الموقف وان لا يشتكي اذا طالت الزيارة لأنه اذا فعل فانهما سيوبخانه لأن هذا كان اختياره، وهما قد أعطياه الفرصة ليقرر بنفسه ما يختار. وهنا يكون اختيار الطفل مرتبطا بعمق شعور الطفل الرضيع بالخوف من فقدان حب الام اذا هولم ينفذ ما تطلبه منه. فهذا الموقف بالنسبة للطفل لا يمثل الخيار بل يمثل ضياع الطفل بين ارضاء والديه وارضاء نفسه.

بعض الاساليب المفيدة

من خلال تجربتنا مع اهالي المتفوقين فقد وجدنا ان الاقتراحات التالية هي غاية في الاهمية لاستعمالها في العلاقة بين الطفل والديه من خلال وضع الحدود واعطاء الخيارات والنتائج الطبيعية.

١ - التجاوب مع حاجات الطفل وليس مع سلوكه السلبي

إن تفهم سبب تصرف الطفل على وجهة معينة تجعل الوالدين يتجاوبان بطريقة بناءة وتجنب الحكم على الموقف الذي قد يجعل الوضع أكثر سوءاً مما هو عليه.

وكما نتفهم احتياجات الطفل لايعني ذلك اننا سنتقبل او نتحمل تصرفاته لأن الغرض من الانضباط هو جعل الطفل يتعامل مع حاجاته ومشاعره من خلال التصرف المعقول لأن التصرفات تكون في بعض الاحيان مدفوعة باحاسيس غير واضحة مثل الطفل الذي يراوده احساس الحرج اذا ابدى انتقادا لمدرسه ولكنه في نفس الوقت يحس بانّه اذكي وافضل من مدرسه. وفي بعض الاحيان تكون المشكلة الاساسية في تهذيب الطفل ناجمة عن احساس الطفل بالخوف او الكآبة فتعاملنا مع الموقف هنا قد يختلف اذا عرفنا الاحساس الذي نجم عنه هذا التصرف بدلا من ردة فعلنا على الموقف نفسه.

٢ - استعمال الثناء الذي يتوقعه الطفل

ان هذه الطريقة تؤثر على الطفل المتفوق كثيراً لأننا نشني على ماسيفعله الطفل أو مايتوقع من الطفل ان يفعل، كمثل الطفل الذي ينتهي من طعامه دون ان يفكر في المساعدة كأخذ طبقه الى المطبخ او وضع كرسيه في موضعه السليم فهنا يترتب على الاهل تذكيره في الحال بأنه سيكون مشكورا اذا هو فعل ذلك وانهم ممتنون لأنه تذكر ان يقوم بذلك العمل وفي هذه الحالة نكون قد ذكرنا الطفل بعمل ما قد لا يكون واعياً له. ومن خلال هذا المديح فاننا نكون قد أبرزنا ثلاث نقاط له هي اولا: اننا نتوقع منه ان يتصرف بطريقة مسئولة بصورة عامة وثانيا: نذكره بما يجب عليه عمله عندما ينتهي من تناول طعامه والثناء يذكره ويحثه على عمل هذا الشيء في المرة القادمة. أما النقطة الثالثة: فهي اننا تفادينا اسلوباً سلبياً في المعاملة وهو اللجوء الى مناداته وتوبيخه. ومن الجدير ذكره هنا ان بعض الاطفال يصرون على انهم لم تكن لديهم النية لعمل هذا الشيء الذي نطلبه منهم، فهم يرون العملية كلها و يعلمون انها عملية مقصودة من جانب الوالدين لجعلهم يقومون بهذا العمل المعين. وقد يكون هذا التفاهم بين الطفل ووالديه هونوعاً من التعامل بطريقة فيها كثير من الفكاهة والبساطة.

وقد تكون الكتابة في بعض الاحيان افضل طريقة للوصول اليه . والحقيقة انها أكثر فعالية من الكلام في أغلب الاحيان. فاذا عمل طفلك عملاً يستحق عليه الثناء اكتب له جملة مفيدة قصيرة، أثني على عمله هذا بورقة صغيرة، ضعها على وسادته. ان هذه الورقة ستكون فعالة لأنها شيء ملموس يحض الطفل وحده. وقد نلجأ الى نفس الطريقة في الكتابة عندما نريد ان نبين للطفل عملاً سلبياً قام به. ذلك يجعله يفكر في الموضوع بنفسه قبل ان يرد على تعليقات الوالدين، كما يتيح له الوقت ليفكر في تصرفه قبل ان تكون المواجهة بينه وبين والديه. واذا طلب الوالدان من الطفل جواباً عن رسائلهم فيجب على الطفل ان يواجه مسئولية تصرفاته وتقديرها.

٤ - توجيه النقد او الثناء للعمل وليس للطفل

ان النتائج عندما تصدر ضد عمل فهي اكثر فعالية مما اذا صدرت ضد شخص الطفل نفسه. وبدلاً من ان نوبخ الطفل على عمل معين يجب ان نبين له ان عمله هذا غير مستحسن في المنزل ونثني على العمل الجيد الذي قام به الطفل ولا نركز على ذكاء الطفل ومقدرته الخارقة.

٥ - تشجيع الطفل على التعبير عن شعوره

عندما نقوم بذلك باستمرار فاننا نؤكد للطفل شعوره وان وجهات نظره مهمة مما يؤدي الى تفادي شعور الطفل بالكبت والغضب اذا لم يسمح له الافصاح عن رغباته. ولأن الطفل الذي لا يفصح عن شعوره وتكون مقدرته على كبت هذا الشعور كبيرة فإنه سيواجهه، يوماً يؤدي به هذا الكبت الى الانفجار والشعور بالغضب والاحتجاج، وعند ذلك سنواجه مشكلة حقيقية كان الطفل غير قادر على اظهارها.

٦ - يجب على الوالدين أن يفصحا عن شعورهما

يجب على الوالدين ان يفصحا عن شعورهما لأطفالهما في كل المواقف سواء كان الوالدان متفائلين او متشائمين. ففي اغلب الاحيان يجب على الاهل ان يفصحا عن شعورهم

نحو اطفالهم وذلك افضل بكثير من ابداء الحكم على تصرفاتهم من خلال نظرتهم المتعالية بحكمهم اولياء الامور. فعلى سبيل المثال عندما يخاطب الوالد ولده بقوله «انني شديد الحزن لأنك لاتعير اذنا مصغية للاخرين» افضل بكثير من قوله «انك غير مهذب ومزعج جدا لعدم اصغائك للاخرين». و يعطي اظهار شعور الوالدين الطفل المثل الذي يحدو حذوه وهو اظهار شعوره بنفسه. كذلك في حالة اظهار مقدرة الطفل وتصنيفه وتقديره كمثل قول الام لطفلها «انني سعيدة بان اراك تحل هذه المسألة الصعبة بدلا من وصفه بالعبقري».

٧ - الدراسة المكتوبة او جدولة الهدف

إن جدولة الهدف عامل رئيسي في نجاح الطفل المتفوق خصوصا اذا كان موضوعا بواسطة الطفل نفسه لأن ذلك يساعده في تنظيم حياته الدراسية ومسئوليته المنزلية. فان الاطفال المتفوقين يتجاوبون مع الثناء والمدح وخصوصا على اوراق المدرسة كإعطاء الطفل نجمة او تعليق يثنى عليه. هذه المكافآت الصغيرة لها دور كبير في حياة الطفل المتفوق.

٨ - استخدام السلوك التعاقدى

في حالة الاطفال المتفوقين المتقدمين قليلا في السن قد يكون الانضباط صعبا على الاهل والطفل معا لأن هذه السن قد تعطي الفرصة للاطفال بان ينظروا الى الاشياء بمنظار مختلف يجعل الاتفاق بينهم وبين اولياء الامور صعبا للغاية. ولذلك لجأ بعض اولياء الامور بطلب اتفاقية مكتوبة للسلوك تتعلق بما يتوقعه الاهل من هذا الطفل والنتائج المترتبة على هذه التوقعات في مختلف الحالات. ومسودة هذه الاتفاقية تكون هي نقطة البداية في عرض المناقشات وهي مفيدة لأنها تجعله المسئول الاول عن تصرفاته. كذلك تكون بمثابة المذكرة التي ترجع لها الأطراف المعنية في حالة نسيان بعض بنود الاتفاقية.

٩ - يجب على الآباء ان يدرسوا توقعاتهم من الطفل

قد تكون بعض المشاكل التي يواجهها الآباء في انضباط اولادهم ناجمة عن أن توقعاتهم من هؤلاء الاطفال لاتتمشى مع الطفل في عالمنا اليوم. واغلبنا يحمل على عاتقه توقعات من

آبائنا وامهاتنا ونحاول ان نطبقها على اطفالنا وهي في يومنا هذا لاقيمة لها. هل لهذا مصدر لإثبات القوة والسيطرة؟ هل هو الخوف من كون الطفل في مركز الصدارة اذا نحن لم نظهر السيطرة التامة عليه. واذا كانت المسألة هي فقط معركة صراع على مركز القوة فهل تركنا للطفل المجال لكي يخرج من هذه المعركة بماء الوجه؟

وكم من الكلمات ترددت على مسمع الطفل وهي بدورها قد ترددت على مسامع الوالدين مرارا وتكرارا من غير ان يكون لها اي اثر عليهم في طفولتهم وبالطبع فلن يكون لكثرة ترديدها اي اثر على هذا الطفل في هذا العصر؟.

هل نحن نؤمن بالمثل القديم القائل ان الاطفال يجب علينا رؤيتهم ولكن ليس علينا سماعهم. هل هذا حقا ما نؤمن به؟

ان اختلاف العمر يؤثر في اختلاف التصرفات بالنسبة للطفل المتفوق وبالنهاية يؤثر على متطلباتنا من هذا الطفل. فقد نعلم في بعض الاحيان على نضج الطفل من ناحية معينة ونتوقع منه ان يبدي هذا النضج في جميع المراحل في حياته. وانه لمن المفيد أن نلاحظ بعض الاطفال المتقاربين لهذا الطفل في العمر لكي نتعرف على التصرف الطبيعي او نقرأ بعض الكتب التي تعطينا مخططاً للتطور الطبيعي للطفل. وانه لمن غير المنطقي ان يعاقب الطفل البالغ السبع سنوات من عمره لأنه تصرف بمقتضى عمره ولو انه في اغلب الاحيان يعطي الانطباع بانه اكبر من عمره بكثير من خلال تصرفاته.

١٠ - يجب ان يوضح الوالدان ما يتوقعانه من اطفالهما

نظرا لكثير من المشاكل التي تحدث نتيجة لسوء الفهم بين الطفل والديه، فإن على الاهل أن يوضحوا للطفل ما هو قادر على تحمله وما هو غير قادر عليه لأننا نتوقع من الاطفال المتفوقين ان يفهموا ما نعني وان يقرأوا ما بين السطور و يعلموا بالضبط ما نريد منهم. ولكن في بعض الاحيان يكون عكس ذلك هو الصحيح اذ يكون الطفل مستغرقاً بعمله يعمل أو غارقاً في بحر افكاره. فيجب علينا اذا طلبنا منه طلباً أن نردّد ما طلبناه منه واذا اكتشفنا انه يردد الكلام من غير استيعاب فيجب ان نعيد الكرة معه حتى يتبين له ما هو قادر على فعله وما هو ممنوع منه. فمثلا عندما نطلب من الطفل ان يذهب الى منزل صديقه و يرجع في وقت معين ليأخذ درس الموسيقى فقد يسمع الطفل الجزء الاول من الكلام ولا يركز على الجزء الاخير

لذا علينا التأكيد من أن الطفل قد استوعب طرفي المحادثة بترديد ما شغل عنه حتى يصل للمعنى الصحيح. عند ذلك نشئ عليه ونشكره على مجهوده الذي بذله في التركيز على ما قيل له.

١١ - لمس الاطفال

ان للمس اثر السحر في الاطفال بل وفي الانسان بوجه عام. فان لمس الطفل اثناء الحديث معه يجعله يركز على ما يقال له و يسمعه بعناية وخصوصا اذا كنت تريد ان توجه نظر الطفل الى حد من حدوده فاللمس يعطي مفعول السحر حيث يحسّ الطفل بالطمأنينة والمحبة التي تجعله قادراً على تنفيذ أي رغبة لوالديه سعيدا بصداقتها.

١٢ - أشعر الأطفال بأنك واثق من مقدرتهم على التصرف بحكمة

وإذا لم يفعل اولياء الأمور ذلك فان هذا يؤدي الى شعور الاطفال بعدم الكفاءة وعدم الثقة بمقدرتهم الشخصية مما يؤثر على نظرهم الى انفسهم. فالاطفال المتفوقون هم في أمس الحاجة للشعور بثقتهم بأنفسهم ولا يتم ذلك الا باعطاء ثقة الوالدين لهم. وقد يظهر الوالدان في بعض المناسبات شعورهما بعدم الرضا عن هذا الطفل. ولكن ثقتهما بالطفل لا بد من تأكيدها دائماً ليحسّر الطفل باستقلاليته وحتى يكون قادراً على تصحيح مثل هذه الاوضاع المؤقتة.

ويجب على اولياء الامور ان يحترموا حريات هؤلاء الاطفال الشخصية واستقلالهم ودعم مقدرة الطفل على كبح جماح تصرفاته والتحكم بها، وبذلك يقل اعتماده على تهذيب الوالدين له وتشكيل حياته. يجب ان نعلم اطفالنا الطرق الخلاقة لحل المشاكل وكيفية اصدار الاحكام كما يجب تشجيع الطفل على تهذيب نفسه لكي يكون سيد مصيره. فارادته الشخصية لم تعد كالريشة في مهب الريح تأخذه حيثما شاءت وليس حيثما شاء هو أو ان يكون كالطير في بحر الحياة تحمله الامواج كيفما شاءت دون ان يكون له يد في تقرير مصيره.

١٣ - شجع الخطوات التدريجية

إن تهذيب النفس هو صفة مكتسبة تحتاج لكثير من الوقت لكي يتم اتقانها. فهذا ما يجب ان نشجع الطفل عليه لكي يكون قادراً على ممارسته بعد التدريب. فعلياً ان نشجع هذا

التغيير (البطيء) حتى يصل الطفل بنفسه الى درجة التحكم الكامل على ضبط النفس وتهذيبها واي نفس اشفق على الانسان من ذاته. إن الانسان الذي يعرف كنه نفسه يستطيع ان يهذبها ويشكلها لتتال رضاه.

بعض الاشياء التي يجب تفاديها

علينا اثناء تحقيق الانضباط ان نعرف ما يجب عمله وما يجب علينا تجنبه مع الطفل المتفوق. فأول المنوعات هو عدم استخدام نواحي قوة الطفل لعقابه. فمثلا عندما نقول لطفلنا اذا كنت تعتقد انك خارق الذكاء فلماذا لم تتذكر ان ترجع هذه الكتب الى المكتبة. فهنا يعتقد الطفل بان ذكائه هو السبب في نقده وتجريحه فهو في النهاية سيكف عن ان يكون ذكيا او قد يتظاهر بالغباء.

كذلك هناك صفة اخرى عند الاطفال بستعملها اولياء الامور مراراً ألا وهي صفة الامانة. فاذا كان الطفل أميناً مع نفسه ومع والديه فقد يجد الاهانة والتجريح والعقاب جزاء امانيته واذا كذب على والديه فانه سيلقى نفس المعاملة، مما يجعله يشك في ثقة والديه به ويلجأ حينذاك الى الكذب. مما يضع الطفل في موقف الخاسر ايا كان تصرفه هذا يجعله يفقد ثقته باهله وسيعلم في المستقبل ان الامانة ليست الصفة المميزة التي قد خالها تنقذه من سخط وتجريح والديه بل هي على العكس تعطي نفس نتيجة الكذب.

تجنب أن تكون دكتاتوراً

عندما نطالب الطفل بان يستجيب فوراً لما نطلبه عليه يكون امراً غير منطقي وفيه عدم تقدير لهذا الطفل. ويحاول بعض الاهالي بالرغم من انهماك الطفل في عمله ان يجذبوا انتباهه لأن يلبي لهم رغبة معينة. وبما ان الطفل المتفوق ينهمك في اعماله كلية، فهو يحس بعدم الرضا اذا ما حاول الاهل شغل هذا الاهتمام بأمر آخرى.

ونحن نتساءل هنا هل نقوم باتباع نفس الاسلوب مع انسان بالغ نكن له الود والاحترام؟ هل يكون بإمكاننا ان نخلي عليه رغبتنا بأن يترك ما هو مندمج في عمله وان يؤدي عملاً آخر نطلبه منه؟ طبعاً ذلك لا يحدث لأننا في تعاملنا مع الانسان البالغ نعطيهِ الوقت الكافي

لكي يجد المكان المناسب والوقت المناسب للتوقف عن العمل، وكأن عمل هذا البالغ اهم بكثير من عمل الطفل، بل على العكس إذ أن الطفل المندمج في عمل ما يبذل جهدا ويحاول اثبات نفسه من خلال عمله هذا مهما كان العمل الذي يقوم به بسيطاً. علينا ان نعطيهِ القيمة الحقيقية التي يتصورها لعمله هذا.

ان التهديدات غير المعقولة والمبالغ فيها يجب ان لا تطبقها على الطفل لأنها بالنسبة لخيااله تشكل الخطر الساحق لوجوده على هذه الارض اذا لم يتم هوبتنفيذها. أن هذه التهديدات غالباً ما تكون غير فعالة وقد تضعف من موقف الوالدين بالنسبة للطفل، كما ان الانتقاد الشخصي المتكرر للطفل غير فعال ومضر في نفس الوقت. فالطفل الذي يسمع من والديه جملة «انك اناني دائماً ولا تفكر في شيء آخر غير نفسك او انك ستبقى طائشاً لا تراعي شعور الاخرين» كل هذا التقرير بعيد كل البعد عن تهذيب الطفل لأن التهذيب لا يأتي مع الهجوم على شخص الطفل ولكن في محاولة اصلاح تصرفاته. ويجب عدم استعمال اسلوب الهزل والسخرية مع الطفل المتفوق لأن الاطفال المتفوقين شديداً الحساسة لهذه الصفات ويمكن ان يخرجوا او يتأثروا بها كثيراً. فقد يقوم الطفل الذي تعود سماع عبارات السخرية والتقرير من اهله باستعمال نفس هذا الاسلوب في معاملته مع الاخرين. فهو يسخر من كل ما يقوم به الاخرون من اعمال وقد يؤدي هذا الى السلبية في علاقته بالاخرين.

— تجنب الشكوى من طفلك والتذمر باستمرار من اعماله التي تعتقد انها مزعجة —

أن الاطفال المتفوقين لديهم مقدرة كبيرة على التعامل بالالفاظ فهم بطبيعتهم يكونون مصرين على طلباتهم مما يشجع المحيطين بهم على استعمال اسلوب الشكوى من هذا الأصرار لديهم وطريقتهم في التفكير و يضع لنا الكاتب (دريور كس ١٩٦٤) طريقة فعالة في التعامل مع هؤلاء الاطفال حتى يتجنب الوالدان الاحتكاك بهم وربما الانفجار. ان هذه الطريقة تسمى برفع الشراع بعيداً عن الرياح. فاذا بدأ طفلك بالشكوى المستمرة والمضايقة بالاسئلة التي لانهاية لها أو اذا أحسست انك بدأت الشكوى ومضايقة الطفل بالمثل ففي الحال ومن غير أي توضيح أدخل مكاناً خاصاً بك واحتل بنفسك. اجلس في تلك الحجرة وقرأ بعض المواضيع المهدئة ولا تلتقي بالامن يقرع الباب. تجاهل كل شيء وحاول ان تركز على الاسترخاء، حتى اذا ما هدا الوضع اخرج من مكانك واذا عادت الشكوى فعد إلي مكانك مرة اخرى فقد اثبتت هذه الطريقة فعاليتها اذا كررت مرات عديدة فقد تقلل من الشكوى التي لاجدوى منها ومن

الحصام الذي لافائدة منه . ومن المفيد ان نراقب علاقتنا باطفالنا . هل نحن نقوم بانتقاد الطفل مرارا وباستمرار عن تصرفات غير ذات قيمة يقوم بها احيانا، وهل نحن نقوم بملاحقته حول هذه التصرفات محاولين تعديلها أو تقويمها . ان هذه الطريقة لن تجعل هذه التصرفات تختفي . ان تجاهل هذه التصرفات الصغيرة وليس اظهارها دائما هو الذي يساعد على اختفائها ، لأن تغيير هذه الاخطاء لن يتم باسلوب الشكوى والتقريع بل باسلوب التفاهم .

ويجب ان لانجعل الغضب يسيطر علينا أو نقوم بتأثيره بعمل قد يكون في النهاية ذا مفعول سيء على الوالدين ، والطفل معا . فعندما يكون الانسان تحت تأثير الغضب يفقد موضوعيته ولايمكن له ان يقدر الموقف من خلال تلك الظروف . لذلك يجب أن نذكر انفسنا دائما بان هناك هدفاً من وراء معاملة اطفالنا لا بد لنا من تحقيقه ، ويجب تحقيقه بالطرق التي تبقي على علاقة الوالدين باطفالهما علاقة متينة لا تشوبها شائبة . ان كثيراً من الأهل يثيرون مشاكل اطفالهم على مسمع منهم امام الجميع . هذا التصرف يجعل الطفل يحس بان خصوصياته قد نشرت امام الملأ ، وهذا شيء مثير للقلق في نفس الطفل لأننا نبدي الحذر دائما في مناقشة مشاكل الكبار امام الجميع . من هنا يحس الطفل باننا لانوليده نفس الاحترام الذي نوليده للكبار ومن ثم تكون مشكلة . ان العقاب الصارم ينتج عنه غضب الطفل وشكه وعدم احترامه للسلطة ، وشعوره ان هذا العالم الذي يعيش فيه متغير وغير آمن .

إن الأطفال الذين أنشئوا عن طريق التشجيع والتهديب لديهم الثقة بالنفس واحترامها . وقد يولد العقاب اطفالا مجرمين بلا ذنب جنوه وانما هي طريقتهم في التعبير عما في انفسهم ومحاولتهم الانتقام من هذا المجتمع الذي عاملهم بقسوة .

بعض الاسئلة التي يكثر تداولها عن الانضباط

● أنت تؤكد على انضباط الذات؟ والكلام عن الانضباط يجعلني افكر في طفلي الذي يبدأ الكثير من المشاريع ولا يكمل الا القليل منها. فكيف اساعده لينظم وقته بنفسه لإكمال ما بدأه؟

ان هذا القلق يساور الكثير من اهالي الاطفال المتفوقين ولكن الشيء الوحيد الذي يمكن لنا وصفه هؤلاء الاهالي أن تنظيم النفس سيأتي فيما بعد مع النضوج. وقد لا يخطر على بال الاهل بأن بعض المشاريع التي يبدأها الطفل غير صالحة او غير ذات قيمة. فقد تكون بعض المشاريع اكثر من طاقة الطفل فهو يدعها جانبا الى أن يأتي الوقت المناسب لإكمالها. وقد توفر بعض هذه المشاريع في بدايتها الكثير من الاثارة فيحس الطفل بأن إكمالها غير ذي اهمية. فقد قيل بأن الشيء الذي لا يستحق ان يعمل الانسان لا يستحق ان يعمل على وجه طيب. إن تعليم الاطفال المتفوقين يضع الكثير من التركيز على انتاج الاعمال التي لا يستحق عملها وخصوصا فيما قبل سن المراهقة. فلا بد لنا ان نتحقق من توقعاتنا من اطفالنا لأن طريقة تهذيب النفس قد توجد ولكن ليس بالطريقة التي نختارها نحن، فكثيرا ما يقدم الطفل المتفوق على اتمام عمل لا يستحق الإكمال لاشيء إلا ليثبت أنه يستطيع ان يحقق ما يريد.

وفي بعض الحالات يتخلى الاطفال المتفوقون عن اعمالهم بسهولة اذا ظهرت لديهم بعض الصعوبة او الملل. فقد يكون هؤلاء الاطفال عرضة للشعور بالكآبة لأنهم يتوقعون الانتقاد دائما. وقد يفيدنا الرجوع هنا الى باب الدوافع والتركيز على بعض النقاط فيه.

● انني اشعر احيانا بانني ذقت الأمرين لأجعل طفلي يتصرف تصرفا لائقا في المجتمع.

متى يمكنني ان ارى بعض التحسن على شخصيته؟

ان الاطفال المتفوقين غالبا ما يكونون في الكبر اكثر الناس تحضرا وتفهما بالمعنى

التقليدي وفي البداية يتمنى الاهل احيانا ان يكون طفلهم عاديا او حتى غيبيا لأن طاقة الطفل المتفوق وحب استطلاعها وأسئلته الكثيرة وقدرته على الاشياء بطرق مختلفة تجعل التعامل معه ومحاولة تهذيبه امرا صعبا.

ولابد لنا ان نتحلى بالصبر فالأطفال المتفوقون هم اكثر الاطفال حساسية بمشاكل العصر ومشاكل الانسان بصورة خاصة ولكن بطريقتهم الخاصة. فهم لا يتحملون التملق والمغالاة، وهم يفعلون ما يشعرون به. ومن حسن الحظ بان الطفل الاستثنائي قادر على استباق الامور قبل حدوثها لذلك يجب مساعدته على اظهار شعوره وشعور الاخرين من الموقف. وماذا ستكون النتيجة اذا تصرف الطفل بطريقة معينة تجاه هذا الموقف؟ هنا يكون الطفل حر الاختيار في تغيير تصرفاته للوجهة التي يقررها هو وللطريقة التي يريد ان يعرف بها.

● عندما احاول توجيه طفلي فانه يتحول الى مُحام يضع يده على نقاط الضعف في حديثي ومحاوّل مناقشتي بها. هل هذا عادي بالنسبة للاطفال المتفوقين؟ وكيف يمكنني معالجة ذلك؟

نعم ان هذا عادي ويتطلب الكثير من الصبر من جهتك. فحاولي توجيه انتباه الطفل للقصد من التوجيه واقصاء انتباهه عن الوجهة القانونية. فكلما فهم الطفل القصد والباعث الحقيقي له اذا كان نابعاً من رغبة صادقة في التوجيه، كلما قل اهتمامه في ايجاد المخارج له من الموقف ولا بد لنا ان نتذكر بان الاطفال دائما يحاولوا ان يختبروا الحدود التي يضعها الكبار لهم ويحاولون معرفة ما اذا كانت هذه الحدود موجودة حقا، فقد يكون من السهل على الاهل مشاركة الطفل في توجيه نفسه وعقابها احيانا اذا ماتطلب الامر. فالقصد هنا هو استخدام اساليب الطفل السلبية بطرق ايجابية تجعلها صالحة لكي يحقق من ورائها النصح لنفسه ولن حوله من خلال اختيار هذه الاساليب ومدى صلاحيتها.

• ان طفلي يعتقد بان المدرسة مملة وانه يعرف الكثير اكثر من معلميه في المدرسة وانه قادر على تعلم كل مايتعلمه في المدرسة بنفسه. انه يرى بان يومه الدراسي ممل جدا. وهذا يخيفني، فرما يلجأ لترك المدرسة؟

كثير من الاطفال المتفوقين يمرون بمثل هذه الظروف، ويتركون المدرسة، ولكن بعض التوجيه بعيدا عن العقاب قد يقلل من احتمال وقوع هذا الشيء. فقد يتجاوب الطفل مع التشجيع والثناء والظروف الطبيعية. فلا بد ان نفهم شعور الطفل هذا بالملل والاحباط في المدرسة ونقدره. ولا يمكن لنا ان نفنف ضد الطفل و بجانب مدرسيه ولكننا يمكن ان نساعد في اقتراح بعض الحلول لمشكلته وما يراه مناسباً في تعديل هذه الظروف. فاحساس الطفل بالثقة اذا تعاون معك يمكن عن طريقه التوصل الى حل مع المسؤولين في المدرسة لكي تصبح المدرسة اقل مللا واكثر فعالية.

واذا اصر الطفل على ترك المدرسة رغم كل هذه المحاولات فلا تقف في طريقه، اعطه الفرصة لكي يعيش هذه التجربة معتمدا على نفسه وعلى نتيجة قراراته ولكن لا بد من استمرار الاتصال بينك وبين الطفل. فان الانضباط يتطلب الاعتماد على النفس ومواجهة مشاكل الحياة اليومية التي تعطي الفرصة للطفل ليقارنها بمشاكل المدرسة وتعطيه الشعور بالاعتماد على النفس والاكتفاء الذاتي. ومن حسن الحظ فإن الاطفال المتفوقين يكونون محبين للاعمال المهنية في مراحل حياتهم المتقدمة، لذلك فهم قادرون على ايجاد طريقهم في الحياة والتعويض عما فاتهم في السنين الاولى من العمر.

* * *

— تذكر ان السعادة لاتعتمد على من انت وما عندك ولكنها تعتمد بالدرجة الاولى على طريقة تفكيرك.

«ديل كارنيجي»

— ان الاشياء بحد ذاتها لاتقلق الانسان ولكن نظرتة الى هذه الاشياء هي التي تقلقه.

«ايبيكتس»

— انه لمن الحماقة ان نتوقع سوء الطالع والمصائب قبل حدوثها.

«سينيكا»

— ان ارشي لا يستطيع ان يشغل نفسه بشيء من غير ان يعتريه القلق.

«اديت بانكير»

— ان الانسان الذي يعيش متسائلا يستطيع ان يتحمل كل الوسائل.

«فريدريك نيتشه»



الفصل السادس

السيطرة على الضغوط

ذكرنا في الفصل الاول ان الاطفال المتفوقين يكونون عرضة لبعض الضغوط التي تختلف عن تلك التي يتعرض لها الاطفال العاديون. وقد يعتقد الناس ان الاطفال المتفوقين يحصلون على كل ما يطلبونه وقد يغيب عن بالهم ان هؤلاء الاطفال هم عرضة للضغط النفسي او للاحباط الذي يحتاجون معه للعون. ومن المسلم به ان الطفل يتأثر بهذه الضغوط حسب طبيعته ومزاجه الخاص، فبعضهم يتأثرون اكثر من غيرهم. وغالبا ما يتعرض الاطفال المتفوقون للشعور بوطأة الحياة عندما يحسون انهم لا ينتمون الى محيطهم. فالشعور بعدم الانتماء للمجموعة أو الاهل او الاصدقاء يعتبر احيانا مطلقاً وأحيانا نسبياً. فالطفل الذي تكون نسبة ذكائه من ١٣٠ الى ١٤٠ قد لا يشعر بعدم الانتماء اذا عاش في وسط يختلط فيه باطفال لديهم نفس الخلفيات والثقافة. اما الاقلية التي تعيش في الاماكن الفقيرة فقد تشعر بعدم الانتماء لهذا المحيط وقد يتسبب ذلك في ايجاد مشاكل نفسية هؤلاء الاطفال الذين هم من مستوى ذهني وعلمي يختلف عن الوسط الذي يتواجدون فيه. اما الاطفال المتفوقون تفوقاً عالياً فان تعرضهم للضغوط امر حتمي، فالطفل الذي لديه نسبة ذكاء تزيد على ١٦٠ معرض دائماً لأن يكون تحت نوع معين من الضغوط حيث يجد هذا الطفل مشكلة في التأقلم ويحس بالغربة اينما ذهب.

كيف نعلم الاطفال تحمل الاحباط

انه لمن سوء الطالع ان يكون مركز قوة الطفل ومقدرته على التعلم السريع هو سبب تعرضه لضغوط الحياة. فقد يؤدي هذا الشعور عند الاطفال إلى عدم المحاولة للابداع واعتبار ما لديهم من مقومات غير نافعة و اخفاء هذه المقومات، وعدم استعمالها قد يوفر عليهم كثيراً من الجهد والقلق. فقد يحس الطفل بأن وجوده في هذا الكون وجود مقبول وحتمي من غير أي محاولة من جانبه لتحسين هذا الوجود.

وقد يواجه الاطفال المضوقون بعض الشدائد التي لم يعتادوا عليها في صورة توقعات الآخرين لهم وطرق تنظيم حياتهم وتربيتهم. فقد يكتشفون مشاكل كثيرة في الحياة لاحل لها الا بالقرارات السريعة والتسويات السلمية. ومن هذه المشاكل ما يوجه ضربة في الصميم إلى هؤلاء الاطفال تسبب لهم الشعور بوطأة الحياة وصعوبتها.

ولابد للاطفال بشكل عام ان يروا في مرحلة من حياتهم باوقات صعبة يحسون بوطأتها عليهم حتى يستطيعوا تحمل ما سيواجهونه في المستقبل. وهذه المقدرة على تحمل أعباء الحياة تجعلهم مصممين بجهدهم على تحمل المشاق فيما بعد. لابد لنا أن نعرف الطفل الى مواقف تتطلب منه الجهد والتحدي الذي هو قادر عليه. فان تحصيله يجعله المتتابع قادراً على معالجة المواقف الصعبة في وقتها المناسب، كما أن المصائب لا يمكن تجاوزها دون نوفر الوقت الكافي.

بعض التحدي قد يكون مرغوباً فيه

ان الانسان يحتاج لقليل من الوطأة في حياته حتى يحس بقيمة الحياة، وتحملنا لهذه المشاق يختلف من شخص لآخر. فاذا لم تكن لدينا الدوافع الكافية لكي نتحدى بعض الظروف ونثبت انفسنا فاننا لن نتمكن من استخدام قدراتنا على وجه التمام لكي ننتج بما فيه الكفاية ونشعر بالاهمية والرضا عن انفسنا. ولكن الكثير من هذه التحديات قد تجعل حياتنا جحيماً. بينما القدر القليل منها يجعل الحياة اكثر بهجة واكثر متعة فوضع الاهداف للحياة يجعل تحقيق هذه الاهداف ذا قيمة سامية واذا لم يكن لشخص اهداف يسعى لتحقيقها فان الحياة تكون كئيبة لا معنى لها. ولا يحس الفرد بقيمته الشخصية إذا لم يقم على تنميتها وتطورها. فعلياً ان نشرح ذلك لأطفالنا حتى يضعوا لأنفسهم اهدافاً من الممكن تحقيقها بدلاً من أن يثقلوا كاهلهم باهداف كثيرة يصعب عليهم انجازها.

إن أغلب الاطفال لا يجدون الدافع ليقوموا باسطة الاعمال، فهم في حاجة الى ان يدفعوا بدافع يجعلهم يتحدونه ويسعون الى تحقيقه. فاذا حاول الطفل تحقيق هذه الاهداف والوصول اليها مع الحفاظ على اعتداده بنفسه واحترامه لها فانه يكون قد جنب نفسه المبالغة في انجاز الاهداف ومحاولة اثبات النفس. فتقّة الطفل بنفسه هي مفتاح النجاح له في تحقيق جميع اهدافه.

الضغوط غير المحتملة

وبالإضافة الى ما يواجهه الطفل من عقبات في حياته يجب التغلب عليها، وما ينجم عن ذلك من وطأة معاناة له، فان هناك نوعاً من المعاناة التي تواجه الطفل المتفوق، وهو النوع الذي لا يعود عليه بالفائدة ومع ذلك يجب عليه التعامل معه. وتأتي هذه المعاناة من عوامل عدة منها نظرة الاهل والاصدقاء والاقارب والمعلمين للطفل وحساسية هذا الطفل والصعوبة التي يلقاها في التأقلم مع الآخرين مما يجعل حياته عرضة لهذا النوع من المعاناة التي لا مبرر لها.

ان حس هؤلاء الاطفال الاجتماعي يجعلهم قادرين على استيعاب العديد من المشكلات عندما لاتسير الامور مسارها الطبيعي او تجعلهم يستبقون الاحداث قبل اوانها بطريقة متشائمة. فهم غالباً ما يطرقون مشاكل العالم من عدم المساواة في توزيع الثروات ومشكلة الجوع في العالم ونسبة الطلاق العالية وغيرها بالإضافة الى مشاكلهم الخاصة مع عائلاتهم. ومنهم من يتحسسون المشاكل في عمر صغير وهذا قد يهيء لهم شعوراً بعدم المقدرة على التصرف لحل هذه المشاكل لأنهم يعتبرون اطفالاً لا حول لهم ولا قوة.

ومن المهم أن نلاحظ أن نظرة الطفل المتفوق للأمور قد تختلف اختلافاً كلياً عن هم حوله وقد يتسبب ذلك في قلق كبير له، لأن ادراك الطفل المتفوق للحقيقة يختلف عن ادراك الآخرين لها واهتمامه بالقوانين الموروثة والمبادئ الحياتية يعطي هذه القوانين معنى سامياً وعمقاً كبيراً. من هنا علينا محاولة التخفيف من هذه الضغوط التي تنشأ من اختلاف هذا الطفل عن غيره من الاطفال العاديين. وعندما يظهر الطفل مقدرة غير عادية لعمل شيء ما فإن الآخرين يبالغون في هذه المقدرة وينظرون للطفل على انه طفل خارق قادر على حل اي نوع من المشاكل، ويعتبرونه انساناً كاملاً وخالياً من العيوب. ولكن الحقيقة ان الطفل المتفوق لا يصل الى درجة الكمال وهو تحت تأثير الضغط، فهو يحاول دائماً ان يفرق بين ما يتوقع منه وما هو قادر على انجازه مما يجعله عرضة للقلق والخوف.

النضج الانفعالي والعقلي

قد ينسى الاهل او من يحيطون بالاطفال المتفوقين بان نضوج الطفل الانفعالي لا يسير على نفس مسار نضوجه العقلي. فالذكاء يختلف تماماً عن الحكمة فقد يعرف الطفل المتفوق

الكثير من الحقائق في وجهة معينة من وجهات الحياة ولكن نمو الانفعالي ومقدرته على الحكم على الامور قد لا تكون اكتملت بنفس درجة نمو العقلي. وهذا لا يعني أن الطفل المتفوق يفترق إلى الحكم السديد بل بالعكس فان حكمه على الاشياء يكون دائماً متقدماً عن سنه كما ان مقدرته الفكرية هي دائماً متقدمة تقدماً كبيراً قد تحدوه الى مواجهة المشاكل الكثيرة.

وقد يتفاعل الطفل المتفوق مع المشاكل بطريقة انفعالية بما يتناسب مع سنه ولكن تفاعله فكرياً يكون احياناً غير متوازن مما يسبب المتاعب لأهله وذويه. فاذا كان الطفل يستعمل كلمات ذات مضمون عميق ويفكر في اتجاهات متقدمة عن سنه فلماذا لا يكون قادراً على تحمل بعض المشكلات التي يجب عليه التعامل معها من ناحية عاطفية. وكما ذكر «هوليسنجورت» فان اجتماع ذكاء الراشد وانفعالات الطفل في جسم طفولي يؤديان إلى الكثير من المشاكل فقد يكون الطفل قادراً على حل بعض المسائل على الحاسب الالكتروني وقادراً على شرح القوانين الوراثية بأسلوب رائع ولكنه في نفس الوقت يحتاج لحافه في الليل ليعطيه الاحساس بالطمأنينة والراحة والامان، وقد يجأ الى مص اصبعه لنفس الغرض. ولكن الكبار لا يقدرّون هذا الوضع فهم يعيدون على مسمع هذا الطفل العبارة الدائمة «اذا كنت تملك هذا الذكاء والفتنة فلماذا تتصرف كالطفل عندما يحين وقت النوم».

ضبط النفس

قد يعاني الاطفال المتفوقون من مضايقات اخرى هي عدم حساسية الاخرين بهم. فقد يكون تصرف الآخرين اتجاههم هو نتيجة الغيرة منهم او الحقد عليهم او الفهم السلبي لوضع هؤلاء الاطفال او حتى قد يكون تصرفهم ناتجاً عن حماقة هم لا يعونها.

فمن المستحسن ان نوضح للطفل ان تصرفات الآخرين اتجاهه ونظرتهم اليه هي اشياء خارجة عن ارادة الطفل وسيطرته. اما انفعالاته وتصرفاته فهو قادر على ضبطها والسيطرة عليها مما يساعد على التخلص من المضايقات التي يواجهها. فاذا تعلم السيطرة على نفسه فانه يكون قادراً على التعامل مع الاخرين ومن ثم يستمتع برفقتهم.

وهناك فرق بين ان يكون الانسان على علاقة طيبة مع الاخرين او ان يتحمل منهم مضايقات يحاولون عكسها عليه وهو في غنى عنها. فالفرق هنا هو كيفية تعلم الشخص كيف

ينظر الى الواقعة التي يواجهها. ولأن الاطفال اغلبهم لا يملكون السبل للتجاوب مع هذه الوقائع فان اسهل طريق عليهم حل المشكلة هو ان يستسلموا عن طيب خاطر. ولذلك هم في أمس الحاجة الى المساعدة والتشجيع ليتعلموا كيف يواجهون المشكلة متى قامت من غير استسلام.

مخاطبة الذات

ومن خلال دراستنا للأطفال المتفوقين واهاليهم فاننا قد اوجدنا طريقة المناظرة العقلية بين الطفل ونفسه لأنها تساعده كثيرا في السيطرة على التوتر الذي يواجهه وهذه العملية هي عبارة عن حديث النفس للنفس عما نفعه وسنفعه، وكيف نقيم انفسنا واعمالنا. وكثير من هذا التقييم يكون تقييما ذهنيا لأنفسنا ومشاعرنا فكثيرا ما جعله مجرد النظر الى شخص ما يشعر بالحنق على نفسه ويحاسبها ويهدبها. ولكن هذا الاحساس لا يراود العديد من الناس لأنهم لا يتوقعون ان يحاسب الانسان نفسه ذهنيا على ما فعل. وقد ينهمك الطفل في الحديث مع نفسه في سن مبكرة جدا لأن مقدرته الكلامية والحدسية أقوى بكثير من الكبار. فقد يبدأ الطفل في تقييم نفسه في سن الثانية أو الثالثة واضعاً هذا التقييم في جمل وكلمات مفيدة. وعندما يعبر الطفل عن نفسه بصورة جهورية اي يجعل افكاره تتكلم امامه فإنها تبقى منطبعة في ذاكرته الى امد بعيد.

ولأن الاطفال المتفوقين غالبا ما يكونون مثاليين فهم دائما منهمكون في حديث نقدي مع انفسهم. فهم ينتقدون تصرفاتهم التي لا تتوصل الى اهدافهم التي وضعوها لأنفسهم. ونتيجة لذلك فهم يشعرون بالاحباط والنقص وقد اوضحت ذلك «استرانج» ووايت مير إذ أن هؤلاء الاطفال يضعون اهدافا غير معقولة لأنفسهم فنجدهم غير راضين عن تصرفاتهم لأنها نتيجة اهداف مبالغ بها. كما ان الكبار يؤثرون على انتاج هؤلاء الاطفال الذين يحاولون تحت ضغط الكبار ان يثبتوا مقدرتهم على الانتاج والابداع. وحتى اذا كان انتاجهم على مستوى عال فإنهم سيستمرون في انتقاد النفس.

والمتفوقون ذوو التحصيل العالي يعانون نوعاً من الشعور بعدم الرضا عن انفسهم ويعبرون عن ذلك بمخاطبة النفس بطريقة سلبية وجارحة. والسلبية في

معاملة النفس ومخاطبتها هي التي تجلب القلق والتعاسة لهذا الطفل من غير علمه لأننا نشعر بهذا الشعور عندما ننتقد أنفسنا نحن الكبار. وقد يغيب عن بالنا أننا نستطيع ان نشجع أنفسنا فمثل هذا الكلام الايجابي يقوى النفس و يعطيها الثقة التي تحثها دائما على العمل المثمر. لذلك يجب ان تركز على مخاطبة النفس وتشجيعها بالنسبة للطفل بدلا من شجبها وقرعها مما يعود عليه الطفل بالخوف والتعاسة.

ان الكلام السلبي مع النفس هو غالبا ما يكون نتيجة التضارب في القيم وكيفية نظر الاخرين لنا وما يتوقعونه منا من حيث الشعور والعمل والانتاج. فنحن نمضي في حياتنا لإرضاء الاخرين حتى يعطونا المحبة التي لا يمكن للانسان ان يعيش بغيرها. ان الطفل يجب ألا يكون مختلفا عن الآخرين لأن اختلافه قد يفقده محبة الاخرين له. وفي بعض الاحيان فاننا نخاف ان نقدم على عمل الشيء خوفا من الفشل الذريع الذي سيثبت لنا باننا اقل بكثير مما توقعناه. فنحن لانعيش لما نتوقعه من أنفسنا، ولكننا مع الاسف نعيش لترضي توقعات الاخرين منا وخوفا من فقد محبتهم لنا.

العقائد غير المنطقية

ان اكثر ما يدعو الطفل الى توجيه الكلام السلبي لنفسه هو مواجهته لكل ما يجب عليه القيام به من غير قناعة شخصية. فقد يدفع نفسه لعمل هذه الامور وهو غالبا ما يكون غير مؤمن بها. وقد وضعنا هذه المعتقدات السائدة في الجدول التالي:

جدول رقم (٦)

بعض الاعتقادات الاساسية السائدة وغير المنطقية

- لا بد انك محبوب ومثار أعجاب الجميع.
- لا بد انك تتقن كل عمل تقوم به.
- ان الشخص الذي يتصرف بطريقة سيئة هو نفسه سيء.
- عندما لا تسير الامور وفق رغبتك الشخصية، فان ذلك يعتبر اكبر المصائب.
- ان سعادتك تتأثر بما يفعله الآخرون او ببعض الاحداث التي تدور حولك ولا تتعلق بطريقة تفكيرك او كلامك مع نفسك.
- اذا حصل ما يزعجك فلا بد لك ان تستمر في القلق والازعاج بلا توقف.
- ان ما يحدث في الماضي له اكبر الهمية على حياتك فلا بد ان تتطلع لأحداث الماضي دائما والقلق عليها وجعلها من العوامل التي تؤثر على حياتك الحاضرة.
- ان الناس ولا شياء يجب ان يختلفوا عما هم عليه الآن واذا لم تجد الحل المثالي فإن ذلك سيكون نهاية العالم.
- ان ما يناسب غيرك وما قد كان يناسبك في يوم ما لا بد من اتباعه في المستقبل.

بعض المقترحات الخاصة

بالاضافة الى تعليم الطفل المتفوق كيفية معاداة النفس والتقاليد غير المقبولة هناك خطوات كثيرة معينة يمكن اخذها لمساعدة الطفل على التعامل مع القلق والضغط المستمرين. وحذف النقاط التي ستتكلم عنها انما هو تكملة لما اوضحناه في فصلي الدوافع والانضباط مثل النجاح المتتابع واعطاء الفرص لمؤلاء الاطفال والانضباط ونحن نعتقد ان التعامل مع القلق هو جزء من ضبط النفس وذلك يلعب دورا كبيرا في ايجاد الدافع عند الطفل.

وأول هذه التوصيات: هو عدم التغطية على المشاكل لأن التغطية على المشاكل تجلب القلق والحديث عنها يساعد في التخفيف منها.

إن انكار المصاعب او التخيل بأنها غير موجودة وارد بصورة اكبر من الاعتراف بها وشرحها وايجاد الحلول لها عند الأطفال المتفوقين. فيجب على الاهل ان يضعوا ايديهم على المشكلة التي تولد القلق حتى عندما يرفض الطفل الحديث عنها او عن شعوره تجاه هذه المشكلة او حتى سماع رأي الاخرين بها. فالمشاكل التي تسبب القلق للطفل يجب ان نواجهها قبل امكانية حلها حتى لو كان ذلك سيتسبب مؤقتا في توسيع دائرة المشكلة.

وعندما يواجه الطفل مشكلة تسبب له القلق والحيرة سيكون منغمسا في حديث غير منطقي مع نفسه وفي هذه الحالة يجب ألا نواجه الطفل حالا بهذه المشكلة لأن ذلك سيزيده قلقا. فالحل هو تشجيع الطفل على التفكير علانية واثراك الوالدين معه في قلقه حتى يعكس على الاهل احساسه. فمن الممكن أن نسأل الطفل عن أسوأ الاحتمالات وماهي المصائب المترتبة على ذلك. كما اننا يجب التركيز على احساس الطفل بما يجب عليه عمله وما يريد هو عمله. فالاطفال يستطيعون استعادة الرؤيا لوجهة نظرهم المعنيه بالأشياء مما يساعد على التخفيف من قلقهم وشعورهم بالضبط للنفس. وعلينا اعداد صفارنا ليقرروا لأنفسهم اذا كانت لديهم مقدرة على ذلك. ان طريق تعليم الطفل اتخاذ القرارات هي شبيهة بالقيمة الموضحة في الفصل الذي تكلمنا فيه عن الحوافز والدوافع. فاسهل صورة لحل المشاكل هي:

- ١- تعريف الموقف او المشكلة ولا ولويات.
- ٢- تعريف المشكلة على صورته ما يجب عمله.
- ٣- رصد جميع الحلول المعقولة لحل هذه المشكلة.
- ٤- تجميع المعلومات عن الحل المعقول (الممكن - المحتمل - المتيسر).
- ٥- تقييم الملائم من الحلول الممكنة.
- ٦- وضع القرار

ان هذا المخطط او السير على هذا المنوال يبين للطفل ان اغلب المشاكل لها عدة حلول متوفرة له وتحت سيطرته. ولكن قليلا من هذه الحلول كامل لانقص فيه. وطريقة اخرى شائعة في حل المشاكل هي طريقة «سكامبر». ومن خلال هذه الطريقة يتعلم الاطفال كيف يتخلصون من عادة التذكير المتزمت الذي قد يجعلهم ينظرون الى المشاكل من وجهة واحدة فقط. وكلمة «سكامبر» هي الحرف الاول من عدة كلمات تمثل خطوات عناصر اساسية متكاملة في معالجة الافكار ووضع صور عقلية لها تعطي الطفل الابتكارية في حل المشاكل.

— الاستبدالية (ماهي الاشياء المتشابهة وماهي البدائل)؟

— هل يمكن جمع شيئين او دمجهما.

— كيف يمكن ان نضع بعض التغييرات والاصلاحات التي قد تساعدنا في حل المشكلة بطرق عديدة (تضخيم — تصغير — التوسط).

— عدد الاستخدامات (في اي استخدامات اخرى قد نستطيع استعمال بعض الاجزاء).

— احذف، اطل (ماالذي يمكن حذفه او زيادته).

— اعكس، اعد الترتيب (ما اثار تغيير ترتيب الاشياء).

وجزء اخر من تعلم حل المشاكل يكمن في تعليم الاطفال أن يحدّثوا وقتاً قصيراً، وهدفاً متوسطاً وأن ينظروا الى الاهداف بعيدة المدى. وكما ذكرنا من قبل فان المحاولة للوصول الى نتيجة بعيدة المدى قد تسبب شعور القلق والوطأة. وقد ينطبق هذا فعلاً على الاطفال المتفوقين لأنهم هم بطبيعتهم يثقلون انفسهم بأكثر مما يتحملونه. فان ذلك يوضح لهم الرؤيا اذا كانوا يستطيعون توضيح مشاريعهم من خلال وضعها على صورة كتابية ترسم اهدافهم وما يتطلعون اليه وخطة معينة للعمل بها.

لابد من مساعدة الطفل لكي يكافئ نفسه في محاولته الحصول على النجاح

ان هناك هدفاً معيناً يجب ان نعلمه لأطفالنا وهو المحاولة الدائمة او المرة تلو المرة، ولا نسمح للفشل ان يدخل حياتنا. لأن الفشل وعمل الاخطاء يجب ان نستغلها كحجر بداية في طريق انجازاتنا ولا تكون السلاح الذي يولد معه اللوم والاحباط. حتى الفشل يمكن ان نجعله فشلاً ناجحاً. وهذا الرأي يجب ان نشجع اطفالنا لتبنيه. فالفشل يجعل الطفل يتعلم شيئاً لم يعرفه من قبل فهو يتعلم شيئاً جديداً عن عدم نجاح الخطط وفشل بعض العمليات، فيستطيع الطفل في هذه الحالة ان يحلل عمله ليعرف مدى تقصيره في الوصول الى هدفه المعني ويجرب مرة وفق ما استقرّ في ذهنه حتى يصل الى مبتغاه.

لوم الاخرين لا يساعد على تخفيف القلق عن الطفل

ان الطفل الذي يلجأ الى لوم الاخرين ووصفهم بانهم السبب الحقيقي لكل مخاوفه وهمومه انما هو يشعر بعدم القدرة، لأنه يعتمد في حياته كلية على الاخرين مع انه يعطي الانطباع

بانه يستطيع الاعتماد على نفسه، لذلك يجب تشجيع الاطفال على الشعور بانهم ايجابيون وانهم ليسوا بضحايا عاجزة عن ان تكون مبدعة ومياله الى التوكيد والعزم على خلق حياة مستقلة وسعيدة لأنفسهم.

ويجب تعليم الاطفال ان المشكلة قد تكون احيانا في صالحهم وليس ضدهم، إذا فكروا بطريقة مبدعة، فلا بد من استعمال هذه الخاصية للحصول على اهداف لا تكون واضحة تماما في البداية.

والطفل الذي يحنث صديقه بوعده وعده اياه لا يقف ليتجنب و يلوم نفسه، انما يستعمل هذا الوقت ليرى فيلما كان يريد رؤيته من قبل او ليكتب رسالة لصديق لم يتمكن من كتابتها او نحو ذلك. وحتى عند وجود المشاكل لدى الطفل فله الخيار اما ان يقف و ينتحب و يلوم او ان يلقي بالمشكلة خلفه ليبدأ من جديد في العمل الفعال. واذا تأثر جزء من حياة الطفل بمشكلة معينة فذلك لا يعني ان تتحكم هذه المشكلة في جميع أجزاء حياته. إن عزل المشكلة في الوجة المخصصة لها يجعل الطفل قادراً على العمل في خطوط كثيرة بعيداً عن هذه المشكلة.

التهدئة الفورية ذات فعالية كبيرة

خلال المصائب يكون الناس تحت سيطرة الخوف والقلق والحلق وذلك يمنعهم من التفكير المنطقي المعقول. فلا يمكن التفكير بطريقة هادئة عندما يكون الانسان مثاراً أو مرهقاً عاطفياً. فمن الطبيعي ان نطلب من الطفل الهدوء اذا ما حدث مكروه او مصيبة ولكننا لم نعلمه كيف يستطيع الهدوء. وبعض هذه الطرق هو العد من واحد الى عشرة، او عمل التمرينات الرياضية المختلفة ومنها التأمل فهذه الوسائل يحاول الشخص ان يركز على نفسه لكي يستطيع ان يساعد أجزاء من جسمه على الارتخاء و يتخيل ذلك بالرقص او الركض وماشابه ذلك.

ان كلمة HALT الانجليزية تعني التوقف ولكنها استعملت هنا كأول حرف من كلمات اربعة هي الجوع «Hungery» والغضب «Angry» والوحدة «Lonely» والتعب «Tired». ففي اي حالة من هذه الحالات يصعب على الطفل ان يتعامل مع قلقه ويجعله مبالغاً في تقبل مشاكه بطريقة غير منطقية.

وهناك بعض العائلات التي استعملت هذه الكلمة بطريقة فعالة جدا فهي تنبه الطفل لكي يتوقف عن النقد السليبي للنفس والقلق.

والنوم هو احد العوامل التي تقلل من قلق الطفل ولم تثبت اي دراسات علمية سبب ذلك ولكن شكسبير قد قال «النوم هو الذي يخيظ اكمام القلق المنسولة».

معالجة القلق بالضحك

اغلب الاطفال المتفوقين لديهم المقدرة على تنمية روح الفكاهة في عمر مبكر وهم قادرون على التركيز على ما هو سخيّف ومناف للعقل في كثير من الحالات. فهذه الصفة هي احسن أداة للقضاء على القلق وخصوصا اذا استطاع الطفل ان ينمي لديه المقدرة للضحك على نفسه عندما يكون متوترا. فهذه الروح انما هي علامة واضحة على ان الطفل قادر على المحافظة على وضوح الرؤيا، وان الحالة التي يعتقد انها تثير القلق انما هي مجرد مشكلة، ولا يجب هنا ان نخلط بين روح النكتة والضحك والسخرية التي تخفي وراءها الغضب والمثالية اليائسة. فالنوع الأول قد يخفف من بعض الغضب او القلق بينما هذا النوع من التهكم مشابه للنقد واللوم الذي يوحى بفقدان الامل من تغيير الاوضاع الى الاحسن.

— ويجب ان نتعامل بحذر مع روح الفكاهة عند الاطفال المتفوقين خصوصا في البداية لأنهم ربما يظنون اننا نسخر منهم بدلا من تشجيعهم على الضحك على انفسهم. فعلى اولياء الامور ان يكونوا القدوة فيجربوا ذلك على انفسهم. وهناك حالات قد يعمد الاهل فيها الى اثاره موضوع مهم يضحكون على انفسهم ولكن حذار من المبالغة في ذلك، فان بعض الامور الدرامية اذا بالغنا فيها أصبحت مضحكة كذلك الامور المضحكة اذا بالغنا في ادائها تنقلب الى دراما. ففي العلاقات الشخصية يجد الاطفال الفكاهة او الدعابة شيئا مفيدا. فهم باستعمال روح الدعابة هذه يجلبون انتباه اصداقائهم وذو بهم كما انهم يستطيعون تحويل الاهتمام عن حالات القلق والخوف التي تعتر بهم ومحاولة الادعاء بعدم الاكتراث.

وقد قال احد الاطفال ان روح الفكاهة قد تساعد الطفل في الوقت المناسب عندما يحاول الآخرون التقليل من شأنه فنراه يتحول هذا الاسلوب لصالحه بأن نتعامل معه بروح النكتة.

يستطيع الطفل ان يتحكم في حالات القلق بالتعبير عن تقديره وفهمه للاخرين اذا ما غضبوا او اتخذوا موقفا ضده.

فهذا الطفل الذي يقدم العون تلقائيا او يتفاعل مع احساس الاخرين يقلل درجة انفجار حالة معينة كانت على وشك الانفجار. فالاطفال الذين يوضعون تحت المراقبة او التهديد يقعون في الفخ.. فتقديم العون والمساعدة في هذه الحالات يولد بداية صداقة متينة مع هذا الطفل.

— تعامل مع المواقف الصعبة بالتجاهل الايجابي

يعتقد اغلب الناس ان التجاهل هو صفة سلبية ولكنها في الحقيقة اكثر فعالية كصفة ايجابية. فالتجاهل يجعلنا نتمدد التفكير في شيء آخر غير هذه المشكلة المستعصية التي تواجهنا. فالانشغال الايجابي في عملية اخرى يجعل تجاهلنا للحالة الصعبة أسهل بكثير حيث التجاهل يمكن ان يتعامل مع الافكار والاحاسيس مثلما يتعامل مع الاوضاع المتوترة، لأنه من المستحيل ان نفكر اراديا في شيئين مستقلين معا في وقت واحد ولكن اذا شغلنا ادراكنا بحيوية في خاطر معين فاننا في نفس الوقت نتجاهل الخاطر الاخر. فعندما نركز على التفكير في عمل فعال فإن ذلك يوفر علينا كثيراً من الاضطراب.

— تعلم كيف تسأل مشكلة من هذه؟

اغلب المشاكل التي ينجم عنها القلق تكون من التقدير الخاطيء لما يريده الطفل أو مانريده نحن والآخرون المحيطون به، لأن الطفل قد يريد شيئاً مختلفاً اختلافاً كلياً عما نريده منه ولكن عدم النقاش في هذا الموضوع قد يبرز المشاكل لأن متطلبات الاخرين من الطفل المتفوق تسبب له قلقاً دائماً لأن توقعات هذا الطفل من نفسه تختلف عما يتوقعه منه الاخرون وهذه التوقعات المختلفة قد تولد الضغوط المختلفة. فعندما تختلط التوقعات وتظهر الضغوط والانتقادات فلا بد للطفل ان يتعلم من هو صاحب المشكلة. ففي اسلوبهم في الحديث الى انفسهم يحتاج الاطفال المتفوقون الى بناء تسلسلي من الافكار كالآتي:—

مجرد كلام الاخرين عن الطفل بطريقة معينة لا يجب ان تجعل الطفل يفكر بهذه الطريقة و يصدقها. ويجب على الطفل ان يقرر هو بنفسه اذا كان تقييماً الاخرين له تقييماً جيداً او غير معترف به وعليه في النهاية أن يبرهن العكس اذا دعت الحاجة الى ذلك. فهناك ثلاثة عناصر مهمة في هذا التسلسل في الأفكار:-

- ١ - محاولة معرفة هل انتقاد الطفل بهذه الطريقة له مبرر أم لا؟. وعلى الطفل ان يقرر بنفسه وخصوصا اذا كان النقد موجها لشخصه واعتقاداته او كفاءة تصرفاته.
- ٢ - قرار الطفل اذا ما كان يريد معالجة هذا التصرف لأن ما يقوله الاخرون عنه قد يكون حقيقة واقعة لا يكون الطفل عازماً للرد عليها. وقد يكون العكس صحيحاً فيقرر الطفل بأن يواجه الموقف و يتصرف كما يراه متلائماً مع الظرف.
- ٣ - على الطفل معرفة حقيقة شعوره حتى يسهل تنفيذ العمل.

فمثال على ذلك انتقاد المدرس طفلك الذي لا يقدر مشاعر الاخرين، فعلى الطفل اولا ان يقرر صحة هذا الاتهام. فاذا كان صحيحا عليه ان يقرر ما اذا كان يريد مواجهة هذا الاتهام. فاذا كان الامر مهما للطفل يجب عليه المواجهة، فذلك يعلمه الطفل كيف يفرق بين الابعاء والمسئوليات والانتقادات الموجهة اليه. والمساعدة من جانبنا تكون دائما مطلوبة، لأن الاجتهاد من جانب الطفل.

إن ذلك يتطلب المساعدة من اولياء الامور كتعلم اي حرفة جديدة بالنسبة للطفل فهو دائم البحث عن التشجيع و يتطلب ذلك الصبر والمساعدة من جانب الاهل لكي يستطيع الطفل ان يجاهد خلال هذه الاختبارات. إن تعلم أي شيء يتطلب التشجيع والصبر والمساعدة من الأهل لكي يستطيع الطفل ان يفكر بوضوح لينجح في الاختبار.

وعلى العموم فإن مدخلنا الى تقليل الضغط والقلق عن الاطفال المتفوقين هو بمساعدتهم على تطوير ادراكهم لاحتياجاتهم الشخصية ومثلهم الخاصة. ففي نهاية المطاف يجب ان يعتمدوا على تقييمهم الخاص لمقدرتهم (لكفائتهم كانهن) اذا ارادوا ان يتخلصوا من القلق والضغط النفسية الدائمة. فمعرفة بقيمتهم واولوياتهم واعتقاداتهم مع المقدرة على التخلص من الضغط والقلق سيساعدهم على الحصول على الثقة بالنفس وبالمقدرة على تكييف حياتهم في عالمنا هذا المليء بالاختبارات المتعددة والمتطورة كثيرا تبعا للتطور الذهني لهؤلاء الاطفال.

واهمية السيطرة على الضغوط وتخفيفها عن الاطفال المتفوقين والكبار كان موضوع دراسة طويلة قام بها «فاليانت». وقد اختار في هذه الدراسة مائتين وثمانية وستين فردا من اربع واذكى المجموعات في فصولهم والذين كانوا يدرسون في كليات تكثرفيها المنافسة. وقد درست حالتهم من خلال المقابلات والاختبارات المختلفة لمدة دامت حوالي خمس وثلاثين سنة. ومع ان جميعهم كان ينتظرهم مستقبل باهر الا ان كثيرا منهم لم يستطيعوا ان يثبتوا في اعمالهم او حياتهم الشخصية اي نوع من الانجازات او التقدم. وكان الفرق بين المجموعة التي تجت في حياتها والاخرى التي لم تنجح، أن المجموعة التي نجحت قد كومت استراتيجية معينة لمواجهة هذه الضغوط التي لايمكن للحياة ان تكون بغيرها. إنها نوع من عقبات الحياة تختبر قدرة الانسان على الصمود والتحمل.

بعض الاسئلة التي يكثر تداولها عن الضغوط

● ان الكوابيس تقلق الطفل كثيرا واعتقد ان خياله الخصب يستمر حتى في احلامه؟

ان اغلب الاطفال المتفوقين يحملون احلاما مركزه (يرون احلاما تقارب في دقتها الحقيقة). فاذا افاق طفلك من احد هذه الكوابيس، فلا بد من تهدئته والاصغاء الى تفاصيل هذا الكابوس اذا ما اراد وصفه. وعندئذ يمكن ان نقترح على الطفل بطريقة لطيفة ومقنعة بان يحاول الرجوع الى النوم وان يكمل حلمه بشرط ان يأخذ معه هذه المرة في حلمه شخصاً يثق به ويطلب حمايته فيما اذا احتاج ذلك. فهو قد يستطيع ان يأخذ معه والده او وجيشاً بأكمله او حتى الرجل الحديدي لأن هذا الحلم ملك خاص له يستطيع ان ينهيه بالطريقة التي يراها مناسبة لأنه سيكون في مركز القيادة والمتحكم بنتيجة هذا الحلم.

● انني اعاني من ان طفلي يحصل على كل مايريد به بسهولة تامة من غير اي قلق او مجهود؟

بالنسبة للجميع لا بد ان يكون هناك درجة قصوى للقلق حتى يظلوا في حالة ترقب واستعداد ولكن ليس لدرجة وضعهم تحت وطأة الاحباط، وهي الطريقة التي يتعلم بها الناس كيف يقللون من قلقهم ويتفاعلون معه. فاذا لم يكونوا قد تعودوا على مجابهة هذا التحدي في السيطرة على القلق فانهم سيكونون فريسة لأي وضع او حالة قلق تنتابهم، والحياة مليئة بهذه الاحداث. إن المقدرة على التعامل مع التجارب التي تعطي الطفل الاحساس بالقيمة تكون بمثابة الشمعة التي تنير له الطريق ليتمكن من مجابهة القلق. فانشغال الطفل بالعزف على آلة موسيقية قد يؤدي هذا الغرض بالاضافة الى ما قد يضيفه ذلك على حياة الطفل من سعادة وبهجة.

● انني اعتقد ان طفلي ناضجة اكثر من عمرها ولا اظن ان هذا يدعو للقلق ولكنها تأخذ كل شيء مأخذ الجد و يثير غضبها الاخرون عندما يتصرفون بطريقة غير مسئولة و يظهرون سطحية وجهلا في التعامل مع كثير من المواقف.

في اعتقادي ان تعامل الطفل مع مشاكل الكبار هو مدعاة للقلق على هذا الطفل لأن هذه المشاكل تشكل حملا ثقيلًا حتى على الاطفال المتفوقين. فلا بد للطفل ان يجد التوازن ويحافظ بين الجدية والدعابة في وجهات نظره. ولا بد لهذا الطفل ان يتعلم كيف يتقبل وجهة نظر الاخرين الذي يختلفون عنه وان يجد بعض القيم فيما يقومون به. واذا لم يتمكن الطفل من عمل ذلك فانه سيشعر بأنه وحيد في هذا العالم لا يستطيع التفاهم مع اي شخص لأنه سيكون تحت وطأة القلق والضغط الشديد من احساسه بأن الاخرين لا يشاركونه الرأي والشعور. شجع الطفل بأن يطور اهتماماته المرححة الخلاقة حتى يستطيع ان يهدأ و يتجنب التحامل على نفسه فلا يجوز ان نخلط بين النضوج العاطفي والاهتمامات العقلية.

● يتهمني أنسبائي بانني أضغط على طفلي كثيرا لكي اجعله يتعلم القراءة وبما انه يشعر بالملل في المدرسة فانهم يرجعون هذا الى طريقتي في الضغط عليه. ولكنني في الحقيقة لم امارس الضغط على طفلي بل تعلم القراءة بنفسه بمساعدة بعض برامج التلفزيون.

انه لمن الصعب ان نجعل الآخرين يفهمون الاطفال المتفوقين، و ينبغي ألا نحاول ايجاد السبل لتبرير تصرفاتنا مع اطفالنا لأننا نحن ندرك مدى احتياجات هؤلاء الاطفال اكثر من الآخرين. وقد تتطلب عملية توضيح بعض الامور بخصوص هؤلاء الاطفال للاخرين وقتاً طويلاً علينا من خلاله أن نتحلى بالصبر. وقد يساعدنا على ايضاح بعض الامور ان نقدم بعض الكتب التي تساعد على فهم هؤلاء الاطفال وان هذه القراءات تكون بمثابة العون الكبير لفهم الاطفال ولن تشكل اي ضرر عليهم ولن تسبب في توليد القلق لهم لأن الاطفال المتفوقين يرغبون في التحدي ومجابهة كل ما يدعوا اليه. لا بد أن يتحلى الوالدان بالشجاعة وان يعززا ثقتهم من خلال معرفتهما لأطفالهما.

● هل يحاول الاطفال المتفوقون عمل اكثر مما هم قادرون عليه لأن ابنتي تحاول الاشتراك في كل نشاط مدرسي وكل مسرحية ونشاط رياضي متوفر. وهي تأخذ من الفصول الاختيارية الكثير الذي يجعل حياتها مزدحمة ويجعلني اشعر بالقلق الدائم عليها لكثرة ما تحمل نفسها من اعباء؟

ان هذا صحيح فالأطفال المتفوقون كلما كبروا زادت براجمهم ازدحاما . وبالرغم من ان الاغلبية تتهافت على مثل هذه الاعمال ولتطلع الى مردودها عليهم إلا أن كثرة هذه الاعمال قد توصل هؤلاء الاطفال واهاليهم الى درجة الانفجار . وقد يجد الطفل في مرحلة من حياته انه لا يستطيع اتمام هذه المسيرة فتكون هذه فرصة سانحة للحديث مع الطفل ومحاولة افهامه بان كل شخص يحتاج الى قليل من وقت فراغ لكي يعد نفسه و يولد طاقات جديدة لكي يستطيع ان يعيد النظر في حياته و يراجع تقييم خبراته . فلا يجب على الاهل ان يقلقوا على هؤلاء الاطفال لأن هذا لن يسبب لهم ارهاقاً جسمانياً إذا وفر الأهل لهؤلاء الأطفال الجو الملائم والتقييم لتصرفاتهم .

بالنسبة لجميع الاطفال فان طاقتهم المبدولة مرهونة ومتناسبة مع مقدراتهم الجسمية اي ان لديهم منظماً طبيعياً لطاقتهم فإذا ما احس الطفل بانه قد بذل جهدا كبيرا فانه سيتوقف تلقائيا او يخفف من مجهوده اذا اتاحت الفرصة له . ولكن الاطفال الصغار الذين لا يعرفون كيف يضعون الحد لأنفسهم لا بد من إصرارنا على تخصيص وقت للراحة والهدوء لهم .

وهناك نقطة هامة لا بد من توضيحها وهي انشغال الطفل وانهماكه غير الطبيعي في عمل الشيء نتيجة لشعوره بالنقص ومحاولة منه لإثبات وجوده . في هذه الحالة يجب علينا ان نكون حذرين مع هذا الطفل لأنه يحاول ان يشغل نفسه باعمال قد لا يكون إقباله عليها رغبة منه ولكن للابتعاد عن شيء اخر . فعلى الاهل ان يحاولوا دائما ان ينتزعوا انفسهم من هذه الصورة ليكونوا قادرين على الحكم السديد .

● هل التنافس بين الاطفال شيء صحي لأن طفلي يريد ان يتبارى ويتنافس مع الجميع هل هذه الطريقة صحيحة ام لا؟

ان الالعاب التي يظهر لها الاطفال منافسة شديدة هي العاب تلبية احتياجات الطفل الانفعالية وزيادة على انها مثيرة لحب استطلاع الطفل وشغفه على التعلم ، لذلك نجد ان جميع الاطفال المتفوقين يحبون هذه الالعاب و ينجذبون لها . وغالبا ما يندمج الاطفال الموهوبون في العاب مثل لعبة الشطرنج التي تحتاج للتركيز وتقوم اللعبة في النهاية على غالب ومغلوب ، كما هو الحال في الالعاب الاليكترونية التي يستخدمها الاطفال ليختبروا انفسهم . لذلك فان هذه الالعاب لاتعتبر خطيرة ومضرة للطفل اذا كانت لديه المقدرة على الاشتراك في العاب اخرى

لا يحتاج الطفل ان يكون فيها رابحا او خاسرا، انما يلعب هذه الالعب لغرض التعاون وقضاء الوقت اللطيف مع الآخرين، وهذا يعلم الطفل قيمة التعاون.

* * *

— ان الكلمات هي اقوى مخدر يستعمله الانسان.

«رديارد كيلينغ»

— الانفعالات ليست مدعاة للخجل ولا يمكن اعتبارها شيئا ذا قيمة ثانوية او ذا قيمة اضافية بل انها مظهر صادق للانسانية واكثرها نبلا ونضوجا.

«جوشنا لوث ليبمان»

— عندما نتعامل بالاحاسيس فاننا اطفال في احساسينا اكثر من اي شيء اخر.

«رونالد اي. فوكس»

— اننا اذا لم نعط الفرصة للتعبير عن عواطفنا فاننا نصبح اناسا تقليديين من غير احساس او حيوية.

«ريچيد ستروتايب»

— ان الكلمة الحلوة تولد الثقة، والتفكير الطيب يولد العمق والعطاء السخي يولد المحبة.

«ليا تزن»

— ان المجاعة الانفعالية تجعلنا فاقدى الرعاية، جامدين، ومفطين، وبالضغط عليها نصبح مستنيرين مصلحين واكثر قداسة، وبتشجيعها، فانها تملأ الحياة عطرا، واذا لم نشجعها سممت حياتنا.

«جوزيف كولنز»

الفصل السابع

تواصل المشاعر

تركز اغلب الكتب والمقالات المهمة بالاطفال المتفوقين على توكدهم الذهني واتساع وثرأ قدراتهم المعرفية، والقليل كتب عن النمو الانفعالي لهؤلاء الاطفال لأن برامج المدارس تركز على تحصيل الحقائق وتعلم القوانين للظواهر العلمية الطبيعية. ولكن مجالات التعاون والاحساس والعلاقات الشخصية والعلوم الاجتماعية تلقى القليل من الاهتمام في هذه المدارس من خلال برنامج تعليمي يسمى بالتعليم الفعال، و يؤكد هذا البرنامج على دراسة العلوم بالرغم من أن الدراسات اثبتت تأثير الانفعالات والاحاسيس على تحصيل الطفل وأدائه في اختبارات الذكاء.

وقد يرى البعض ان التركيز على هذا الموضوع لا مبرر له لأنه في حكم المفهوم ولأن النظرة العامة للتعليم ترى ان يكون هدفه التحصيل والاستعداد للحصول على مهنة. اما القيم والمعتقدات والنمو الانفعالي للطفل فيجب أن يتعلمها في المنزل. وقد لا يكون من الغريب ان نعلم بان بعض المدارس او اغلبها تصور الانفعالات الشخصية كأنها عوائق تافهة لا بد من السيطرة عليها حتى لا تؤثر على مسار التعليم العام، كما ان ملاحظتنا قد تدفنا الى ما هو اسوأ وهو أن الاهل قد يلجأون الى تجاهل المشاعر أو التقليل من اهمية مشاعر اطفالهم حتى لا تتدخل هذه المشاعر في المسائل الحياتية العائلية.

ان اتصال المشاعر بين الناس هو اهم عامل نفسي في متناول يد الشخص للتعامل مع الاخرين وخصوصا بالنسبة للاطفال. فقد تكون الطريقة السلبية في مواجهة المشاعر قصيرة لجميع الاطفال فهي مضرة لدرجة كبيرة للاطفال المتفوقين لأن جميع النشاطات التي تحيط بهؤلاء الاطفال والاهتمام المركز عليهم يكافئ الانجازات والمهارات المحسوسة.

لذلك يجب علينا تطوير طرق اتصال المشاعر لنؤمن التعبير عن الاحساس بطرق سليمة لاتشتمل على التهديد وتكون صالحة للطفل المتفوق. ولقد بينت الاحصائيات والدراسات ان الاطفال الذين يعيشون في اجواء محرومة من التبادل الانفعالي والتعبير عن العلاقات بين الافراد ينعكس ذلك على مستوى ذكائهم.

ولأن الاطفال المتفوقين يملكون الموهبة التعليمية على التفكير المجرد الذي يكتسبونه في سن مبكرة فان تفكيرهم يختلف اختلافاً كلياً عن غيرهم من الاطفال، ان حب الاستطلاع لديهم ومقدرتهم الكلامية الحارقة بالاضافة الى المهارات المكتسبة لديهم بمستوى رفيع قد تجعلهم يظهرون بمظهر افضل من غيرهم من الاطفال، فالناس المحيطون بهم غالباً ما يتفعلون بشدة لوجود هذه الفروقات واغلب الاحيان تكون انتقاداتهم سلبية ومصحوبة بالغضب والنقد الجارح. ومن ثم نرى ان الطفل المتفوق ينفرد بشعوره واحاسيسه لنفسه لأنه عندما يحاول ان يعبر عن هذه الاحاسيس وعن ادراكه الحسي للامور يلاقى المواجهة والصد دائماً.

وعليه فقد نتوصل لنتيجة بأن التفكير او الاحساس بطريقة مختلفة عن الاخرين غير مقبول ومرفوض وقد يحس بأن هناك شيئاً أساسياً فيه يشكل خطأ كبيراً، تجعله مرفوضاً وغير مقبول بين الاخرين مما يجعله يحس بان هناك مشكلة اساسية لديه. ثم إن هذا الاحساس يتفاقم عندما يعي الطفل بان احساسه المرهف وحب استطلاعاه وشغفه الذي يعتبر مركز قوته هو منبع مشاكله مع الاخرين.

لذلك فان الطفل المتفوق بحساسيته المرهفة يقع فريسة الشعور بالنقص والنقد الشخصي الدائم وعدم الثقة بنفسه ووضع الحدود لها. فعدم مقدرة الطفل على معرفة حدوده تجعله يشعر دائماً بالاكتئاب، وقد يؤدي به هذا الشعور الى المزيد من عدم الثقة والضياع الذي كان يشعر به في بداية الطريق.

العبارات الجارحة القاتلة

ان شعور الاخرين وردود فعلهم وخصوصاً الكبار منهم نحو الأطفال المتفوقين كثيراً ما يكون عائقاً أمام تكوين علاقات طبيعية مع هؤلاء الصغار، لأن الاخوة والاصدقاء والمدرسين وحتى الاهل ينظرون إلى الاطفال المتفوقين على انهم غير مهذبين ومسيطرين، ولا بد من وضع

حد لغورهم هذا. وكما نعلم فان اغلب الاطفال المتفوقين قابلون للتطويع او التطبيع، لذا فلسنا محقين حين نشيع على اسماعهم كل هذه الاقاويل التي تقلل من شأنهم وقد لا يستطيعون ان يتخلصوا من تأثيرها لوقت طويل. ولقد سميت هذه الفقرات بالعبارات القاتلة لأن هذه العبارات بلا شك تحول دون تمتع الطفل بالتعامل الطبيعي مع من حوله. هذه العبارات لها آثار كبيرة ولكي نتعلم كيف نتحاشاها مع اطفالنا فاننا وضعناها في جدول صنف بجدول العبارات القاتلة لاحساس الطفل الذي يحاول اظهار شعوره وتوصيله الى من حوله لمشاركته ذلك الشعور.

ان كل هذه الاقوال المبيته في الجدول تجبر الطفل بطريقة او باخرى بانه غير معترف به كأنسان او كفرد. فهو لا يتمتع بالكفاءة اللازمة فاذا سمع الطفل هذه العبارات باستمرار فان ذلك يوقف من عملية نموه الانفعالي والنفسي ويجعله عرضة للانطواء والانكماش العاطفي وعدم الشعور بالامان والطمأنينة والشعور بعدم الرضا عن النفس وعدم الثقة بعلاقته بالآخرين. وبالرغم من ان القليل منا قد لا يستعمل أيا من هذه العبارات القاتلة أبدا إلا أنه لابد من ان نعتبر بان هذه العبارات هي سلاح خطير يجب تحاشيه بقدر الامكان. وحتى الناس الذين لا يقصدون تجريح الطفل فهم احيانا ومن غير تفكير او لاشعوريا قد يستعملون خليطاً من هذه العبارات الجارحة التي تهدد الثقة والتعبير الحقيقي عن الشعور بينهم وبين اطفالهم فعندما تنزلق احدى هذه العبارات من احد منا تحت ضغط الغضب او التوتر لابد لنا من توضيح الاحساس الدافع لهذه العبارة والاعتذار عنه، فان اعتذار الكبير للصغير وابداء الفهم حتى بعد فوات الاوان هو المثل للاخذ والعطاء وتبادل الاحترام والثقة بمشاعر الآخرين.

جدول رقم (٧)

جدول بالعبارات القاتلة الكفيلة بكف التواصل والدافعية

- ١- توقف عن العيش في برجك العاجي وكن كبقية الناس.
- ٢- لا وقت لدى الان. لاتضايقني.
- ٣- ان فكرتك سخيفة جدا ولا بد انك تعلم بأنها مستحيلة كذلك.
- ٤- انك لم تكن قائما على ذلك الشيء لأن شخصاً لديه ذاكرتك لا يمكن له ان يعيش.
- ٥- لو كنت اريد عمل هذا الشيء بطريقة مختلفة لكنت قد وضحت لك ذلك.
- ٦- اعتقد ان تصرفاتك سخيفة لشخص في مثل ذكائك.
- ٧- انك لاتتمتع بأي موضوعية. لماذا لاتكون مثل أمي.
- ٨- انني لا استطيع فهم تصرفاتك الغريبة هذه الايام.
- ٩- هل كنت نائما عندما كنت اشرح لك الموضوع.
- ١٠- انك اناني لاتفكر الا بنفسك.
- ١١- انني ضقت ذرعا بك و بافكارك السخيفة.
- ١٢- ان أصدقائك اثروا عليك وعلى تفكيرك، مع انك لاتصدق هذا الكلام.
- ١٣- ان هذه الفكرة ليست جديدة وقد اكتشفت منذ زمن بعيد.
- ١٤- انك على غير استعداد لهذه العملية الآن وستكون مجرد مضيعة للوقت.
- ١٥- اني لا اهتم بما تعتقد. افعل ما امرتك به.
- ١٦- انك تمر في مرحلة مؤقتة سوف تتعدها قريبا.
- ١٧- لاتتصرف كالاطفال غير الناضجين. عندما تكبر ستكتشف كيف يجب ان تشعر تجاه هذه الاشياء.
- ١٨- ان طريقتك خطأ وليس لك الحق بهذا الشعور.
- ١٩- اطرد عنك غبار الشفقة على النفس فانه لن يفيدك.
- ٢٠- لاتتصرف من غير تعقل اليوم لأنك ستفسد اليوم على الجميع.
- ٢١- لماذا تعتقد بأنك غير عادي. الجميع لديهم مشاكل مثلك واذا اردت أن تسمع المشاكل فلدي العديد منها.
- ٢٢- انك ستقوم بهذا العمل لأنني مصممة على ذلك.

انه لمن حسن حظنا أن الاطفال مرنون و يعدلون بسهولة من مشاعرهم اذا ابدى لهم الكبار حسن النية، كما أن هذا يزيد براعتهم الفكرية ويجعلهم يتحملون ويعيشون بأحسن طريقة يستطيعونها. ولأن هذه العبارات القاتلة تستعمل ضد الاطفال المتفوقين أكثر من غيرهم ولأن المجتمع ينظر لهم نظرة خاصة فانهم لا يمكن ان يكونوا احسن من غيرهم بل بالعكس فهم محط انظار وانتقاد الجميع ومن هنا فانهم في حاجة أكثر الى التشجيع العاطفي. وكلما زاد تفوق الطفل وابتعد عن الطفل العادي في صفاته احتاج الى رعاية أكثر وتركيب أكبر. فالمهم ان نعلم الطفل كيف يتحمل هذه الضربات ونوفر له التشجيع العاطفي بقدر الامكان.

شخص واحد قد يكون هو الملجأ

قد لا يحتاج الطفل إلى العديد من الاشخاص ليعطوه التشجيع العاطفي أو يحيطون بالاهتمام بقدر ما هو محتاج لشخص واحد يركز على هذا التشجيع ويمده بالقوة. فلو كان للطفل شخص واحد يوليه العناية الكافية ولديه ثقة تامة بقدراته وقادر على التفاهم معه، فهو كفيل بان يجعله قادراً على تخطي الكثير من العقبات في حياته. فوجود هذا الشخص الواحد يجعل الطفل قادراً على تحمل الكثير من المواقف غير العادلة. وهذا الشخص المهم قد يكون احد الوالدين او صديقاً او معلماً أو قريباً، فالمهم للطفل ان يكون لديه شخص واحد يقدره كإنسان ويجعله يثق باحساسه وشعوره وان له قيمة حقيقة يجب عليه ادراكها قبل اي شخص اخر.

كيف نعزز هذا التبادل في العلاقات

عندما نحس بخطر العبارات القاتلة على الطفل يمكننا اتخاذ الخطوات الايجابية لنعزز ونحسن العلاقات بين الطفل والديه.

العلاقات المتبادلة لا يمكن فرضها على الطفل

هناك اشياء يمكن ان نفرضها على اطفالنا وهناك اشياء لا يمكن فرضها. ومن هذه الاشياء تقرير العلاقات بين الطفل وغيره، فهذه العلاقة تأتي عن احساس وشعور تجاه هذا

الشخص وبما ان الاحاسيس هي جزء من العلاقات الانسانية فلا بد من تقرير هذه الاحاسيس وتشجيعها على الظهور. وحتى تتمكن من ايجاد هذه العلاقة مع الطفل يجب اظهار الشعور الحقيقي الجدير بالتصديق تجاهه من ناحية الوالدين.

ولقد قال «شفايترز» ان تعليم الاطفال لا يكون الابوضع الامثلة امامهم توضيحها لهم، فاذا اردنا من الطفل ان يظهر احساسه وقيمه في الحياة و يشارك بها لا بد لنا ان نضع المثل امامه وان نظهر شعورنا تجاهه، فان اظهار النفس على حقيقتها يولد الشيء نفسه عند الطفل والمشاركة في الشعور يجعله قادرا على تحمل الشيء نفسه واعطائه ما قد يكون هو على غير علم به و يولد الثقة عند الشخص الاخر ليشحذو حذوه. ولا يعني هذا ان نتبادل الشعور مع الطفل من الناحية الايجابية فقط، فان ابداء شعور الخوف والالام او الشعور بالارتباك والضعف قد يولد شعور المحبة عند الآخرين نحوه مما يساعدنا على رعاية الطفل وتنشئته. ولقد عرفنا من خلال التجربة ان الاطفال لا يستغلون لحظات الضعف هذه عند الوالدين اذا كان التعبير عنها صادقا وناجما عن مصدر اصيل. ومن المستحسن ان نتفادى المواقف التي يواجهها الانسان باحاسيس لا يعينها او اقوال غير صادقة. فهذا لا يساعد على توليد الثقة، وقد يكون عائقا بين الوالدين والطفل في طريق التعامل، لأن الاحساس الذي تعطيه للآخرين يجب ان يراعى شعورهم، فمحاولة انكار الشخص لشعوره او محاولة اخفائه يولد عدم الثقة في العلاقة بين الاشخاص. فما يحاول الاخر اشراكك به يعتمد كثيرا على رؤيتهم لهذا الشخص وكم هم سيكونون في مأمن بعد ان يفصحوا عن داخليتهم. واذا كنت غير راض عن مشاعرك فان الآخرين سيجدون صعوبة في الثقة بك.

كل علاقة لها عنصر نفسي اساسي ومحتوى هذه العلامة يتأثر بذلك.

إن الاثر النفسي لهذه العلاقة قد يظهر من نبرة صوت متأثرة او عالية او من خلال حركات الجسم وتقلصاته. ونفس هذه المحتويات يمكن تفسيرها بطرق عديدة وتأثيرها على الآخرين يكون مختلفا باختلافهم. فاذا حاولنا قراءة فقرة واحدة مرو بطريقة فرحة واخرى غاضبة او بطريقة حزينة، فان الاحساس الذي نعطيه من نبرة الصوت المختلفة تعطي شعورا مختلفا كل مرة للمستمعين رغم ان فحوى العبارة واحد.

والواجب ان نتخذ الحيلة من مشاعرنا وتأثيرها على الآخرين تحت هذه الظروف.

فالكثير من الناس لا يلاحظون مظهر الغضب وعدم الاهتمام بالآخرين الذي يظهر من نبرة اصواتهم، فاذا حاولنا استرجاع تصرفاتنا في ظروف معينة لكي نعرف كم كنا نظهر

الغضب او الحنق او نرجع بالسؤال الى اطفالنا كي يصوروا لنا احساسنا كما رأوها هم أو حتى نسجل هذه الاحاسيس على شريط نسترجعه لكي نرى كيف يسمعنا الآخرون وما التأثيرات التي تظهر في اصواتنا وحركات اجسامنا وهل هذا بالفعل ما كنا نود توصيله للاخرين، أدركنا الصورة التي كنا عليها في تلك الظروف وقد يسر الاطفال ان يقوموا بهذه المراجعات لأنفسهم لكي يتأكدوا من علاقاتهم مع اصدقائهم ولكي يكونوا اكثر استنارة في المرات القادمة.

لا تعط الطفل التعليمات التي تتضارب مع الاحاسيس

لا تقل كلاما يعني شيئا بينما نبرة الصوت وحركات الجسم والاحساس تعني شيئا اخر، كمثل الأم التي لا يكون لها اي رغبة في سماع قصة يقوم الولد بقراءتها، ولكنها تمثل ذلك، لأن هذا التضارب يخلق طفلا مضطربا ومشوشا. فالطفل عادة يصدق نبرة الصوت فلذلك يجب علينا ان نشرح لهذا الطفل كيف يحدث هذا التضارب بين ما نقول وما يظهر من نبرة صوتنا واذا كنا نحاول ان نوصل شيئا الى الطفل فلا بد لنا ان نتأكد مما نريده ان يفهم.

تصنيف الاحاسيس شيء مهم وهذا يساعد الطفل على تحديد احساسه في سن مبكرة.

يحتاج الاطفال إلى معلومات لكي يصنفوا كل الأحاسيس الانفعالية لهم وذلك لتطوير مشاعرهم، كما انهم يلجأون الى الفهم بأن المشاعر تأتي بطريقة تلقائية كالانفعالات الداخلية التي لا يمكن رصدها او السيطرة عليها تماما. والمشاعر بحد ذاتها قد تكون قوية او غير واضحة وربما تكون مريحة او غير مريحة ولكن لا يمكن تصنيفها بمشاعر حقيقية او خاطئة، الا ان التصرف الذي ينتج عن هذه المشاعر هو الذي يمكن ضبطه وتشكيله والحكم عليه.

تقبل مشاعر الطفل

إن تقبل مشاعر الطفل واحاسيسه وأفكاره لا يعني اننا نوافق عليها لأن المشاعر هي ملك الشخص نفسه وهذا ما ذكره احد الاهالي بانه قد يملك الانسان كثيرا من المقتنيات في هذه الدنيا ولكن مشاعره هي ملكه الخاص لا منازع له فيها. لذلك لا يمكن أن نقول للطفل انه

لا يمكنه ان يشعر بشيء معين او بطريقة معينة. فهناك مثل يقول بأننا اذا استطعنا ان نخلص الطفل من مشاعره في حيز الوجود فباستطاعتنا أن نوقف شلالات نياجر عن السقوط، لأن المشاعر هي عبارة عن تفاعلات وانعكاسات لاعلاقة لها بالعقل والمنطق. لذلك يجد الطفل المتفوق الذي يستعمل الجزء الايسر من دماغه اي الطفل الذي يفكر بالمنطق والعقل والنظام صعوبة كبيرة في التعبير عن احساسه. فهو في حاجة دائمة الى التأكيد على ان الاحاسيس لا يجب ان تكون منطقية مرتبة وقد يشعر الشخص باحاسيس مختلفة في حالة معينة. لذلك يجب استعمال عبارات التفهم قبل استعمال عبارات الارشاد والتغطية والنصح خصوصا عندما يكون الاحساس في اوجه.

وإذا استطعنا ان نضع في الحسبان قدرا من التفهم للطفل وكيفية شعوره في لحظة فقد نستطيع ان نسيطر على بعض المشاعر. واذا تفهمنا مشاعره فانه سيكون قادرا على التعاطف مع الآخرين واذا أفهمنا الطفل بأننا ندرك وضعه وما يضايقه من هذا الوضع فاننا نقوى عنده الشعور بعزة النفس. وهذا مهم جدا اذا عمدنا الى تهذيب الطفل وتوجيهه. فقد تكون الطريقة المثالية للتعامل مع الطفل ان نجعل شكوانا منه الطفل محاطة بالتفهم الايجابي والتشجيع. وهذا العمل لن يكون بلا فائدة، بل هو من اهم المفاهيم التي تؤثر في الطفل المتفوق.

من ناحية أخرى يجب ألا تكون المشاعر موضع تنازع او فضال، بل يجب علينا ان نتخلى عن عقدة الراح في المعركة الذي لا بد له من الفوز في النهاية، لأننا بعملنا هذا نعد الحلول اللازمة للمشكلة من غير مراعاة لمشاعر هذا الطفل الذي تخصه المشكلة. وهذا المسار المتعنت والمتصلب والذي يبرز سلطة الوالدين يكون ذا تأثير رجعي على الطفل، لأنه يقلل من ثقتنا بمعرفة الطفل لنفسه واعتقادنا باننا ندرك مشاعر الطفل افضل منه لذلك يجب علينا ان نحاول مساعدته في ادراك مشاعره الخاصة التي تمكنه من حلّ مشاكله. وعلينا أن نعطي الطفل الحق بان لا يكون كاملا وأن لا نتوقع منه ان يجد الحل لمشاكله ومشاكل الآخرين وخصوصا مشاكلهم الشخصية. فاذا اثبتنا للطفل اننا أنفسنا غير كاملين واننا لانجح دائما في تحقيق اهدافنا ومثلنا وافكارنا في الحياة، ولا نملك الاجوبة لكل المشاكل، كما أننا نظلّ نتعلم باستمرار فانه سيجد من السهولة ان يفصح عن نواقصه في الحياة ومشاكله العاطفية. وقد يجزنا ان نرى في كثير من الحالات التي يطلب فيها الاهل من اطفالهم الكمال ردة فعل لذلك بان يظهر الأطفال بمظهر العاجزين عن انجاز ابسط نوع من الاعمال.

وعندما نشجع الطفل ونبادله الثقة معنا فان ذلك يشجعه على اظهار مشاعره واحاسيسه بسهولة. فهو يريد التأكد من ان مشاعره ذات قيمة اذا ما أفصح عنها، فلا يجب ان نستعمل افصاحه هذا في عقابه، لأنه اذا احس بمعنى المشاركة الفعالة في المشاعر ستكون هذه المشاعر في خدمته وليست ضده. ويجب ان يكون الوالدان حريصين على عدم الوعد بالمحافظة على السر قبل ان يعرفا مضمون هذا السر، لأن الطفل يجب ان يكون لديه الثقة الكاملة بوالديه بانهما لن يفشوا سره اذا لم يكن ذلك ضروريا او خارجا عن طاقتهم لأن هناك جانبا من حياة معظم الاطفال مليء بالاسرار التي يحتفظون بها ويعتبرونها اغلى واثمن من اي كنز دفين. وقد لا تكون هذه الاسرار بالغة الاهمية بل وقد يعتبرها بعض الاحيان تافهة ولكن يجب احترامها لأنها تمثل جزءا مهما من حياة الطفل، فيجب علينا المحافظة على هذه الاسرار، والا نستعملها كنوع من السخرية او نتكلم بها على مسمع الاخرين، ان حساسية الطفل مرهفة وتبلغ ذروتها في سن البلوغ وفي تلك السن يطالب الطفل بالاعتراف بمشاعره واحاسيسه ولا يمكن لنا ان نشك في هذه الاحاسيس او نطعننها باعتبارها غير ذات قيمة فالطفل لا يجب سماع هذه الخواطر، ولا يجب ان يقال له بان احاسيسه ستتتهي عندما يكبر لأنها تعتبر جزءا من حياته. واذا قررناها فانها ستكبر معه. ان دقة هذه الاحاسيس واهميتها قد دعت بعض الكتاب الى الاهتمام بهذا الموضوع وهناك كتاب عنوانه لماذا يخاف الطفل من اظهار شعوره الحقيقي. وهو من الكتب المفيدة في هذا المجال.

والتعامل مع المشاعر بطريقة لبقة قد يكون مشجعا للاهل لأن الطفل المتفوق يكون لديه احيانا معين من هذه المشاعر وهو غير قادر على التعامل معها لأنه لم يكتسب الخبرة الكافية والوقت المناسب، وقد نرى بعض الاهل يشكون من اطفالهم وكيف انهم لا يستطيعون التعامل مع مشاعرهم لأنها غير ناضجة، والحقيقة ان الطفل يجب ان تكون مشاعره غير ناضجة لأنه طفل بالمعنى الصحيح ولم يتسن له معرفة هذه المسؤوليات والخبرات بعد، فمثل هذا يتطلب مهارات لا يمكن للطفل اكتسابها في مرحلة مبكرة من العمر. والدليل على ذلك اننا نرى بعض الشباب المتفوقين يتصرفون وكأنهم من غير مشاعر خاصة بهم ولا يابهون بنظرة الاخرين لهم. فاذا لاحظنا هذه الخاصية في طفل لدينا يجب علينا ان نتذكر ان كل ذلك عبارة عن قناع يحاول الشاب التمويه به على نفسه والآخرين. وان كل انسان لا يخلو من الاحاسيس والمثل يقول بأن الانسان لا يمكن ان يتعدى مرحلة الحاجة الى الحليب، وما يقصد بالحليب هنا هو رحيق الحياة من محبة وعطف وتأيبيد وتفاهم متبادل مع الناس. وعندما يرفض الاطفال الاعتراف بمشاعرهم فهذا يعني اما ان احاسيسهم مرهفة لدرجة لا يقدر على التعامل معها او انهم يخافون ان احاسيسهم ومشاعرهم لن تلاقى الاستحسان عند الاخرين فهم يحاولون اخفاءها والتنكر لها.

الاستماع الى الطفل هو طريقة من طرق الاتصال به

قد نستطيع ان نتعرف على بعض الاحاسيس المدفونة بارهاف السمع الى الطفل عندما يحدثنا عن حاجة اجتماعية تبعث في نفسه الضيق او فكرة مجردة. فقد تكون فكرة الحياة والموت عند الطفل من الافكار التي تشغل باله ويحب معرفة المزيد عنها. كذلك بالنسبة للشباب فان فكرة عملية الانجاب ودقائقها ومشاكل العالم المختلف والفقر والجوع في العالم كلها خواطر اذا اصغينا لها باذن مرهفة فاننا نعطي للطفل الفرصة في التعبير عن احساسه بها وموقعه اتجاهها من خلال النقاش داخل النطاق العائلي. ونحن لانقول بان الاستماع فقط هو من اهم الخطوات التي تؤدي الى الاتصال مع الطفل. فنحن باستماعنا المرهف نثبت للطفل بان كلامه وافكاره ذات قيمة وهي تجبرنا على الاستماع لها، وهذا قد يكون اكثر اهمية للطفل المتفوق منه للطفل العادي لأن الاطفال المتفوقين يكونون دائما سباقين لغيرهم من الاطفال في كل شيء. ففي اغلب الاحيان يطلب الطفل من اهله الاستماع له فقط من غير اى تعليم لأن الاستماع يعني اهمية كلام الطفل وهم لا يتوقعون التعليق او الرد انما يكون غرضهم طرح افكارهم ومشاركة الاهل في هذه الافكار سواء كانت افكارا تعطي البهجة او الكآبة للنفس. وقد نسال اطفالنا احيانا اذا كانوا يتوقعون منا الرد والتعليق على الكلام وانهم يريدون منا الاستماع فقط والمشاركة بالاحساس.

اقتراحات لتقوية المشاركة الوجدانية مع الطفل

هناك طرق للاستماع تجعل من المستمع مشاركا في المشاعر بقليل من العبارات التي يكون تأثيرها ذا فعالية عظيمة. فاذا استمعنا الى حديث الطفل فعلينا ان نتجاوب معه بأن نعكس المشاعر التي تختفي تحت ما يود توصيله لنا. وعلينا عمل ذلك باقتضاب وسهولة بان نستعمل بعض الكلمات المشجعة وان نعيدها على مسامع الطفل مرارا مسجلين بذلك اهتماماتنا الشديدة بالمناقشة التي يقوم بها الطفل. فالاستماع الايجابي يغذي روح الطفل ويشجعه على العطاء، ويجعله كالمرآة تعكس احساسه وتصرفاته التي يستطيع تحديدها والسيطرة عليها بايجابية وتفهم. ويعتبر التلفزيون والصحف احد العوائق التي تقف بين مشاركة الطفل والديه الاحاسيس والنقاش، وهذه وسائل نستعملها لتركيز اهتماماتنا على اشياء خارج انفسنا، وفي

احيان اخرى نستعملها كطريقة للهرب من التعامل والمشاركة. ولقد ناقشنا من قبل قيمة الوقت الخاص الذي يقضيه الوالدان مع الطفل لتغذية روح المشاركة والتعاون بينهم مهما كان عمر الطفل، لذلك يجب على الوالدين ان يخصصا قليلا من الوقت لكل طفل في اليوم. ويكون هذا الوقت ملكه هو، وفي حالة وجود اكثر من طفل يجب ان نعين وقتا لكل واحد. وعلى الأم خلال هذا الوقت الخاص أن ترفض الاجابة على أية مكاملة تلفونية لأنه وقت مكرس لهذا الطفل. إن ذلك يترك انطبعا جيدا في نفس الطفل لأنه يحس بان الوقت الذي تقضيه امه معه هو ملك له وان ما يدور فيه من احاديث امر هام لهما. لذلك يستطيع الاهل ايجاد طرق مختلفة وخلاقة لهذا الوقت الخاص الذي يقضونه مع الطفل فقد يأخذ احد الوالدين هذا الطفل للمدرسة او يصطحبه الى مطعم لتناول وجبة خاصة معه، او يصحب الطفل الى المتجر او التنزه معه في نزهة قصيرة لها الاثر الكبير في نفسه، كما ان لعب الورق هو احدى طرق المشاركة مع الطفل في قضاء وقت ممتع. لذلك فان ايجاد هذا الوقت الخاص للطفل مرارا هو اكثر تأثيرا من اعطائه وقتا كبيرا مرة واحدة في الاسبوع. واذا قضينا مع الطفل خمسة أوقات، زمن كل منها خمس دقائق أفضل بكثير من قضاء وقت واحد مع الطفل في الاسبوع لمدة نصف ساعة.

ويجب اقتسام الوقت مع الطفل في عمل شيء مهم له، وقد يعتقد الاهل ان الذهاب لمشاهدة الطفل يلعب لعبة كرة هو ما يسعده بينما لا يفكرون قط في اشراك الطفل في عمل نقوم به نحن كممثل اخذ الطفل الى المكتب واشراكه في عمل برنامج على الحاسب الالكتروني لكي يرى ما يقوم به الكبار من اعمال ويحس باهمية مشاركته معهم في اعمالهم. إن إشراك الطفل في هذه الأعمال يبين له أن الأهل يهتمون به و يشركونه في اهتماماتهم لأنه شخص مهم وله اراء قيمة.

إن اصطحاب الطفل في رحلة قصيرة يساعد في توطيد او اصر العلاقة بين الاثنين فان رحلة في السيارة او الطائرة لعدة ساعات تعطي الفرصة لتنشئة علاقة وطيدة تبنى على الثقة والتفاهم. كما أن رحلة الى حديقة الحيوان او الى احد المتاحف مع الطفل تجعل علاقة الطفل بوالده او ثق من العلاقة التقليدية التي ينتهجها الاهل في حياتنا اليومية مع الاطفال. فهذا التغيير يساعد على تكوين علاقة صداقة وثيقة بين الطفل ووالده.

والوقت الخاص الذي نقضيه مع الطفل قد تكون له نفس اهمية مكان خاص يجب على الطفل ان يقضي وقته فيه. فقد يحس الطفل بالامان والطمأنينة في مكان آمن يجعله اكثر قابلية للتكيف والعطاء مع الشخص الاخر لأنه يحس بالمحبة تحيط به فهو لا يحتاج حتى للكلام لكي

يعبر عن ذلك لأن وجوده في (المكان فقط يعطيه الاحساس بأنه يعيش في الجنة). وبالرغم من كل المحالات لا بد من ظهور بعض مشاكل الاتصال بالطفل فقد تحدث بعض المشاعر السلبية وقد تكون هناك مواجهة بين الطفل والديه، وفي هذه الحالة نفكر ما العمل لأننا لا نملك الحلول لكل المشاكل. وهناك بعض الاقتراحات المفيدة التي قد تساعدنا في هذه الحالة منها:—

١ — أن نتذكر ان المشاعر هي حالة مؤقتة والمشاكل سوف تتلاشى واذا ادرك الطفل ذلك فانه يدرك ان هذه المشاعر التي يشعر بها في وقت عصيب ستتغير ولن تبقى معه للابد، كما ان المواقف العاطفية المتأزمة لن تبقى طويلا. ولكن هذا لا يعني ان المشاعر القوية عند الطفل قد تذهب بمجرد ان يأمرها بذلك. فمحاولة نصح الطفل بما يجب ان يشعره هو في العادة يعطي عكس المفعول اذ يولد عند الطفل عدم الرضا.

٢ — لا بد لنا ان نتقبل مشاعر الطفل بنوع من التفهم حتى ولو كانت مشاعره هذه سلبية وموجهة ضدنا. فابجاد الحلول للمشاكل العاطفية والمواجهات مسألة غير سهلة، ولا بد من أن يجد حلوله الخاصة. فلا يمكن ان نعطي الطفل حلولنا للمشاكل ونتوقع ان تكون مناسبة، لأنه لا بد له ان يصل الى حله المناسب. وقد يحتاج الى مساعدة لكي يكشف هذه الحلول. فلا بد ان يكون لديه القناعة بأن حل المشكلة يجب ان يكون جزءاً من تفكيره. فعلياً ان نجعل الطفل يفكر من خلال مشكلته وهذا بدوره يعطي الطفل الثقة الكاملة بالوالدين.

٣ — لا بد من اتاحة الفرصة للمشاعر السلبية في الظهور حتى لا تتراكم وتنفجر، اوريا يستعملها الطفل في مواقف قد تكون ضارة بالنسبة له. وفي بعض الاحيان يعبر عن هذه المشاعر السلبية المتراكمة بطريقة غير مباشرة خصوصا اذا لم تكن هناك جهة في العائلة تعبر عن استيائها لهذا التصرف.

٤ — قد يلجأ الطفل الى الحصول على علامات رديئة حتى يعاقب والده الذي يحاول السيطرة عليه بكل طريقة لأنه لا يستطيع ان يبين شعوره بعدم الرضا لوالده حتى لا يظهر الغضب عليه. وقد يصب الطفل جام غضبه على درجاته لأنه لا يستطيع ان يغضب والدته التي تحاول دائما وأبدا ان تحتضنه بدور المحامي الذي يبغضه. وكملخص لما سبق شرحه فان المشاعر قد ننحيا جانبا بالرغم من أهميتها الكبيرة في حياة الطفل المتفوق. فاذا اردنا معرفة شعور اي شخص لا بد لنا بان نكون في موضع الملتقط لهذه الاحاسيس من غير تدخل او تسلط. فالحقيقة أننا لا نستطيع ارغام الناس ليشاركونا شعورنا ولكننا نستطيع ان نجعل هذه التجربة مفيدة لتعطينا الاحساس بالاكتفاء.

● كيف استطيع ان اجعل طفلي يشاركني مشاعره؟ انه يتجاهلني تماما.

لا يمكن لأي انسان ان يرغب الطفل على المشاركة الحقيقية اذا لم يود هو تقديمها. فلا بد لك ان تغير من تفكيرك. حاولي تفهم حقيقة الطفل وكيفية مساعدته وتشجيعه على الرغبة في المشاركة معك. فلا تتوقعي مشاركة كلية في الحال، لأن العلاقة تأخذ وقتا لتكون فكلما حاولت اجبار الطفل على المشاركة كلما حاول هو ان يخفي تحت قناع يعتبره الملجأ الوحيد له عندما يحاول الناس مضايقته والضغط عليه.

● هل للاهل الحق في اظهار مشاعرهم اذ يبدو ان التركيز في هذا الكتاب موجه نحو
الطفل وكيفية مساعدته؟

مشاعر الاهل لها نفس اهمية مشاعر الطفل لأنها الملكية الخاصة لأي شخص. ومعظم مانوقش في هذا الباب يتعامل مع ما يهيم الطفل والوالد. ولكننا نفترض دائما بان الاهل لديهم المقدرة على السيطرة على مشاعرهم وعلى تقويم تصرفاتهم اكثر من الاطفال لذلك نتوجه دائما بالتركيز على هؤلاء الاطفال ومساعدتهم. والحقيقة هنا ان تفهم الوالدين لمشاعر اطفالهما يبدأ بتفهم الوالدين لمشاعرهما والحرص الشديد على عدم استغلالها.

● انه لمن المحرج احيانا أن يذكر الطفل امام الاخرين تفاصيل دقيقة لمشاعر شخصية
تخص العائلة فكيف نتعامل مع هذا الطفل؟

يجب على الاطفال ان يعلموا حقيقة شعورهم ومتى واين يستطيعون التعبير عنه. ولا يستطيعون تعلم هذا الا بالتمرين الدائم وبتقديم المثال الجيد امامهم. فاذا كان الطفل سعيدا بمشاعره ولا يبخل منها فانه لن يلجأ الى التعبير عنها بطريقة غير لائقة.

وبالرغم من حساسية هذا الطفل فانه يتعلم بان يكون اكثر مسئولية عن نفسه ومتحكما بمشاعره ومثله واحاسيسه ومراعيا لمشاعر الاخرين.

● انني احاول بقدر المستطاع ان اتجنب العبارات القاتلة ولكني رغم كل ذلك اقولها من غير شعور احيانا. فما مدى تأثير هذه العبارات على طفلي؟

انه لمن حسن الحظ ان الاطفال عامة والمتفوقين خاصة هم أكثر الناس سماحة ونسيانا لهذه العبارات. فاذا كانت هذه العبارات نادرة الحصول واذا كان هناك مجال يسمح للطفل بان يعبر عما يزعجه، فان هؤلاء الاطفال غالبا ما يبينون للاهل مدى تأثير هذه العبارات عليهم وكم يؤلمهم سماعها. ان الاعتذار الصادق في هذه الحالة يكون كالبلسم على الجرح لأن الطفل لديه المقدرة على الصفح والنسيان.

● انني احاول مشاركة طفلي مشاعري بالتعبير عنها واحاول معرفة مشاعره ولكنه يظل دائما بعيدا عني لا يسمح بالمشاركة.

لا بد لك من دراسة مشاعرك التي تحاولين التعبير عنها بالكلمات او بنبرة الصوت او حتى حركة الجسم. فبالرغم من رغبتك الصادقة في التعبير عن مشاعرك، يحس الطفل بوجود بعض الكلمات السلبية او الشعور السلبي. فحاولي ألا ترائي نفسك واعطي من الايجابيات اكثر مما يمكنك عطاؤه. فذلك يبني الشجاعة والامل اللذين قد يكونان منبعاً للفخر والتفاؤل. وبمعنى اخر حاولي أن تكون معظم تعبيراتك إيجابية قدر الامكان.

* * *

— ان الطبيعة الانسانية لا تختلف من شخص لآخر لأننا جميعا نتحلى بها وقد يتحلى بها البعض اكثر من الاخر.

«ادوارد نويز ويستكوت»

— لا يمكن للانسان ان يكون وحدة كاملة بنفسه لأن الانسان هو قطعة من قارة وجزء من العالم.

«جون دون»

— دعونا نمشي يدا بيد وليس واحدا قبل الاخر.

«وليام شكسبير»

— اذا كان الانسان لا يستطيع التوافق مع صحبه، ربما لأنه ينتمي الى عالم اخر.

«هنري ديفيد ثورين»

— انني لا اريد ان اكون عبقريا لأنني اواجه العديد من المشاكل لأكون انسانا.

«البرت كمنز»



الفصل الثامن

علاقة الطفل بأقرانه

اننا نعلم ان الاطفال المتفوقين يعتبرون المحبوبين والناجحين وياتون على رأس القائمة ولكن هناك عدداً كبيراً منهم لا يستطيع التعايش مع من حوله. فنرى ان الاطفال المتفوقين بالغى الذكاء غالباً ما يلقون صعوبة في ايجاد رفقاء صف يشاطرونهم نفس الاهتمامات ويكون لديهم نفس القيم.

فعندما يبدأ الطفل حياة المدرسة تبدأ مشاكله مع اقرانه نتيجة لعدم تجربته الكافية في التعامل مع الاخرين او عدم وجود قاسم مشترك بينهم يجعلهم متشابهي الاهتمامات والقيم، ومع ان مقدرتهم على التكيف تكون طبيعية الا انهم يجدون صعوبة في التأقلم مع الاحداث الطبيعية التي تختلف طريقتهم في التعامل معها عن غيرهم، فقد يكرهون اصطلاح طفل متفوق لأن ذلك ينحيمهم او يجعلهم مختلفين عن اقرانهم. وحينما اخريشعرون بالزهو والسعادة لأستعمال هذا الاصطلاح. إن الرغبة في الاندماج والتكيف تتضارب مع رغبتهم في اظهار موهبتهم الفريدة وقد عبر عن ذلك احد التلاميذ بقوله:

«ان اصدقائي كانوا عائقا في طريق تقدمي الاكاديمي، لأنني كنت مأخوذا بتحقيق ما يبتغونه او ما يتوقعونه مني حتى انني لم اركز على واجباتي المدرسية كما يجب. كما عبر اخر عن الضغط الذي يسببه الاقران للطفل بانه ضغط يجب التغلب عليه».

هل الاقران حقيقة متساون

ان تصنيف الاقران بالنسبة للاطفال المتفوقين مهم جدا لكي يعرفوا من هم هؤلاء الاقران وكيف نساعد الطفل على فهم معنى القرين الصحيح. ان الاقران هم اشخاص لهم

نفس المكانة والمواقف ولكننا نتساءل من هم الذين يتساوون مع الطفل المتفوق؟ وفي اي المواقف وتحت اي ظروف يتساوون؟ ربما يكون قرين الطفل في كرة القدم غيره في لعبة الشطرنج وغيره في حل المسائل الحسابية. ففي اي وقت من الاوقات قد يكون للطفل المتفوق اكثر من قرين معتمدا على علاقته بهؤلاء الاقران سواء كانت علاقة ذهنية او عاطفية او جسدية فأن جوهر علاقة الطفل بقرينه صعب لأننا لانستطيع ان نساوى بين الاطفال لأنهم متقاربون في العمر.

من خلال علاقة الطفل باقرانه هناك على الاقل واحد من ثلاثة عناصر هامة لا بد من النظر اليها وهي أن نقبل على الطفل، أو نتجنبه، أو نسيطر عليه ونعطيه المحبة المطلوبة، فعلاقة الطفل مع اقرانه يمكن فهمها اكثر عندما نفهم هذه الأبعاد الثلاثة. ولأول وهلة قد تبدو هذه العناصر متشابهة ولكنها في الحقيقة غير ذلك.

وأول هذه العناصر واهمها هو شعور الطفل بالانتماء او شعوره بالابتعاد او الاقصاء والشعور كذلك فيما اذا كان الطفل مع المجموعة المطلوبة او بعيدا عنها أو منفصلاً عن المجموعة كلية. عندما نحدد ذلك ننتقل للعامل الثاني وهو من القائد في هذه المجموعة؟ ومن هو التابع؟ ومن هو المسيطر ومن هو الذي يسيّر امورها؟ وعندما نعالج هذين العنصرين فاننا نستطيع ان نناقش العامل الثالث وهو شعور الآخرين في المجموعة بالمحبة تجاه هذا الطفل أم لا!

وبالطبع فان الانسان يشعر بالمحبة لهؤلاء الذين يستطيع الاعتماد عليهم والذين يمكن التنبؤ بتصرفاتهم. فاذا كنت تريد الاعتماد على شخص ما فلا بد من معرفة ما اذا كنت تنتمي الى مجموعة وبعده ذلك يجب معرفة واجبك وواجب الشخص الذي تود الاعتماد عليه في هذه المجموعة والشعور بالانتماء لمجموعة الاصدقاء ونبيل محبتهم واحترامهم شيء هام جدا بالنسبة لجميع الاطفال لأن اعتراف الاقران يولد عنده الاحساس بالثقة بالنفس والاعتراز. فاذا كان الطفل مقبولا من الاخرين فهو قد أحرز على الاقل بعض ما يتطلعون اليه وما يتوقعونه منه، فقد شكل نفسه بما فيه الكفاية لكي يستطيع ان يحصل على احترامهم وتفهمهم وطريقة التعامل معهم.

ان علاقة الأطفال مع اقران في نفس العمر ونفس القدرة تدهم بمورد عظيم للتعليم حيث يكتسب الاطفال سلوكهم الاجتماعي و يدعم ذلك احساسهم بمقدرتهم. ففي هذه العملية الاجتماعية نراهم يقارنون انفسهم مع الاخرين من جهات عديدة منها: الحجم والقدرة

الجمسانية والقدرات الاجتماعية والعقلية. فهم دوما ينظرون الى انفسهم بالنسبة للاخرين، مما يؤثر في اعتدادهم بانفسهم.

إن دخول المدرسة عامل يدفع الطفل لمقارنة نفسه باقرانه الاخرين، لكي يكون جديرا لتوقعات الاخرين منه. وعندما يكبر الطفل وفي سن المراهقة تكون مجالات المقارنة اكثر حيث يبدأ الشعور بعدم الامان عند المراهق.

وبالرغم من هذا فان اغلب مقارنات الاطفال باقرانهم ليس لها قاعدة واحدة لأن الاطفال بمحاولتهم المستمينة لكي يكونوا جزءاً من المجموعة فانهم الى حد ما يضعون انفسهم في مواقع لا حاجة لها كي يشبثوا قدراتهم، ذلك أن طريقة تعامل هؤلاء الاطفال مع اقرانهم ومقارنتهم بهم قد تحد من تقدمهم، مما يدعوننا ان نوضح لهم انهم بحاجة الى اكثر من قرين يقارنون انفسهم به لأنهم ربّما اختاروا القرين غير الملائم للمقارنة في وضع ما لا يتوافق مع مقدراتهم الشخصية.

ويعتقد الاطفال المتفوقون في المراحل الاولى من أعمارهم ان الآخرين يمكنهم القيام بأي عمل هم قادرين عليه وان نظرتهم للامور متشابهة كما انهم يقتسمون نفس المصالح والاهتمامات، لذلك فان علاقة الاطفال المتفوقين باقرانهم من نفس السن ينتج عنها شعور بعدم الاستحسان.

● إلى أي مدى يجب على الطفل ان يتأقلم أو ينتمي او يجد لنفسه المكان الملائم ؟

قد يظن الاهل ان الاطفال المتساوين في الاعمار يجب ان يتلاءموا مع بعضهم البعض سواء كان ذلك في المدرسة او خارجها، ولكن هذا الاعتقاد غير وارد او غير صحيح. و يوجد غالبا عندما يكون الاهل غير قادرين على معرفة مقدرة طفلهم الاستثنائي او مزاجه او اهتماماته في طور نموه لأن معظم الاهل يريدون من طفلهم ان يندمج مع غيره من الاطفال وان يكون طبيعيا.

وتركز مجتمعاتنا على قدرة الطفل على ان يكون اجتماعيا مهما كانت نوعية الافراد الذين يتعايش معهم. فقد يغرس الوالدان في نفسه الاعتقاد بان التكيف هو اهم بكثير من الدوافع الداخلية التي تحته على الاكتشاف الخلاق. وبالرغم من الضغط الذي يضعه هؤلاء الاهل على اطفالهم فهم يريدون ان يكونوا سعداء ومقبولين من غيرهم من الاطفال لأن احساس

الطفل بأنه ينتمي لمجموعة مهم جدا. وهذا الاحساس يجعلنا نحن الكبار نتذكر اللحظات التي مرت في طفولتنا عندما شعرنا باننا منبوذون وكيف كان اثر هذا الشعور في انفسنا كما أننا نتذكر الشعور بالسعادة والرضا عندما نحظى بحبة الآخرين ورضائهم. ان انعكاس شعور الوالدين واضح جدا فيما يتوقعانه من اطفالهم سواء كان هذا الطفل استثنائيا او عاديا.

ان هذه الذكريات قد تجعلنا نهتم كثيرا بنفسية الطفل المتفوق لأنه غالبا ما يكون له عدد محدود من الاصدقاء وهو لا يشكل رمزا محبوبا بين الجماعة. وبما ان الطفل المتفوق يتمتع بمقدرة كبيرة على العطاء فهو يواجه في حياته كثيراً من المواقف التي لا بد له من التكيف معها. كذلك يواجه التحديات والسعادة بوجوده مع الاطفال الاخرين. ومن شأن ذلك ان يعيدنا الى نفس النقطة وهي ان نظرنا الى علاقة الطفل باقرانه تختلف كثيرا عن نظره هو. وثمة بعض الاطفال المتفوقين والذين يتمتعون بقدر كبير من الذكاء لا يحتاجون غير القليل من الاقران. وقد يكتفي الطفل المتفوق بصدقة قرين واحد حيث تكون هذه الصداقة متينة وقوية ومركزة. وهذا النوع من الاطفال لا يبالي اذا لم يكن محبوبا لأنه لا يود اضاءة الوقت في علاقات مع اطفال اخرين هي في نظره علاقة سطحية لا يبني من ورائها اي فائدة تذكر. إنهم يركزون على القليل من الصداقات التي يجنون من ورائها عمق العلاقة التي توفر لهم الاحساس بالانتماء والصلة القوية التي تقرر ثقتهم بانفسهم. فيجب هنا ان نلاحظ ان ايجاد علاقة مع اصدقاء قلة بمحض ارادة الطفل وليس لأنه لا يستطيع تكوين صداقات عديدة مع اطفال كثيرين شيء مهم جدا له لأن اختيار الطفل لأصدقاء قلة ناجم عن رغبته هو وليس لعدم مقدرته على تكوين صداقات عدة او كفره من تعدد هذه الصداقات وعدم مقدرته للتكيف معها. ومع ذلك فان الاطفال المتفوقين يرغبون في انشاء علاقات عديدة مع اطفال كثيرين ولكن يجب ان تكون هذه العلاقات متينة فعالة وقد يلجأ الكثير منهم في سبيل ذلك للتنازل عن بعض مصالحهم واهتماماتهم. فهؤلاء الاطفال يحاولون التكيف مع مجموعات عديدة من الاطفال في وقت واحد وقد يدهش الاهل من اختلاف نوعيات هؤلاء الاطفال واعمارهم بالنسبة للطفل المتفوق ولكن هذا شيء عادي بالنسبة لهؤلاء الاطفال.

الصداقة الحميمة

سواء كان للطفل المتفوق اصدقاء قليلون او كثيرون فهو دائما في حاجة الى صديق خاص، صديق تكون العلاقة معه علاقة عميقة تفوق اي علاقة اخرى. فهو الذي يعطي الطفل

الاحساس بأنه مهما ساءت الامور فانه سيكون دائما بجانبه يعينه على مضايقات الحياة وضغوطها والاهانات التي قد يحصل عليها من الاخرين. ان المناقشة مع هذا الصديق تعطي الطفل الفرصة لكي ينظر للمشاكل من وجهة نظر مختلفة عما هو معتاد عليه. وهو يبادل هذا الصديق العاطفة الجياشة التي تعكس على الطفل التأكيد على قيمته الشخصية. فاهمية الصديق الخاص للطفل المتفوق كبيرة لأثرها القوي على احساسه المرهفة، ولكن ذلك لا يقلل من اهمية الأقران الاخرين للطفل. وقد يكون من المستحسن ان نساعد على ان يطور صداقات عديدة لكي يتولد عند الطفل المتفوق استحسان لقيم هؤلاء الاطفال ومساهماتهم في حياته مع انه يفوقهم ذكاء. وأهم تحد يواجه الأطفال المتفوقين في علاقتهم مع الاخرين هو التكيف مع توقعات الاشخاص الذين لهم علاقة بهذا الطفل.

● ماذا يحدث بعد اكتشاف الطفل المتفوق

عندما يعلن اكتشاف الطفل المتفوق فذلك يسبب له العديد من المشاكل مع أقرانه واصدقائه. فعندما يصنف الطفل بانه متفوق ويشعر اقرانه تلقائيا بانهم غير متفوقين وانهم سيكونون بعيدا عن دائرة هذا الطفل، فقد يخشى الطفل المتفوق ان يفسد ذلك علاقتهم مع هؤلاء الاصدقاء لأنه اذا كان متفوقا عليهم بالذكاء فانهم سيشعرون بالغيرة من تفوقه عليهم في المدرسة وسيكره هو نفسه هذا التفوق لأن ذلك يعني ابعاده عن اصدقائه وهذا شيء يصعب على الطفل تحمله.

ومع ان الكثير من المدرسين يحاولون تقبل ومساعدة الاطفال المتفوقين الا ان البعض الاخر يعطينا صورة مختلفة تدل على مدى كراهيته هؤلاء الاطفال محاولاً دائماً التقليل من شأنهم. إن هؤلاء المدرسين يتعمدون ان يخلقوا المشاكل هؤلاء الاطفال لكي يجعلوا اصدقاءهم ينفرون منهم. وقد صور هذا الحقد والكراهية احد المراهقين بقوله انه قد قاسى في صغره من مضايقات الآخرين له في المدرسة، فقد كان الأطفال يكتنون له الحقد والكراهية لكونه افضل منهم او من اطفال اكبر منه سنا لكونهم لا يستطيعون ان يتجاوزوا مقدراته الذهنية، وقد كانت هذه المضايقات تعتبر بسيطة بالنسبة للمضايقات الاكثر اهمية عندما كبر الطفل. ففي سن المراهقة لقي الطفل ان الد اعدائه هم مدرسه الذين حاولوا ان يحملوه اكثر من طاقاته باعطائه الواجبات العديدة متوقعين منه ان يكون قادرا على انجازها في وقت محدد. والشيء المضحك هنا ان الطفل لا يستطيع كما كان في صغره ان يلجأ لمدرسته لكي تقيه شر اقرانه، فهو هنا يتعامل مع الشر نفسه ولا يجد مفرأ له منهم الا اللجوء الى ساحة المدرسة ولقاء صديق هناك لكي يساعده على التحمل.

وعندما يكون الطفل المتفوق ذا مقدرة كبيرة على الانجاز فان انجازاته تساعد في اظهار نواحي القصور عند الآخرين غير القادرين على الانجاز. ومع أن الانجازات الاكاديمية الهائلة للطفل تحظى بالكثير من الاستحسان لدى الكبار فإنها غالباً ما تهدد علاقة الطفل بأقرانه. وعلى الاهل والطفل معا فهم هذه الحقيقة والتعامل معها بالطرق الصحيحة لأن الطفل قد يواجه صراعاً داخلياً بين أهمية انجازاته وقبول اصدقائه له. فلا بد للمدرسين ان يحذروا من اتخاذ انجازات الطفل كمثال امام اقرانه او باستعمال هذه الانجازات لكي يشعروا الآخرين بالحزني والعار لعدم مقدرتهم على القيام بمثلها.. مثال ذلك عندما أحضرت مدرسة طالبة متفوقة من السنة الثانية لكي تقرأ لطلبة السنة الرابعة الابتدائية الدرس لتريهم الطريقة الصحيحة في القراءة. في هذه الحالة نجد شعور العداة والحسد سيطر على الاطفال وقد يكيدون لهذه الطفلة لالشيء إلا لأن المدرسة ارادت استعمالها كمثال لغيرها واستعمال مقدرتها لكي تصغر من شأن الآخرين.

وقد يكون هذا المخرج مفيداً في البرامج الخاصة المعدة للاطفال المتفوقين فقد يجمع مجموعة من هؤلاء الاطفال الموهوبين لكي يظهروا موهبتهم امام الآخرين. ولكن هذا لا يتماشى مع الاطفال الخارقي الذكاء. ومع أن مدى قدرات هؤلاء الاطفال تكون عادة عالية جداً، إلا انها لا تعبر عن مطالب الاطفال الخارقي الذكاء. فالمجموعة التي لديها اعلى مقدرة عقلية تختلف فيما بينها كاختلاف المجاميع التي تليها في الذكاء وفي اختلاف القدرات، فهناك انواع كثيرة من المواهب، وقد يجد الطفل المتفوق صعوبة في التعامل مع غيره من الاطفال الذين يشابهونه في قدراتهم العقلية.

القيادة والزعامة

من المشاكل التي تواجه الطفل المتفوق في تكوين الصداقات مع اقرانه هو ميله الى تنظيم الناس والاشياء بطرق عديدة معقدة. فقد لاتلائم هذه الترتيبات ذوق اقرانه الذين يحسون من خلالها بسيطرة هذا الطفل عليهم او محاولته لتغييرهم وتوجيههم. وقد يجد هؤلاء الاصدقاء صعوبة حتى في فهم لغة هذا الطفل ومفاهيمه، فللاطفال الموهوبين المقدرة على تحليل المواقف وتوجيهها لتكون في صالحهم عندما يكون جوهر الموضوع هو السيطرة. فهم يعلمون الفرق بين القيادة والتحكم و يعلمون ايضا أن القواد الفعليين هم دائماً في الطليعة ولكنهم لا يمتحبون عن

الرؤية. فهم ذو اذان مصغية لأنهم لا بد أن يعلموا ما يفكر به الآخرون. فعملية التفريق بين القواد والقيادة وكيفية تكوين المهارة في الادارة مختلفة تماما عن السيطرة والدكتاتورية. ويجب على الطفل استيعاب كل هذه الحقائق ولا يكون ذلك الا بمساعدة الوالدين حيث يسهل ذلك للطفل التعامل مع الكثير من المواقف في المستقبل.

تنمية مهارات القيادة

في مجال الحديث مع الطفل عن المهارات القيادية وكيف يتسنى له استيعابها يجب ان نبين له شعور الاتباع وشعوره نفسه عندما كان تابعا او إذا ما تطلبت منه الحياة بان يكون تابعا يوما ما في المستقبل. لقد وجدنا ان من المفيد للطفل المتفوق أن يكون تابعا يسأل المعونة من الغير ويجعلهم يشعرون بقيمتهم وأهميتهم وكيف يستطيع ان يجعل المجموعة تتعامل معه بسهولة من غير ان يكون قائدها. فهذا يخول الطفل لأن يقدم المساعدة والعون بدلا من ان يكون في موقف الأمر النهائي. فالشعور مع الاخرين وفهم وجهة نظرهم مهارة لا بد من تعليمها لهذا الطفل. وهناك طريقتان لتعلم هذه المهارة يستمتع الاطفال المتفوقون بهما وتمثلان فيما يتوقعون من خلال التخيلات واللعب الاليهامي وتمثيل الأدوار.

ومقدرة الطفل العقلية المتقدمة تجعله قادرا على التفكير من خلال المواقف الصعبة كما تمكنه أن يتحمل نتيجة هذه المواقف. وهذه القدرة على توقع حدوث الشيء ليست بالشيء الفطري إنما يتم اكتسابها بالتعليم والارشاد، وحتى الطفل المتفوق يجب ان يتعلم هذا المسار. إن هذا الدور العقلي سيتضمن في الغالب اسئلة كثيرة مثل ما يحدث في موقف معين او كيف يكون تصرف شخص معين وما قد يفعله الشخص تجاه هذا الموقف وما الى ذلك من هذه الاسئلة التي تتوارد على ذهن الطفل لبحاول ايجاد اجوبة لها. فاختيار طريق التعليم بتوجيه الاسئلة هو الطريقة الديمقراطية التي لا يتبعها اجوبة او تعليقات او توجيهات. ذلك يجعل الطفل يحس بمسئوليته اتجاه نفسه و يعطيه الفرصة للتقييم العقلي لوضع معين قبل ان يتورط فيه معطيا لنفسه الفرصة لتقييم الموقف والتفكير في طرق للحل.

ومن ناحية أخرى يمكن ان نبين اهتمامنا بالطفل من خلال تفهمنا لعلاقته مع اقاربه واذا ما كان يعاني من مشاكل تجاههم او شعوره بالوحدة والعزلة، فمن المهم للطفل ان يعلم بان مشاكله مفهومة. ولكن ذلك لا يعني بان نعطي الطفل حلا سريعا لمشاكله بل يجب ان نساعد

على تفهم هذه المشاكل من خلال الخيارات العديدة المتوفرة له . فابراز الاسئلة يلقي ضوءاً جديداً على المشكلة ، ووضع الطفل في موقف الراح او الخاسر يعطيه الفرصة لكي يحس بالشعر الايجابي الذي يجعله قادراً على اختيار ما يحدده لنفسه وهذا ما نسميه برسم دور خاص للطفل يساعد فهم مشاعر الاخرين وافكارهم ، فاذا اخذ الطفل موقف الاخرين أحس بشعورهم بينه يتخذ الوالد موقف الطفل وكأن الاثنين يمثلان مسرحية . هذه الطريقة فعالة ومفيدة ومسلية في نفس الوقت وخصوصاً اذا مثل الوالد دور الطفل لكي يحاول اثبات موقفه بطريقة مسلية ومؤثر في نفس الوقت . فقد يجذب الطفل تمثيل وضع معين عدة مرات مع ايجاد حلول عديدة لهذا الوضع حتى يصل للحل الصحيح من خلال تغيير الادوار .

وهناك طريقة اخرى لتسهيل علاقة الطفل باقرانه وهي ترتيب وضع مشاريع لتشغيل هؤلاء الاطفال وجعلهم يقومون بها كازواج معا فهذا يولد شعوراً متبادلاً بين هؤلاء الاطفال فاد اشتراكهم في مشروع واحد يولد بينهم المحبة والالفة والاحترام وله اثر على علاقاتهم العاطفية ببعضهم البعض وربما كان هذا المشروع صغيراً لدرجة انه قد يتيسر على طفل واحد القيام به ومن المهم هنا للأهل ان يتذكروا بان الطفل غالباً ما يقيم عالمه الخاص الذي يعيشه اكثر بكثير من عالم اقرانه الاجتماعي وقد يكون منهمكاً في افكاره واعماله لدرجة انه يتجاهل العالم مر حوله . فيجب على الاهل ان يوضحوا للطفل مساوية هذا المسار وكيف ان ذلك يجعل الاخرين ينفرون منه و يكون ذلك سبباً في احباطه .

المراهقون المتفوقون

في سن المراهقة قد يجازف الاطفال المتفوقون بمواهبهم وانجازاتهم في سبيل الانتماء الى مجموعة معينة لأن العلاقة مع الاصدقاء في هذه السن في غاية في الاهمية . وفكرة المراهقين عز الموهبة هي الفكرة التقليدية التي تقول بان المراهق المتفوق لا يعطي لنفسه الفرصة بان يتمت باوقات مثل اصدقائه بل يفضل ان يحل مسائل الجبر والهندسة حتى يستطيع الجميع أن نقلوه منه في الصباح .

وطريقة المراهقين هذه في التفكير تجعلهم يعتقدون بان الموهوبين او المتفوقين هم مجموعة غريبة من البشر لا تعيش حياة طبيعية كالآخرين ولا يمكن التعامل معها او التحدث اليها لأنها مجموعة مغرورة . ان هذه المواصفات قد يسمع عنها هؤلاء الاصدقاء أو ربما كانت على مرأى

منهم كما قد قرأ البعض عنها في الكتب. ولذلك نرى المراهق دائما وكأنه أسير في مصيدة، يريد ان ينتمي الى مجموعة معينة ومن ناحية اخرى يرغب في الاستكشاف وحب الاستطلاع. واعطاء الحرية للطفل في التفكير والتعبير عن النفس قد يؤدي بالمراهق لتكوين صداقات مؤقتة قد لا يجدها الاهل موضع ترحيب لذلك يجب ان نحاول لفت نظر الطفل إلى نتائجها عليه وما هو الثمن الذي يدفعه لكونه كونه كونه علاقات غير مرغوبة. فاذا أصر هذا الطفل على الابقاء على هذه العلاقات فلا يمكن للاهل ان يضعوا الحدود او يحولوا الطفل عن رايه. وهنا يجب ان نعود الى الباب السابق الذي ذكرنا فيه عدم وضع الحدود اذا لم نكن قادرين على تطبيقها. لذلك يجب على الوالدين ان يتحملا هذه العلاقة بالدرجة التي يعتقدان ان بإمكانهما الحد منها وتطبيق هذا الحد.

واحسن نصيحة يجب على الوالدين تقديمها لطفلهما من حيث تحديد علاقاته باصدقائه هو وضع مثل حي امامه يشعره بان العلاقات مع الاصدقاء لا تنتهي في الطفولة فالانسان لا يمكن ان يستغنى عن الاصدقاء مهما كبر فاذا أظهر الوالدان للطفل اصدقاء هما الذين لهم اعتبارهم كالطبيب الذي يعالجه وكم هما سعيدان بهذه العلاقة فان الطفل لا بد ان يحذو حذو والديه بتكوين صداقات فعالة قيمة يخرج منها الطفل بقيمة معنوية وعقلية ونفسية معا. كما ان علاقة الطفل الوطيدة بوالديه ستضيف معنى الى مدى فعالية هذه الصداقات وتزيدها وضوحا امامه لكي يكون قادرا على ان يحذو حذوها مع تكوين واختيار الأصدقاء المناسبين.

* * *

بعض الاسئلة التي يكثر تداولها عن علاقة الطفل باقرانه.

● ماذا أقول عندما يخبرني طفلي أنه يشعر بالوحدة وأن لا أصدقاء له؟

أهم شيء هو ان نتقبل احساس الطفل كما هو بالرغم من علمك بان الطفل لديه عديد من الأصدقاء. فلا بد من سؤال الطفل بطريقة لبقة عن سبب احساسه بانه عديم الاصدقاء وهل كان لديه اصدقاء من قبل يحبونه؟ ومن اجل ماذا يحبه اصدقاؤه؟ ما هي طبيعة الاشياء التي يعملها ليجعل هؤلاء الاصدقاء يتقبلون صداقته ويحبونه؟ كل هذه الاسئلة ربما تساعد الطفل على اكتشاف تصرفاته وتقييمها في المستقبل.

- ان طفلي ليس لديها أي صبر مع الاطفال الاخرين. كيف اساعدها على ان تكون اكثر احتمالا لهم؟

لا بد ان يفهم الطفل بان الاخرين لا يتصرفون معه بدافع المكر والخبث، بل انهم غالبا ما يجتمعون مع بعضهم ليحددوا طريقهم في الحياة وغالبا ما تكون تصرفاتهم ناتجة عن احساسهم بالاحباط وقلة المعرفة ولا بد لنا بان نركز على قيمة النفس الانسانية لأن ذلك يساعد الطفل. فقد تكلم البعض عن نظرية دارون في التطور، وعن فكرة هتلر عن ابادة اليهود لأنهم افراد ليس لديهم المقدرة العقلية التي تؤهلهم للحياة، فكان انطباع الطفل المتفوق عن هذا الحديث انطباع خوف من فكرة البقاء للاصلاح. وهذا يبين أهمية ان نتعاطف مع هؤلاء الاطفال وان نتعامل معهم بصبر واحترام. فهناك العديد من الصفات الانسانية الهامة التي لاعلاقة لها بالعقل والذكاء ولكن لها نفس الاهمية في حياة الافراد.

- ان طفلي دائم السخرية من الجميع. فكيف التعامل مع ذلك؟

ان معظم هذا الشعور بالسخرية هو تغطية للمشاعر الدينية، فلا بد لك ان تحاول معرفة هذا الشعور الذي يتوق الطفل لإطهاره ولكنه غير قادر على ذلك. فقد يكون من المفيد ان يكون لدى الطفل روح مرحة ليحاول نقد نفسه والاخرين على حد سواء.

- ان طفلي المراهق بدأ يتعرف على اصدقاء لا اعتقد انهم مناسبون له فهل سيؤثر ذلك على نموه العقلي؟

ربما لا يتأثر الطفل بهؤلاء الاصدقاء وقد يحوي مظهره الخارجي عكس ذلك. لأن حاجته للانتماء في هذا الوقت اكثر من حاجته للابداع علنا. ولكن هذا سينتهي عندما يتعلم كيف يجمع بين احتياجات الصداقة مع مظاهر اخرى في حياته، لأن الاطفال الموهوبين دائما يحصلون على المعلومات ولو انهم لا يظهرون ذلك. وفي معظم الأحيان فان الموهبة لا تبنى لأنها لم تتم الى الحد الاقصى وخصوصا بعد سن العاشرة او الثانية عشرة.

وبما ان العلاقة مع الاخرين ستكون دائما مهمة في حياة الطفل وانه سيكون دائما في موضع الاختيار بالنسبة لأصدقائه فلا بد لنا ان نستغل هذه الفرصة لنساعده على تكوين الثقة بنفسه ومقدرته على اختيار الاصدقاء والاحتفاظ بهم .

● ان لطفي صديقاً خيالياً – فهل هذا شيء مضر له؟ وهل سيتخلى عن هذا الصديق حالما يجد صديقاً حقيقياً؟

ان من طبع الطفل المتفوق اختيار الاصدقاء الموهوبين واجبار الوالدين على الاعتراف بهذه الصداقة. فاذا كان هذا الصديق الخيالي مجرد تسلية لا تحيد بالطفل عن عالم الحقيقة وتجعله قادراً على التعامل مع الاخرين بطريقة عادية فلا ضير عليه. فهذا الصديق غالباً ما يختفي عندما يدخل الطفل المدرسة و يكون له صداقات حقيقية فاغتتم هذه الفرصة وشجع الطفل على استعمال خياله ولا توبخه او تجعله موضع الضحك.

● ان طفلي يبدو سعيداً بخلوته مع نفسه؟ فهل هذا يكفي لأن يكون سعيداً وراضياً بالعمل الذي يقوم به؟

يميل الاطفال المتفوقون غالباً للوحدة، ولكن هناك فرقاً بين من هم يرغبون في الوحدة لأنها تجلب لهم الراحة والخلوة النفسية ومن هم غير قادرين على تكوين صداقات لخوفهم من التعامل مع الاخرين. فالنوع الاول لا ضير عليه اما النوع الثاني فهو يشكل حالة تدعو للقلق. فحاولي تفهم الفرق وساعدي الطفل بأن يختار لأن الانسان لا يتوقف عن حاجته للتعامل مع الآخرين مهما كبر وخصوصاً اذا كانت هذه الحاجة للاخرين مبنية على المحبة والعطاء.

* * *

— ان من ينشئ عائلة كبيرة يعرض نفسه لكثير من المشاق ولكنه من ناحية اخرى قد يحقق الكثير من السعادة.

«بنجامين فرانكلن»

— لكل انسان مكانة لا بد له من ملتها في هذا العالم وهذه المكانة مهمة من ناحية او اخرى سواء كان يلمسها أم لا.

«ناتانياال هاوثورن»

— عامل الناس على أنهم ما يجب ان يكونوا عليه وساعدهم على ان يكونوا ما هم قادرين عليه.

«جوهان فون جيوث»

— ان الحياة العائلية هي اعلى من ان تحفظها روح العدالة. فيمكن استمرارها بروح المحبة التي تعلو على العدالة.

«رينهولد نايبور»

الفصل التاسع

العلاقة بالاشقاء

مع قدوم كل زائر جديد على العائلة فان علاقة افراد هذه العائلة تتغير من حيث المسئوليات والا تكاليف والسلطة وتنفيذ الاوامر وما إلى ذلك من المتغيرات بعضها قليل الاهمية والبعض الاخر اساسي ومهم. فبعض اهالي الاطفال المتفوقين يفيدون ان علاقة الطفل المتفوق بأخوانه صعبة جدا وقد تكون مزعجة، بينما أقر الآخرون بان علاقة ابنائهم الاستثنائيين بأهوتهم الاخرين طبيعية وممتعة للغاية.

فلماذا هذا الاختلاف بين الناس؟ ماهي الاشياء التي يجب مراعاتها لإقامة علاقة طيبة بين الاطفال المتفوقين واخوانهم. ورغم أننا لاندعى أننا نقدم دليلا كاملا للآباء في هذا المجال المعقد إلا أننا نأمل أن تكون المعلومات التالية مفيدة.

ترتيب الميلاد

لقد اوضحت الدراسة ان المواليد الاوائل الذين يحظون عادة بأكبر قدر من العناية والاهتمام لأطول فترة ممكنة إنجازهم مرتفع ويمكن التعرف عليهم كمتفوقين بسهولة تامة. ومن المحتمل أن يكون أكبر الأطفال جادا وحساسا ومتطلعا الى اطراء واستحسان الأكبر منه سنا. فعلاقة الاهل مع الطفل الاول تكون علاقة خاصة، فهم يتوقعون منه الكثير ويقضون معه الوقت الكثير متأملين ان يكون شبيها لهم. والملاحظ هنا أن الطفل يجد ترحيباً من الكبار في الانتماء لعالمهم، لأن هؤلاء ليس لديهم غير هذا الطفل ليكون خليفة لهم في هذه الدنيا.

ويجبىء الطفل الثاني ليكون اقل تكيفا مع الكبار ويحاول ان يتكيف مع الأخ الأول فيكون تقيمه للانجازات اقل من اخيه ولا يكون مهتماً كثيراً بارضاء والديه، فيحاول ان يتطلع للعالم الخارجي اكثر من اخيه ويكون اكثر قابلية لتكوين الاصدقاء خارج المنزل. لذلك فان معاملة الاطفال ما بعد الاول تكون أيسر كثيراً على الاهل لأنهم يقضون وقتاً اقل معهم ولا يحاولون ارضاء غرورهم لأثبات انفسهم من خلال هذا الطفل.

أما الطفل الاوسط فيحس بان مكانته متزعزعة. فالصغير هو دائماً طفل العائلة والكبير هو الطفل الاول الذي لاقى الاهتمام والعناية، لذلك يشعر الطفل الاوسط بالاهمال والاحساس بانه على هامش العائلة.

وهنا يحاول الاطفال في العائلة الواحدة اخذ ادوار مختلفة، فكل طفل يبحث مكانه المهم في هذه العائلة، ويلاحظ الاخرين ليعلم هل هو ناجح في الحصول على تلك المكانة ام لا. وعلى ضوء هذه الملاحظات فان الطفل يقيم نفسه و يبحث عن موقع فريد في العائلة. فاذا لعب احد الاطفال دور المهرج او الرياضي او اي دور اخر فلا يمكن لطفل اخر ان يطالب بهذا الدور او مزاولته حتى لو كان قادراً على ذلك، لأن التنافس قد يكون شديداً. فعندما ينجح طفل في مجال ما يتخلى عنه الاخر اتوماتيكياً او اذا اظهر احدهم ضعفاً اغتنم الاخر الفرصة ليثبت قوته فالمفارقات الطبيعية بين هؤلاء الاخوة يبالغ فيها من خلال مزاوله هذه الادوار المختلفة.

ان اساس التنافس بين الاخوة والاحوات مصدره المقارنة من جهة الاهل التي تجعل الطفل يحس بعدم الاهمية ويحاول البحث عن مكانة مقبولة له في الاسرة. ففي بعض الاحيان قد يكون التنافس قويا جداً و يظهر في تصرفات غير لائقة بين هؤلاء الاخوة. فاذا حصل هذا في عائلتك فلا بد ان تعلم بان الاطفال يتنافسون على شيء ذي اهمية كبيرة لهم، وهنا علينا ان نضع يدنا على هذا العنصر الذي يتنافسون عليه. فالبعض يتنافس على اظهار القوة الشخصية ولكن الاغلبية العظمى تتنافس على محبة وتقدير الوالدين لهم والاهتمام والمديح الذي يسمعونه منهما.

إن ظاهرة لفت النظر ظاهرة طبيعية لدى الاطفال سواء كانوا يفعلون ذلك تلقائياً او عمداً. فقد يكونون صادقين في مطالبهم وقد يتصرفون كالكبار في اظهار قيمتهم وقد يكونون اكثر أخلاقية واكثر حيوية وعلاوة على ذلك فقد تكون لديهم مقدرة كبيرة على التحدث وجلب انتباه الوالدين لهم بعيداً عن الاخوة الاخرين. وإذا كان الطفل المتفوق في العائلة هو الطفل

الاول فهذا يشكل خطرا اكبر على علاقته باخوته الاخرين إذا هم قد لاحظوا اهتمام الوالدين به لوقت طويل من الزمان. كذلك اذا كان الطفل بالغ الذكاء فاهتمام الاهل في ايجاد المدرسة المناسبة له يجعل الاخرين يعتقدون بان ايجاد المدرسة المناسبة لن يسبب مشكلة وذلك يشعرهم بالفرق الواضح بينهم وبين اخيهم المتفوق.

و يستطيع الاخوة ملاحظة هذا الاختلاف في التعامل بينهم وبين اخيهم المتفوق وخصوصا عندما يكبر هذا الطفل و يكون محور اهتمام العائلة ومنسحقها لأن هذا الطفل يبدو قادرا ولديه المعرفة الكامنة، فيجد الاهل انفسهم قد اسلموا زمام الامور له، واعطوه مهمة اختيار مكان قضاء الاجازات وكمية النقود التي ستصرف في مشروع مادي وما الى ذلك من مهمات للطفل اليد الكبرى في تقريرها. وقد لاتسند هذه المهمات الى الطفل بطريقة علنية ولكن لمقدرة الطفل واهتماماته وطاقته العظيمة فان الاخوة يحسون بان القليل من الاهتمام بقى ليحظوا به هم وان هذا الاخ قد اضعف الفرصة امامهم لظهار ما هم راغبون فيه. ولذلك نرى الأهل يحاولون التعظيم من قيمة هذا الطفل ولو بطريقة غير مباشرة لأنهم بذلك يرضون غرورهم ويحققون حلما طالما عجزوا عن تحقيقه انفسهم. وهاهي الان فرصتهم ليحققوا احلامهم الضائعة من خلال انجازات هذا الطفل المتفوق، ولكن ذلك يكون على حساب علاقتهم بالاطفال الاخرين.

وهنا يظهر عند الطفل المتفوق وعند الأهل احساس بأن هذا الطفل أفضل من اخوانه. وهذا الشعور ينتقل بالطبع الى هؤلاء الاخوة و يعكس عليهم الشعور بعدم اهميتهم والتقليل من مقدراتهم، حيث انهم غير استثنائيين، وهنا سيشعرون بالكره سواء كان مباشراً أو غير مباشر لأفراد الاسرة الاخرين. فكون الاطفال الاصغر سنا غير متفوقين لا يمنع ان يكون لديهم خصال حميده ربما تكتشف في المستقبل لأنهم ربما لم يستطيعوا اظهار مواهبهم و يسمى هؤلاء (بمتأخري التفتح)، ومن الممكن ان يكونوا موهوبين بطرق مختلفة لا يمكن التعرف عليها او قد يحسون بان دور الطفل الاستثنائي قد احتفظ به الأخ الاكبر ولا يمكن لهم المشاركة به. وعلينا ألا نتسرع في الحكم على الاطفال الصغار سواء من حيث موهبتهم أو لكونها اقل من موهبة اخوتهم الكبار. وقد يلجأ الاهل الى الفحص الفردي لهؤلاء الاطفال وبما ان الطفل الاول هو المنجز الكبير فقد يتوقع الاهل من الاطفال الذين يولدون بعده نفس الخصال والصفات. واذا فشل هؤلاء الاطفال في اثبات انفسهم في بعض المجالات فان الوالدين سيلجآن الى اهمالهم وعدم التدقيق في مقدراتهم وقوتهم الشخصية. ومثال ذلك ان الاطفال المتفوقين في العلوم والرياضيات يكون التعرف عليهم اسهل بكثير من المتفوقين في العلوم الانسانية، ولذلك لا يتم التعرف احيانا على بعض الاخوة المتفوقين في مجالات تختلف عن مجالات الطفل المتفوق.

وقد يكون الطفل الاول بارعاً في الرياضيات ولكن كون الطفل الثاني شاعراً مرهفاً لا يعطيه نفس الاهتمام من الوالدين. لذلك يجب ان نتذكر عندما لا يظهر الاخوة والاخوات اي موهبة عقلية أن نبحث عن قيم اخرى لديهم يتمتعون بها.

وقد يتمتع بعض الاطفال بمقدرة هائلة على الشعور من الاخرين والرفق بهم سواء كانوا اناسا او حيوانات كما ان هناك بعض الاطفال يتمتعون بالمقدرة على تسوية النزاعات بين الناس بطرق دبلوماسية تمنع المواجهة والاحتكاك، فلكل طفل موهبة كافية لا بد لنا ان نبحث عنها ونجعله فخورا بها. وهنا نتوقف لنبين اهمية عدم مقارنة انجازات الاطفال المتفوقين مع اخوتهم لأن المقارنة لها نتائج عكسية على الطفل المتفوق نفسه او على اخوته، لأن الاطفال يعلمون انهم مختلفون فيجب ان نساعدهم لفهم ان هذه الاختلافات طبيعية متوقعة، وعلينا ان ندعم قوتهم بدل ان نركز على ضعفهم. فقولنا للطفل لماذا لا تلعب الكرة مثل اخيك او لماذا لا تزور الأصدقاء بالقدر الذي يؤديه اخوك أو الى ماشابه ذلك. كل هذه المقارنات تعطي انطباعا سيئا في نفس الطفل وتجعله دائما في حالة دفاع عن النفس هو في غنى عنها.

وإذا استطعنا ان نتحكم في هذه المشكلة من خلال العائلة فان هذه المقارنات لا مفر منها خارج العائلة. فالجدة والعمة والخالة غالبا ما يثرن مثل هذه المقارنات بين الأحفاد غير عابثات بالأثر السيء الذي تتركه مثل هذه التعليقات في أنفس الاطفال وما تولد فيهم منغيرة وتنافس غير صحي، لذلك يجب علينا ان نجعل هؤلاء الافراد الذين نستطيع التأثير عليهم يركزون على ايجابيات الطفل وليس على نقائصه في مجال تعاملهم معه. وقد يمانع هؤلاء أو قد لا يتجاوبون مع هذا الطلب ولكن يجب على الوالدين ان يصرّوا على موقفهما وان يوضحا للآخرين بأنهما المسؤولان عن عائلتهما وهما اللذان يقرران الصح والخطأ وأنهما لن يدعا الفرصة لأحد لكي يجرح شعور أطفالهما ولكن عندما تصل العلاقة بين هؤلاء الاطفال والمعلمين والاصدقاء ومن هم خارج نطاق العائلة يكون الاهل نفس القوة في الموقف. لذلك يجب عليهم ان يركزوا دائما وعلنا على ايجابيات اطفالهم امام هؤلاء الناس الخارجين عن نطاقهم اذا ما حاولوا تجريحهم وانتقادهم. فالتركيز العلني على القيمة الشخصية للطفل تجعله واثقا من نفسه قادرا على تحمل الانتقاد وغير مدفوع بالغيرة والتنافس في معاملته مع اخوته.

وقد يظهر الاطفال منافستهم وغيرتهم بطرق عديدة منها الأنانية والتشاجر والنقد الجارح لبعضهم البعض كما انهم قد يشتبكون اشتباكات يدوية او يتناولون على خصوصيات

بعضهم البعض، وغير ذلك من التصرفات التي يكون مصدرها غير معروف. فلا بد لنا ان نتعرف على مصدر هذه التصرفات فقد تكون عبارة عن وسيلة للفت النظر بطريقة سلبية او ايجابية، وقد تدل بعض تصرفات الاطفال على الغضب الذي يكون مصدره الاحباط. فالغضب قد يغطي التعاسة التي يشعرها الطفل لانه غير محبوب في العائلة او لأنه يشعر بالوحدة التامة. فاحساسنا بالشعور الذي يكون في هذا التصرف يجعلنا قادرين على التجاوب مع هذا التصرف بطريقة افضل وبذلك لانتعامل مع الشجار الظاهر ولكننا نتعامل مع رغبة الطفل الملحة في مكانة مرموقة في العائلة.

وهناك طريقة اخرى اقل شيوعاً للتعبير عن الغيرة بين الاخوة تكمن في محاولة تقليد الطفل لأخيه الذي يحس بانه محبوب ومرموق من قبل الاهل. وقد يحاول الطفل كذلك تقليد احد الوالدين حتى يعطي نفسه قيمة في اعين هؤلاء الوالدين. وهذه الطريقة مفيدة لأنها تعلم الطفل طرقاً عديدة للكبار وقد يكون ذلك خطوة عادية ولائقة في عملية النمو. ولكن عندما يبالح الطفل في هذا التقليد يكون الطفل قد فقد ثقته بنفسه كلية. واذا رغب في العيش داخل نطاق هذه العائلة التي لا ينتمي إليها فانه لا يجرؤ أن يكون نفسه لأنه لا يملك اي مقومات لكي يجعله جديراً بالانتماء لهذه العائلة.

وعندما نحاول تحليل ظاهرة التنافس بين الاخوة والاحوات فلا بد لنا من فحص مواقفنا التي اتخذناها في العائلة عندما كنا في طور النمو. فالاطفال المتفوقون غالباً ما يكون لديهم والدان متفوقان لذلك قد تعاد نفس الطرق التي اتبعت في تنشئة الاهل للاولاد. لذلك يجب ان نسأل انفسنا هل كنا اطفالاً محبوبين او مهرجين؟ هل كنا نعتبر اذكاء او نعتبر مفيدين في نطاق العائلة، وكيف اثرت ادوارنا على علاقتنا باخوتنا واخواننا وهل نتوقع ان نعيد نفس هذا الاسلوب والادوار التي مارسناها في حياتنا على حياة اولادنا؟ وهل نتفاعل مع الادوار التي يقوم بها اطفالنا بنفس الطريقة التي تفاعلنا بها مع اخوتنا؟

وعندما نزيد من معرفتنا الشخصية لتجاربنا ومواقفنا كأطفال فاننا سنتقبل انطباعاتنا الغريبة وفي نفس الوقت سنفهم محاولات ابنائنا في التعامل مع بعضهم البعض بطريقتهم الخاصة.

وتؤدي التأثيرات الخارجية وتقليد الاخرين الى شدة الغيرة والتنافس بين الاخوة الذين يعبرون عن ذلك بتصرفاتهم السلبية. ويستطيع الاهل والمعلمون والممثلون من خلال السينما او

التلفزيون أن يوفرو للطفل المثل الحي للتقليد فهذه الوسائل تجسد للطفل الانانية والانتقاد الجارح والانتقام وتسديد الشتم كمثل للعلاقات العائلية بدلا من توضيح هذه العلاقات من خلال التفاهم والمحبة. لذلك يجب على الاهل اتخاذ خطوات ايجابية للحد من تأثيرات هذه الامثلة الضارة. فيمكن استبدال هذه البرامج التلفزيونية غير البناءة باعمال اخرى تعطي الطفل افقا اوسع. وعلى اولياء الامور محادثة اطفالهم في اثر مثل هذه البرامج على علاقاتهم مع اصدقائهم واهاليهم وتوضيح خطر مثل هذه الامثلة التي يتخذها الطفل كدليل في حياته.

ومن المشاكل التي تواجه الوالدين العلاقة السلبية التي تتكون بين الاخوة والاخوات من مشاجرات وتحريضات وعلاقة غير طبيعية مهما كانت اسبابها، وأحد اهم الطرق لمعالجة هذه المشكلة هو عدم التدخل في هذه المشاحنات بقدر الامكان إذ كلما تدخل الاهل فانهم بذلك يشجعون تكرار حدوث هذه المشاحنات التي لفتت انتباههم لأن غاية الطفل في النهاية هي استحواذة على اهتمام والديه. من هنا يجب عدم التدخل إلا اذا كانت هذه المشاجرات تؤدي الى ضرر جسماني، وعدم التدخل يعلم الاطفال انهم قادرون على حل مشاكلهم بانفسهم.

ولكن ذلك لا يعني تجاهل هذه التصرفات كلية وخصوصا اذا كانت مكررة وتؤدي الى إلحاق ضرر الاطفال. فيجب على الاهل ان يضعوا حدوداً للتصرف بين الابناء وان لا يدعوا انفسهم في موقف المواجهة مع هذه المشاكل. كذلك يجب على الوالدين ان يكونا متسامحين وإيجابيين في مواجهة المنافسة التي تدور بين الابناء وان يجعلوا اولادهما يحسون بانهم لا بد وان يكونوا عند حسن الطن بهم ويتصرفو بعقل وحكمة نحو بعضهم البعض، فالقوة في المعاملة لا مجال لها في محيط العائلة. ويجب تذكير الاطفال بانهم يحتاجون لبعضهم البعض ولا بد لهم ان يتعاملوا بتفاهم وحب تجاه بعضهم البعض، لأن الطفل الذي يجرح شعور اخته مثلا لا بد له ان يحس بانه يحتاج اليها احيانا لمساعدته في حفظ بعض الأناشيد او ماشابه ذلك. وعند اتخاذ الوالدين موقفا ضد التصرفات غير المقبولة لا بد لنا ان نحترس من المبالغة في النقد التأديبي. فالعقاب الشديد يؤدي الى المزيد من المنافسة بين الاطفال لأن ذلك يجعلهم غير قادرين على تقييم مكانتهم في الاسرة. فعندما (يشعر الطفل بالخوف وعدم الامان) فان شعور المنافسة عنده يزداد لأنه يحاول ان يثبت لنفسه بانه متساو مع اخوته. ومن هنا لا بد لنا ان (نتفهم) ونتقبل المشاعر التي تختفي تحت هذه التصرفات حتى لو كنا ننتقد التصرف نفسه.

كذلك نستطيع ان نركز على الادوار الايجابية التي حاول الطفل تقليدها والعمل بها ومن المهم ان نجد اكثر من دور لهذا الطفل في العائلة كما علينا أن نبين له قدرته على المشاركة في مجالات مختلفة داخل محيطها .

فقد يكون الطفل اليوم مخترعا وغدا منفذا او عاملا، وهذا يتطلب منا أن نجد اسماء لمختلف الادوار التي يقوم بها الطفل المتفوق لنبين له ان لديه صفات غير ذهنية ذات اهمية كبيرة وبذلك يتوسع ادراك الطفل لنفسه ومقدراته وقد يجعله ذلك قادرا على مشاركة اخوته في بعض الادوار من غير ان يصيب احدهم باي اذى علماً بأن بعض الادوار اقل اهمية من غيرها . فالطفل قد يجد دور المخطط اكثر اهمية من دور العامل لذلك يجب ان نبين له في هذه الحالة ان بعض الادوار مثل دور ربة البيت مثلا يمكن ان نسميها بالمحاسبة او المديرية او المخططة، فذلك يعطي للدور اهمية اكثر. كذلك اذا تكلمنا عن العامل فيمكن ان نصفه بالمخطط والصبور والخلاق وغيرها من الصفات التي هي بالفعل جزء من عمل العامل ولكن لا يتكلم الناس عنها بالتفصيل و يفضلون استعمال كلمة سهلة تؤدي الغرض.

وعندما يبدأ الطفل الشعور بالثقة بنفسه فانه يبدأ بمساعدة اخوته لتطوير هذه الثقة بانفسهم و يترتب على ذلك ما نسميه بالحس المتزامن بين الاخوة وهو قوة ايجابية تمكن المجموع من ان يكون اعظم من مجموع الاجزاء لتشابك هذه الاطراف او الاجزاء. فما قد لا يستطيع الطفل تحقيقه بنفسه قد يستطيع تحقيقه بمساعدة الاخرين، وبقدر المستطاع يجب ان نشجع الطفل في علاقته مع اخوته و يكون له تأثير ايجابي على العائلة ككل .

والمفتاح هنا ان نجد الطريقة لكي نوجه تلك القوة نحو الأهداف الايجابية .

التوازن العائلي

ان التوازن العائلي الذي يعين دور كل طفل في العائلة هو نظام يدعو الطفل الى الاستقرار، فلكل شخص طريقته الخاصة، وكل فرد في العائلة يتوقع مع الاخرين ان يقوموا

بادوارهم التقليدية. والتنبؤ هو احد الصفات التي تجعل حياة العائلة سهلة ومريحة وخصوصا عندما يشعر كل فرد باهميته ومكانته في العائلة مما يجعلها متآزرة وعلاقة افرادها سهلة. فالافراد في العائلة الواحدة هم كالكواكب المختلفة التي تسير في محاور مختلفة مستقلين عن الآخرين في مدارهم ولكنهم يؤثرون على محاور الآخرين ليسود النظام، ويحصل التوازن داخل العائلة.

ولكن ربما يحدث ما يغير هذا التوازن. فقد يمرض احد افراد العائلة او يحدث انتقال من منزل الى اخر او من مدرسة الى اخرى او قد يحدث طلاق في العائلة او ماشابه ذلك وكل هذه الاشياء قد تسبب حالة عدم استقرار في العائلة تستغرق فترات ربما تطول احيانا حتى تستقر. فتحت هذه الظروف تبدأ المحاولات للتكيف وايجاد الطرق الجديدة بدل الطرق القديمة، وهنا تشتد علاقات التنافس بين الاخوة والاخوات، لأن كلا منهم يضع الآخر تحت المراقبة والاختبار، وذلك في اتخاذ ادوار مختلفة او التمسك بادوارهم القديمة في العائلة وقد تنتج عن ظروف عدم الاستقرار هذه طرق جديدة وتوازن جديد، ولكن تكون العائلة قد عانت خلال هذه التجربة الجديدة التي قد تكون مشابهة للقديمة او مختلفة تماما وقد تكون في بعض الاحيان اكثر ايجابية وصحية، فهذا التوازن الجديد يعتمد بدرجة كبيرة على كيفية معالجة المشاكل خلال الفترة الحرجة التي حصل فيها التغيير.

وتكون هذه الفترة الحرجة بمثابة فرصة لأفراد العائلة لتجربة ادوار جديدة لهم وطرق معينة في التصرف كانت في الوضع القديم في عداد المستحيل. فيصبح الاطفال قادرين على ايجاد قيم جديدة في انفسهم واكتشاف طرق جديدة لاعتراف الآخرين بهم. وقد وصف احد الباحثين هذه الفترة من عدم الاستقرار اذا حلت بالعائلة وكأنها تجعل الرجل منهم يقف على قدم واحدة، اذا دفعته برقة الى جهة اليمين فانه يسقط واذا دفعته برقة الى جهة اليسار فانه سيثبت اقدامه على الارض. لذلك يجب علينا ان نكون هذه الدفعة الرقيقة للاطفال لنجعلهم يشبثون اقدامهم على الارض، وأن نستخدم فترة عدم الاستقرار هذه لمساعدتهم على القيام بادوار مختلفة وتوسيع افق معرفتهم ونشاطاتهم.

من ناحية أخرى علينا أن نؤكد لهم ان الامان والاستقرار مازال موجودا وان العائلة مازالت وحدة واحدة لا تتجزأ مهما ظهر افرادها مختلفين فلا بد من تشجيع الاطفال على ايجاد الطرق الجديدة الممكنة وان نبين لهم بانهم لا يحتاجون الى التنافس كل الوقت طلبا لمحبة الاهل والثقة بهم. فهذه المحبة والثقة يجب ان تعطيا من غير بدائل ومن غير انجازات. ولا بد أن ننسى أن الطفل يكون بحاجة للشعور بالمحبة والانتماء والقيمة الشخصية خلال فترة سوء العلاقات في

العائلة أو في الفترات الهادئة، كما علينا التأكيد على القوة المعنوية للطفل والابتعاد عن المقارنة السلبية ورفض المعاملة مع الاطفال اذا ابدوا عدم حساسيتهم للاخرين (لأخوتهم) واعطاء كل طفل الاهتمام الكافي الشخصي. فالوقت المحدد لكل طفل (الباب السابع) يعطيه الاحساس بقيمته ومكانته في العائلة و يتيح له المجال لممارسة الأدوار المختلفة التي يمكن أن يقوم بها واضعا الاهل امامه كمثال، وهذا من شأنه أن يقلل من تأثيرات الغيرة او المنافسة السلبية بين الاخوة والاخوات و يشجع على بناء علاقات طبيعية خالية من هذه المنافسة الاخوية، كما يشجع العلاقات البناءة التي تنبع من المحبة الكافية بين هؤلاء الاخوة.

ومن الجدير ان نعلم بأن الصداقة بين الاخوة لها نفس اهمية المنافسة بينهم، فالاطفال لا يتشاجرون دوما فهم في اغلب الاحيان يتعاونون مع بعضهم البعض أو يتصادقون، بل ان هذا ينطبق على الاطفال المغرورين الذين لا يمكن لهم ان يعيشوا من غير المنافسة. فالغرض هنا هو ان نشجع على التعاون بين الاخوة بقدر الامكان وان نقلل المنافسة التي قد يكون لها اثر على احساس الطفل بنفسه واهميته.

بعض الاسئلة التي يكثر تداولها عن علاقة الاخوة والاخوات

- كيف اساعد اطفالي غير المتفوقين على الشعور بالرضا عن عدم تفوقهم في المدرسة وحصوهم على درجات عالية؟

لنجيب على هذا السؤال لابد لنا من ان ننظر الى انفسنا وحساسيتنا تجاه هذا الموضوع، فلا بد من تقادي المقارنة او التعبير بان الطفل اما متفوق او غير متفوق، لأن التعبير القائل طفل غير متفوق موجود في معجمنا وهذا يعتمد على الاهل. لابد ان نساعد الطفل على ان يتعرف على الاقل على ناحية من حياته أو اكثر يكون فيها موهوبا ولديه مقدرة خاصة. فكل طفل يتوقع منه ان يعمل على مستوى متقارب من مستواه المدرسي في نواح اخرى.

وقد يفيدنا ان نعلم بان الاطفال خارقي الذكاء يكون تقدمهم المدرسي ملحوظا حتى يصلوا الى مرحلة التعليم العالي على شرط ان يكون لديهم الدافع القوي والرغبة في العمل.

إن الطفل العادي يستطيع الحصول على درجات جيدة مع قليل من المجهود الاضافي الذي لا يحتاجه الطفل المتفوق. وعلى الصعيد نفسه، قد يكون للطفل العادي موهبة عظيمة في علم الميكانيكا او التعامل مع الناس او الحيوانات وهذه صفات لا تتوفر بالطفل المتفوق ولا بد له من بذل الكثير من الجهد ليصل إلى نفس مستوى معطيات هذا الطفل العادي. فلا بد من ان نبين لأطفالنا بان هناك كثيراً من التصرفات القيمة توجد ولا يشترط ان تكون هذه التصرفات عقلية يحكم عليها بالدرجات المدرسية.

- احد اطفالي منطلق والاخر منطو على نفسه تماما. وفجأة تغير الاثنان وكل اخذ مكان الاخر. فهل هذا طبيعي؟

ان هذا كثير الحدوث وخصوصا مع التوائم فغالبا ما يدعوا الى هذا التعبير حادثة معينة واضحة كمرض احد الاطفال. ونتيجة لذلك اتخذ واحد من الاطفال دورا له في العائلة ولم

يستطيع الاخر ان ينافسه على هذا الدور أو انه لم يحاول ذلك حتى ظهرت الفرصة المناسبة او تحلى الطفل نفسه عن ذلك الدور بتحوله الى مرحلة انتقالية جديدة. مثل هذا التغيير يحدث كثيرا مع الاطفال المتفوقين لأنهم بطبعهم يحبون تجربة العديد من التجارب.

● ان اطفالي يتشاجرون بصفة مستمرة. فكيف استطيع مساعدتهم للامتناع عن ذلك؟

اسمع ولاحظ جيدا ما هو الشيء الذي يتنافسون عليه، فغالبا ما يكون هذا الشيء انتباه الاهل او القوة والسيطرة. ولاحظ كذلك المواقف التي تعطيهم الاهتمام الكافي. فقد اكتشف اغلب الاهل ان اهتمامهم للاطفال يوجه عندما يتصرف الاطفال بطريقة سيئة. ونادراً ما يلقون هذا الاهتمام عندما يكونون هادئين ومتعاونين. ومن هنا لا بد من تغيير موقفنا من هؤلاء الاطفال واعطائهم الاهتمام الكثير لكونهم متعاونين مع بعضهم البعض و يلعبون بطريقة هادئة. فخلال هذه الاوقات التي قد تكون نادرة وضح لهم كم انك تقدر هذا الهدوء واجعلهم يحسون بان تعاونهم قد اتاح لك الفرصة لقضاء الاعمال الكثيرة ولا بأس أن تقدم لهم بعض الحلوى مكافأة لهم.

أما خلال الاوقات الصعبة فيمكن أن نجرب اشياء كثيرة فمثلا اذا كان الشجار يستدعي انتباهك حاول ان ننسحب من المكان، امسك كتابا او اقرأ بعيدا عن الضوضاء. واذا ما استمر هذا الشجار فارجع الى مكانك من غير أي تعليق. وهناك العديد من الوسائل الاخرى كأن تترك البيت في جولة قصيرة او تستمع الى بعض الموسيقى حتى يهدأ الموقف. وحاول ألا تتدخل اذا لم يكن الامر يستدعي التدخل ولا تنس بان تعطي كل طفل بعض الوقت يقضيه معك كي يشعر بانه محبوب كغيره من الاخوة.

● كيف يمكنني عدم التدخل في مناقشات ومشاجرات اطفالي وجعلهم يسوون امورهم بانفسهم خصوصا عندما يكون الطفل المتفوق دائما هو الرابع؟

لا بد من ضبط النفس ولكن يجب علينا ان نساعد الاطفال المعنيين ان يتعلموا كيف يقدرون احساس الكبار، ولا يتسنى لنا ذلك الا بلعب الادوار المختلفة وعكس الادوار بين

الاطفال واتباع بعض الوسائل في حل المشاكل من غير مشاحنات ومناورات. ولكن قد لا يفيد ذلك في لحظة الشجار الا بعد ان يهدأ الجميع ليعوا حقيقة تصرفاتهم. ومع مرور الوقت قد يستطيعون تشكيل تصرفاتهم على نحو اكثر دبلوماسية وتفهما لوضع الاخرين. كذلك لا بد للاهل ان يكونوا حذرين عندما يحسمون مناقشاتهم مع بعضهم امام هؤلاء الاطفال لأنهم المثال الذي سيتبعه الاطفال في تسوية منازعاتهم مع بعضهم البعض. فهذه الطريقة تعلم الاطفال كيف يحلون مشاكلهم مع الاشخاص القريبين منهم.

● هل من الممكن ان يشعر طفل نعتقد بانه متفوق وله من العمر سنة ونصف بالغيرة من اخوته؟

انه ليس فقط ممكنا ولكنه فعلا محتمل، لأن الاطفال المتفوقين يواجهون مراحل التطور في فترة مبكرة، وهذا يؤكد احتياجاتهم الشخصية، وتصرفات الاخرين تجعلهم يتجهون الى المنافسة لكي يكسبوا المحبة.

● هل هناك حقا ما يسمى بمشكلات «الطفل الأوسط»؟

نعم هنالك ذلك النوع من المشكلات. فالطفل الكبير يواجه الضغط لكي يبدع وهو موجه كثيرا لنشاطات الكبار اكثر من الصغار. لذلك فان اغلب الاطفال الموهوبين هم اطفال اوائل. اما الطفل الصغير فهو دائما طفل العائلة مهما كبر في السن. ولكن الطفل الاوسط قد يشعر بالضيق لعدم وجود عنوان له في العائلة او دور معين.. إن الاطفال المتفوقين الذين يكونون وسط الكبير والصغير قد يصعب التعرف عليهم وقد يكون من الصعب عليهم التوصل الى معرفة حقيقة انفسهم وقيمتها.

— ان التقاليد هي جزء هام من التاريخ ولكن لا بد من التحقيق في محتوياتها قبل ان نثق بها.

«جوزيف اديسون»

— ان خطأ قديما هو احب الى القلب من الحقيقة الجديدة

«جيرمن بروقيرب»

— ان عادات وتقاليد اليوم ستكون بمثابة سخط ونتائج كراهية الغد. فكم هي زائلة كل هذه الامور.

«الكسندر ديرماس»

— ان المهم في الحياة ان لا نتوقف عن التساؤل

«البرت انشتاين»

— ومنذ متى كانت العبقرية محترمة.

«اليزابيت باريت يرنينغ»

— هناك وصيتان نأمل بان نستطيع ان نوصي بهما أطفالنا الأولى الجذور، والثانية الاجنحة.

«هود ينغ كارتر»

الفصل العاشر

تحطيم التقاليد

اننا نعيش في عالم تحكمه التقاليد وتؤثر في شؤون الحياة صغيرها وكبيرها، بدءاً من المائدة وانتهاءً بالوازع الخلقي. ومن التقاليد ما يؤثر تأثيراً كبيراً على حضارة الشعب ويحكم المجتمع بشكل عام ونتيجة ذلك يكون الالتحام والتماسك وتكامل النظام الاجتماعي بالقوانين والمؤثرات التي تحكم الاخلاق والمعتقدات الدينية والقيم الاخلاقية كلها تدعم وتبقي على هذه التقاليد. وهناك تقاليد تؤثر في مجموعات صغيرة فقط من الناس في مجتمع معين مثل مجموعات الاقلية الوثنية والمجموعات الجغرافية واختلاف الجنس والمجموعات التي تنتمي الى سن معين او عائلات معينة او نواد معينة. فكل هذه المجموعات يمكن ان تعبر عن نفسها كذلك بواسطة وضع التقاليد والاعراف والقوانين المكتوبة وغير المكتوبة، والطقوس المختلفة.

وعندما نؤمن بهذه التقاليد فإننا نورث المثل والقيم والاهداف والتاريخ والاحاسيس من شخص الى اخر ومن مجموعة الى غيرها، او من جيل الى جيل، وبهذا نؤكد انتماءنا للآخرين الذين يؤمنون بنفس هذه التقاليد فالتقاليد تساعدنا على بناء اساس لحياتنا ولتعريف قيمتنا وحتى في تحديد اخلاقنا التي تجعلنا قادرين على فهم الآخرين لنا.

اساس من الخبرات المشتركة:

اذا اردنا ان نكون جزءاً من هذا العالم وان ننتمي له فلا بد لنا من ايجاد الجذور الاصلية التي تربطنا بخبرات تراثنا المتداولة. فهذه الجذور تعطينا الاحساس بالانتماء والطمأنينة ونحن نخوض التجارب الشاقة في العالم الخارجي. وبالنسبة للطفل فان هذه الجذور تتمثل في الاسرة وتقاليد وطريقة التعامل وتبادل الخبرات بين افراد العائلة الواحدة. فعندما

ينمو الطفل ويتداخل مع مجموعات مختلفة من خلفيات مختلفة فإنه يضع أساس جذور جديدة تجعله قادراً على الاحساس بالانتماء استعداداً لمجابهة الحياة مما يزيد من احساسه بالثقة والامان في خوض معركة المستقبل.

كيف ينمو الطفل مع هذه التقاليد

يمر الطفل بمراحل عديدة من التغيير يجعله يغير من بعض هذه التقاليد او ينحيا جانبا لأن هذه التقاليد والمعتقدات لها تأثير على مراحل نموه. فعندما يدخل الطفل المدرسة يتخلى عن بعض العادات و يكتسب اخرى تتمشى مع سنه ووضعه في المدرسة. فهناك الكثير من التقاليد التي يحق للطفل ان يتخطاها لتوضح التغيير في نموه وبعضها يكون موروثاً والبعض الاخر يكون مجرد تقليد عائلي. وهناك الكثير من هذه التقاليد أو التوارىخ تعدّ حدثاً هاماً في حياة الطفل من مرحلة دراسية الى اخرى. فالوصول الى هذه المراحل المختلفة يغير حياة الطفل اما الى الاحسن او للأسوأ، كما يمكنه من التكيف مع الوضع الجديد تكييفاً يكسبه اصدقاء جُدداً، ويفقد صداقات قديمة او عادات كانت تشعره بالراحة النفسية، ومثل هذه التوقعات الجديدة قد تكون واضحة، كالطفل الذي يستطيع الحصول على اجازة قيادة عندما يصبح في الثامنة عشرة من عمره. ولكن اغلب هذه التوقعات على الطفل ان يكتشفها بنفسه عن طريق ملاحظة الاخرين في كل تصرفاتهم وفي الوقت نفسه قد يجد الاطفال المتقدمون صعوبة في تقبل هذه التقاليد من نواح عديدة. ذلك أن درجة نمو الطفل المتفوق جسمياً وعقلياً اسرع من غيره من الاطفال العاديين ولذلك قد لا يواجهون او لا يتعاملون مع التقاليد والطقوس التي تناسب سنهم لأن توقعات المجتمع من الطفل لاتشمله كفرد ولكن ضمن المجموعة.

والطفل المتفوق أسرع من غيره من الاطفال في مراحل نموه المختلفة فقد يكون الطفل في سن السادسة منخرطاً في مجاميع مختلفة من النشاطات الاجتماعية. كذلك فإن إعداد الطفل في مرحلة ما قبل الابتدائي لمواجهة العالم الكبير وعالم الكبار الحقيقي بعيداً عن جو الاسرة الذي ألفه قد يكون سخيلاً وغير ضروري بالنسبة للطفل المتفوق الذي يواجه تقاليد وطقوساً عليه التعامل معها في فترات مبكرة من حياته (ابكر من غيره من الاطفال العاديين). وبمعنى اخر فإن الطفل المتفوق أسرع من الطفل العادي في عبور ما يسمى «مراحل النمو الخلقى». وكما هو مبين في الجدول رقم (٨) فإن هذا التقدم السريع يعني ان الطفل المتفوق سيكون بعيداً عن انتمائه

لأقرانه من نفس السن من حيث الاحتياجات والافضليات وحتى من حيث الشخصية، من هنا فإنه قد يتساءل و يتحدى وحتى يحارب التقاليد التي لا تلقى عند اقرانه العاديين أي استغراب.

والقليل من الناس قد يتوصل الى اخر درجتين من التقدم المعنوي في الجدول العاشر ولكن التجربة اثبتت ان معظم الاطفال المتقدمين قادرين على التوصل الى هذه المراحل، اذا لم تمنعهم الظروف او تقف عائقا امامهم. فالناس الذين يتوصلون لهذه المراحل السامية هم القواد والمبتكرون والمخترعون الذين يساهمون مساهمة كبيرة في دعم المجتمع وتقييم المعرفة والفلسفة والتأثير على كثير من التقاليد من خلال عملهم. وبما أن هذه التقاليد قد تمتد من الأشياء الصغيرة القليلة الأهمية الى الاساسيات التي شكلت على هيئة قوانين قد تمتد الى النظام السماوي، فإن هؤلاء الذين يصلون الى هذه الدرجة السامية من التقدم المعنوي والخلقي قد لا يتقيدون بها مضحين بانفسهم لتغيير وجهة نظر الناس في هذه القوانين، أو إبطالها.. وهذا مايكرس الأطفال المتفوقون انفسهم له في مراحل مبكرة من حياتهم.

جدول رقم (٨)

مراحل النمو الاخلاقي

طاعة — أنانية

- ١ — قواعد تتبع لتجنب العقاب. طاعة وتحسب للاعتداء الجسماني
- ٢ — قضاء حاجات الاخرين بغرض قضاء الاخرين لحاجات الشخص والمكافأة واعطاء النفس ما تستحقه واعادة الثقة بالنفس.

الخضوع للتقاليد

- ٣ — ما يلقي استحسان الاخرين يعتبر من الناحية المعنوية هو المقوم الصحيح، الخضوع للتقاليد ووجهات نظر الاخرين من الممكن اعتبارها. الخضوع للتقاليد والتمشي معها على عمل يثنى عليه والرغبة في تأدية حاجات الاخرين.

- ٤ — سلطة المجموعة والقانون والمجتمع تؤخذ بأخذ الجدية ومحاولة التمسك بالنظم الاجتماعية والخروج عنها شيء غير محبب. التركيز على مفاهيم الصبح والخطأ من وجهة نظر المجتمع واتباعها من غير تردد والمحافظة على الواجبات والقوانين والمبادئ الاخلاقية.

مبادئ اخلاقية غير قابلة للخضوع

- ٥ — الالتزام بمبادئ الضمير الشخصي، الاهتمام بحقوق الافراد التي وضعت من خلال اتفاق جماعي على اهليتها والتركيز على طرق صحيحة للوصول لهذا الوفاق الجماعي في الرأي لتقييم القيم والمبادئ.
- ٦ — الاهتمام بالمثل العالمية والاخلاقية البحتة التي تؤثر في حياة جميع الافراد بعيدا عن وجهات النظر التقليدية. التركيز على الأمور العالمية وعلى الثبات والشمول المنطقي.

ان الثقة العمياء والطاعة التي لا مجال في التساؤل عنها وحتى القبول السلبي لهذه التقاليد لا يتمشى مع طبيعة الطفل المتفوق الذي لا يتوقف عن ترديد كلمة لماذا؟ فكل التقاليد والعادات هي محور تساؤل الطفل المتفوق. والتساؤلات الكثيرة التي نسمعها من الاطفال تجعلنا مقتنعين بان الطفل المتفوق لا يمكن له تقبل هذه التقاليد بالطريقة التقليدية. إنه يتساءل لماذا يجب عليه ان يقف احتراماً لشخص كبير في السن حتى في حالة ما إذا كان يؤدي عملاً مهماً. ولماذا يجب عليه ان يحاول تحسين خطه عندما يكون الغرض من الخط هو إمكانية قراءته. وعندما تتساءل الطفلة لماذا هي تجبر على لبس الثوب بينما هي ترغب في لبس البنطلون وغيره من هذه الاسئلة التي لن يتوقف الطفل المتفوق عن ترديدها حتى يحصل على جواب مقنع لها. وهناك بعض التقاليد التي نتناقلها لأنها تجعل المجتمع يتفاعل بطريقة عملية، وهي هنا بمثابة العادة التي تناقش ولم ترفض من قبل المجتمع. فبعض هذه التقاليد قد يكون ضاراً بالفرد لا يعطيه الفرصة للتقدم الذي هو من حق الجميع. واتباعنا لها لمجرد أنها موجودة، علماً بأنها وُضعت في وقت، يختلف عن وقتنا الحالي. فالطفل القادر عقلياً على تحليل المواقف لا بد له من رفض هذه التقاليد التي تكون في اغلب الاحيان عبارة عن عادات سطحية وقد تكون ضارة بالطفل نفسه.

كسر الانماط الموجودة

كلما كبر الطفل وازداد ادراكه احس بان لديه خيارات عديدة وهو ليس بمجبر على ان يرتبط بهذه التقاليد. ونحن نعتقد بان هذه الحرية الشخصية يجب ان نشجعها لأنها من مصلحة الطفل مع انها قد تسبب بعض الاساءة او العناء للوالدين فللاطفال الحق ان يغيروا احتياجاتهم واختياراتهم عندما يجدون ان الخيارات القديمة لم تعد كافية لإشباع رغباتهم وان توسيع نطاق الطفل هو الهدف في حصوله على حريته الشخصية. فلا بد للوالدين ان يساعدوا الطفل بتفأول وحاس لتقييم طرق جديدة في الحياة.

واذا تعلم الطفل تقاليد غير تقاليده فهو بذلك يكتشف طرقاً مختلفة في الحياة قد تكون اكثر فعالية وتناسبه. وكلما زادت تجارب الطفل كلما تعلم مزيد من الخبرات ووجد المجالات العديدة مفتوحة امامه. فهذا يعطيه المقدرة على السيطرة التامة على حياته ولكن علينا ألا نشجع

الطفل بأن يكسر هذه التقاليد فقط ليظهر الشخص المختلف والذي يحاول إيجاد طريقة لاثبات النفس بعيدا عن العائلة.

فلا بد من تذكير الاطفال بان كثيراً من هذه التقاليد — وليست كلها — وضعت لتخدم غرضاً معيناً، وواجبنا ان نساعدهم في إيجاد هذا الغرض ووضع في الميزان ضد ما يتأملون الوصول اليه من دحرهم لهذه التقاليد. وثمة طريقة لجعل الطفل قادراً على النظر الى هذه التقاليد من حيث اهميتها للآخرين، فهو قد لا يعتبر آداب المائدة بالشيء المهم لكنه سيكتشف اذا هو لم يتبعها بانه سيأكل بمفرده. واذا اعتقد ان الظهور بالمظهر اللائق غير ضروري فانه سيكشف بانه لن يحصل على العمل اذا ذهب لمقابلة المدير بملابس غير لائفة. ان هذه المعادلة تجعل الطفل قادراً على رؤية التقاليد من وجهة نظر الآخرين بالاضافة الى وجهة نظره الخاصة به.

كم يكلف الطفل كسر هذه التقاليد؟

ان كسر التقاليد هو سلاح ذو حدين فعلى الصعيد الاول فان كسرها يعطي الطفل الاعتماد على النفس وعلى التفكير الخلاق، وعلى الصعيد الاخر قد تعزل هؤلاء الذين تشكل هذه التقاليد شيئاً مهماً في حياتهم، فيصبح الطفل مبعداً وحيداً عن جماعته التي ينتمي لها. ويفكر الكثير من الناس بشكل مطلق دون حل وسط، فكل شيء اما ان يكون سيئاً او جيداً، ملائماً وغير ملائم. ولا مجال لحل وسط ولا مجال لأي نوع من التساؤلات. ولكن الاطفال المتفوقين لا يتقيدون بهذا النوع من التفكير الا اذا تم اقناعهم عن طريق الاخبار بان السلطة غير قابلة للمجادلة او التساؤل. فان تفكيرهم التباعدي المتسع يساعدهم على دمج الافكار والمعلومات بدل ان يضعوها في قوالب ليحصلوا على علاقات جديدة و يكونوا قواعد جديدة. فقد يرغبون بتبديل هذه القواعد بتقاليد قديمة ولكن التغييرات الاجتماعية والتراثية تحصل بسرعة فائقة مما يؤدي بالناس الى التعلق بعاداتهم وتقاليدهم التي اعتادوا عليها حتى لا يظهر عليهم عدم الارتياح. فهم قد يكونون ضد هؤلاء الذين يهددون شعورهم بالامن والاستقرار، هؤلاء الذين يحاولون تغيير هذه التقاليد والخروج عنها واكثر السلطات عندما تلقى اي نوع من التحدي تقوى موقفها بالتمسك بمعتقداتها وتبدي التزامها. فلا بد لنا من تعليم الاطفال المتفوقين عدم التصدى والتعنت في مواقفهم تجاه السلطات حتى لا تضطر هذه الجهات الى اخذ التدابير اللازمة لكي تثبت مقدرتها وتحكمها بالموقف.

وليس من الضروري أن تكون نتيجة كسر هذه التقاليد هورد فعل الآخرين فان الطفل الذي يكسر تقليداً كان يؤمن به او يقبله بشكل سلبي يقع في محنة، فهو يحس بانه ضعيف قابل للتجريح والانتقاد. فكسر التقاليد علانية قد يجعل الطفل يحس بانه قد فقد صلته بالآخرين مهما كان تجاوبهم معه بالسلب او الايجاب كما ان مكانة الطفل مع هؤلاء لن تكون كالسابق

كما أن حقيقة شعور الطفل بالأمان وهو في ظل هذه التقاليد والعادات سيقابله وضع جديد بعد كسره لها..

تفاهم أكثر وضبر أعظم

ان الاطفال المتفوقين يتطلبون المزيد من التفهم لأنهم قد يجدون انفسهم في طريق مغلق امام ما هو مسموح لهم من تساؤلات أو خروج على التقاليد المفروضة عليهم ، وقد يهدد ذلك ثقتهم بأنفسهم واحساسهم بالامان والانتماء. وقد تكون هذه المحاولة في تثبيت ثقة هؤلاء الاطفال بانفسهم ومحاولة تشجيعهم على تقييم حياتهم بانفسهم اصعب المهام التي تواجه الوالدين .

وأمامنا قصة الطفل البرت شوايزر الذي رفض لبس الملابس الدافئة التي حاول والده الحصول عليها بعد عناء حتى لا يكون مختلفا عن الاطفال الفقراء الاخرين الذي هم غير قادرين على شراء هذه الملابس فمبدأ المساواة عند هذا الطفل اهم بكثير من رغبة والديه في المحافظة على التقاليد الاجتماعية. وهذه مشكلة قد يصعب على والدي الطفل المتفوق فهمها كلية.

والمشكلة في تربية الطفل المتفوق هي ان الطفل الذكي واسع الافق لا يمكن للاهل ان يخفوا عنه الحقيقة ولا يمكن للاهل ان يصطنعوا اي شيء الا وهو يقف لهم بالمرصاد. فهو يكشف التصنع ولي نقطة ضعف عند الوالدين. فالطفل البالغ من العمر سبع سنوات قد يسأل والدته عن احد القوانين التي وصفتها له ، هل المقصود اتباعه؟ أم انه قانون ككثير من قوانين المجتمع التي توضع ولكنها لا تنفذ كحدود السرعة في الشوارع مثلا. فالقوانين الموضوعة التي لا يطبقها احد تجعل الطفل الاستثنائي يتساءل عن مدى فعاليتها في حياته.

ومن هنا علينا أن نعترف بان هناك الكثير من المفارقات سواء كانت خارج نطاق العائلة او داخلها فمثلا هناك العديد من العادات غير تفكير في فعاليتها وخصوصا عندما يتطرق لها الطفل و يضعنا في الموقف الحرج .

فمثلا قد يتساءل الطفل عن مدى اهمية لبس ربطة العنق او تنسيق مائدة الطعام او استضافة ضيف لا تربطنا به أية علاقة تفاهم . ولعله من خلال اسئلته هذه يحاول تنمية قيم اخرى لا يحق لنا اعتبارها اقل اهمية من قيمنا لأنها تختلف عنها. وقد تكون نتيجة تساؤلات الطفل هذه الشعور لدينا باننا سيرنا حياتنا على نظام محكوم بالتقاليد والقيم التي لا تساعد في اثرنا حياتنا. وقد يكون لنا ذلك صعبا علينا ولكن من الضروري ان نشارك اطفالنا في اكتشاف حقيقة انفسنا.

ماهي التقاليد العائلية

قد يكون من المستحسن لنا ان نتفحص عقدئدنا وتقاليدينا وعاداتنا وقيمنا ونظرتنا للامور من خلال الاسرة وبذلك نعطي اطفالنا مثلاً لمقدرتهم على التساؤل والمناقشة في هذه الامور سواء كان ذلك على الصعيد الاجتماعي او الشخصي في حدود العائلة. وقد يتفق الطفل والوالدان على الاولويات التي يمكن التعرض لها اذا رجعنا الى الفصل السادس المعنون (توضيح القيم) لنعلم ان هذه القيم ضرورية لحماية الفرد والعائلة ككل ونحن حين نتبعها فاننا نحمي العائلة من عدم التوازن في القيم والمفاهيم.

وبعملنا هذا فاننا نعطي الفرصة للاطفال اذا اجبروا على الخروج على التقاليد أن يظهروا آراءهم بطريقة لطيفة مقبولة حتى لا يسبب ذلك احراجاً لأفراد العائلة. ومن خلال هذه العملية لا بد ان يكون الوالدان المثل الاعلى لكي يتشجع الاطفال على ان يضعوا للقيم أولويات ولا بأس أن نساعدهم اذا احتاج الامر ذلك هناك طفلة كانت ترفض لبس المعطف الواقي من المطر لأن الاطفال الاخرين لا يلبسونه بل قد يسخرون منها ان لبسته ومن خلال الحديث معها اكتشفت والدتها بأنها ربما تكره لبس المعطف لأن الاطفال يسخرون منها ولكنها تكره اكثر شعورها بالرطوبة والبرد طوال اليوم اذا لم تلبسه. ومن خلال سؤالها فيما اذا كان ذلك الشعور بالبرد يعجبها اجابت الطفلة بانها على العكس تقضي يومها كله كئيبة تعيسة، ونتيجة هذه المناقشة أمكن للأُم مساعدة الطفلة على اتخاذ قرار، وفي النهاية اختارت ان تلبس معطفها غير مبالية بما سيقوله الاطفال الاخرون عنها. هذا مثل واضح على حاجة الطفل الى المساعدة لكي يستطيع اختيار ما يناسبه.

المناقشة المفتوحة

ان المناقشة المفتوحة من الوالدين تساعد الطفل المتفوق على تفهم علاقته مع اخوانه ومع اصدقائه وحاجته الى التهذيب والتأديب والى ما شابه ذلك من صفات ومن خلال هذه المحادثات قد نستفيد بان نتعلم الكثير عن كيفية سير العائلة فمثلاً قد يواجهنا العديد من الاسئلة مثل كيف نقيم التفكير الخلاق في عائلتنا وهل تقيد العائلة بالافكار التقليدية؟. وكيف يتسنى لنا ان نعطي اطفالنا الفرصة لكي يقرروا ما اذا كانت الفكرة صحيحة او معقولة او غير معقولة؟. وكيف نجعلهم قادرين على الثقة بارائهم وكم من الوقت تضعه العائلة لواحد من هذه التقاليد؟. من ناحية اخرى كيف يكون التصرف عندما نواجه الاخرين بتقاليد اخرى؟. وكيف نساعد اطفالنا على معرفة قيمة تقاليدهم هذه مع عدم التقيد بها وجعلها عائق في سبيل

تحركهم؟ قد تكون الاجابة على كل هذه الاسئلة مثيرة لدهشتنا في بعض الاحيان وقد تشجعنا في اعادة تقييم نظرتنا لبعض الامور ومحاولة تغييرها.

و يبقى لدينا سؤال مهم هو ماذا يجب علينا ان نفعل عندما يكون الوقوف ضد هذه التقاليد شيئاً ذا اثر سلبي على العائلة؟ فمثلا ماذا نفعل عندما يحاول الطفل اتباع طريق غير قانوني قد يكون خطرا عليه وله نتائج قد يمتد تأثيرها السلبي لمدة طويلة .

هنا يكون وجود خط واضح من الاولويات التي لا بد منها. علينا أن نساعد الطفل على ان على ان يفهم بأن الوقوف ضد هذه التقاليد قد سبب الحرج للآخرين، وحين يكتشف هذه الحقيقة يجعل انتقاده للتقاليد بطريقة لبقة مهذبة تجعل هؤلاء الناس يتقبلون النقد بروح طيبة . وهنا نود ان نذكركم بان الصبر والتحمل والتراجع عن الرأى هي اهم الوسائل في محاولة الابقاء على طريق الامان القديم وحرية التطلع الى طريق جديد افضل

بعض الاسئلة التي يكثر تداولها عن التقاليد.

ان طفلي نائر ضد القوانين ولا يجب ان يتقيد بها. ان ذلك يزعجني فقد يجعله هذا التصرف غير محبوب من الناس أو يدفعه الى التخلي عن المدرسة او الانخراط في مشاكل كبيرة. فماذا علي ان افعل؟

ان تحدى السلطة هو صفة طبيعية بالنسبة للاطفال الموهوبين وخصوصا عندما يصلون الى سن المراهقة. ولكن قد لا يكون ذلك دائما صحيحاً لأن هناك بعض السلطات التي يكون الطفل مستعداً لتقبلها. ومن هنا نستطيع ان نتيح له الفرصة في نقد هذه السلطة و اظهار شعوره تجاهها ولكن في نفس الوقت لا بد لنا بأن نبين له انه بشعور هذا قد يغير نفسه ولا بد من توضيح هذه الامور للطفل بطرق مقنعة خالية من التهديد حتى يتمكن من تقبلها وحتى عندما تكون لديه بعض الشكوك في قيمة هذه التقاليد علينا أن نبين له قيمتها وتأثيرها على علاقاتنا الاجتماعية. فاذا ما قرر الطفل بأن التصرف بادب ولباقة امام الآخرين لا داعي له فيجب علينا ان نعترف باننا لانستطيع ارغامه على ان يكون مؤدبا ولكننا نستطيع أن نوجد المواقف التي تبين له أهمية اللياقة، وذلك من خلال مضمون اجتماعي مناسب. وبالطبع هناك بعض التقاليد التي لا يمكن لنا ان ندع مجراها الطبيعي يبين وقعها على الناس مثل القوانين التي لا بد للطفل من اتباعها من غير تساؤل او شك حتى لا يعرض نفسه والآخرين

للاخطار ففي هذه الحالات يجب ان نساعد الطفل بأن يكتشف و يبحث عن اصول هذه التقاليد والغرض منها بنفسه و بطريقته الخاصة و يتوقع النتائج العقلية بدلا من النتائج الطبيعية التي قد يواجهها ولا يمكن له الرجوع عنها بعد الاقدام عليها.

**لقد رفض طفلي القوانين والتقاليد العائلية والاجتماعية علي السواء.
فهل هذا سيزيد من احساسه بالوحدة والابتعاد عن المجتمع؟**

اذا كان طفلك بالفعل قد رفض جميع هذه التقاليد فلا بد له من مساعدة اناس اخصائيين. فسواء كان هذا الطفل رافضاً لجميع التقاليد او اغلبها فالواضح ان هناك مشكلة في التعامل مع الاسرة وان الطفل لديه كثير من الغضب والقلق والاحساس بالوحدة. وطالما ظل الطفل بعيدا عن هذه التقاليد ولم يستطع تقويم نفسه في حدودها، فان احساسه بالوحدة سيزداد على مر الايام.

ولا بد هنا من النظر في علاقة هذا الطفل بافراد العائلة ومحاولة معرفة ما اذا كان احد افراد العائلة يضع كثيراً من الاهمية على تقاليد وقوانين تافهة بالية لا غرض منها بدلا من تشجيع الطفل على تقبل المبادئ والتقاليد التي لها اثر كبير على المفاهيم الانسانية العامة. فالعودة الى باب تبادل وفهم المشاعر قد يساعد في هذه الناحية لأن التعامل الصادق وتبادل المشاعر والثقة هي في الواقع قاعدة اصيلية لهذه المفاهيم والتقاليد الانسانية

كيف اتمكن من حمل اولادي المتفوقين على الثورة على التقاليد انهم يبدوون الكثير من الحرص على تتبع هذه التقاليد وعدم الخروج عليها وعمل كل شيء بالطرق التقليدية؟

ان هناك احساساً بالامان في التمشي مع التقاليد والنظم التقليدية. ربما ان التقاليد هي في الواقع سهلة التتبع، فهناك احساس عند الطفل بانه سيد قدره وقد لا يكون ذلك صحيحاً بالفعل ولكنه وارد بالنسبة لهذا الطفل الذي يخشى تخطي كسر هذه التقاليد. فغالبا ما يكون خوف هؤلاء الاطفال من النتائج التي قد تحدث في حالة اذا لم يتبعوا التقاليد غير طبيعي . ومع تشجيع الطفل وادخال الطمأنينة الى نفسه فان التصرف بطريقة مخالفة للمعتاد قد يشجعه على التقليد والخروج على المعتاد. فعلى الاهل بين الحين والآخر التفاوضي عن بعض التقاليد والتساؤل عن قيمتها وما هي النتيجة السيئة التي قد تحدث من عدم اتباعها.

وعلينا هنا ان نتذكر دائماً بان تشجيع الطفل على التعبير عن نفسه واحتفاظه بالقيم التي يعتبرها مهمة أمر هام .. يجب ان نتقبل كل خطوة يبدأها الطفل في سبيل تحرره والاعتماد على نفسه مهما كانت هذه الخطوات متعرجة او متأنية.

* * *

— ان المتاعب الذهنية هي اكثر قسوة من الآلام الجسدية .
«ب سيروس» .

— ان قناعتني في الحياة الان هي اعتقادي بان الوحدة بعيدة عن ان تكون ظاهرة غريبة ونادرة الحدوث وغريبة على نفسي وعلى القليل من الناس الوحيدين بل هي المركز والحقيقة التي لا يمكن تفاديها في الوجود الانساني .
«توماس ويلف»

— انه لمن الحماقة ان نشد شعورنا في حالة الحزن وكأن الصلع يخفف من الفجيرة
«سيسرو»

— ان شعور الانسان بالوحدة سببه ان الانسان يبني الحواجز بدلا من بناء الجسور .
«جوزيف ف. نيتن»

— ان اعظم حاجز ثابت في الطبيعة هو بين تفكير واخر .
«وليام جيس»

— اذا كتبت المشكلة بطريقة صحيحة فهذا نصف الحل .
«شارلس كيتيرنك» .

— ان الحياة مليئة بالمحبة والاسى فمن واجبنا اتجاه بعضنا البعض بان نكتشف هذه اللحظات البراقة التي تختفي وراء الظروف والاعمال المضجرة .
«هيلين كيلر» .

— من يستطيع التكهن بان لحظة واحدة من المحبة او السعادة التي نحس بها ونحن نسعى مستنشقين عطر الصباح العذب تضاهي في حلاوتها كل المعاناة والعذاب الذي تفرضه الحياة علينا .

«ايرنج فرومين» .

الفصل الحادي عشر

الاكتئاب

إذا ما تساءلنا هل الاطفال المتفوقون هم اكثر عرضة لحالات الاكتئاب والانتحار من غيرهم الجواب على السؤال الاول بنعم والجواب على الثاني برما . ولكن باستطاعتنا ان نقلل من احتمال شعور الطفل بالاكتئاب او على الاقل التقليل من تأثيره على النفس باتباع طرق معينة تساعدنا على ذلك لأن اهمية موضوع الاكتئاب عند الطفل المتفوق يجب ان نعطيها حقها من الاهتمام ولا نهملها لأنه خلال القرنين الماضيين ازدادت نسبة الانتحاريين الشباب ٢٥% كما كانت حالات الانتحار هي ثالث عامل مسئول عن وفيات الافراد بين عمري ١٥ و ٢٤ . وحدثت محاولات الانتحار بنسبة أكبر بين الشباب المبتكر وذوي التحصيل المرتفع والذين يلتحقون بمدارس تكثر بها عوامل المنافسة و بين الذين هبط مستواهم الاكاديمي في الفترة الأخيرة ورغم أن هذا لا يعني ان كل حالات الاكتئاب تؤدي الغ الانتحار، الا أننا نثير هذه النقاط لكي نبين اهمية الحالة النفسية عند الطفل . ومهما كانت طبيعة الاكتئاب النفسي وما له من تأثير سلبي على الاهل فلا بد لهم من تقبله كاحد الأعراض اذا ما كانوا راغبين في مساعدة اطفالهم المتفوقين .

معنى الاكتئاب

الاكتئاب حالة اقوى بكثير من مجرد حزن بسيط يصاب به الطفل إنه تعبير عن اليأس والشعور بالذنب والاحباط والاحساس بعدم القيمة . فالمكتئب يحس بان الاشياء في غير مكانها الطبيعي وانه غير قادر بل عاجز تماما عن تغيير هذا الموضوع . وقد يجعل الشعور باليأس والضياع من حالة الاكتئاب حالة يصعب التغلب عليها لأن المكتئب لا يملك الطاقة ولا الرغبة في اتخاذ اي موقف لتغيير الامور .

فالاحاسيس التي تصاحب المكتئب هي احاسيس غامضة مبهمه لا نهاية لها، تجعله يحس وكأن الاكتئاب جزء منه ، لم يمارس أي احساس غيره طيلة حياته . . وقد يتعجب الاهل من اصابة الاطفال بالاكتئاب لظنهم أنها صفة البالغين . ولكن الحقيقة ان الاطفال الرضع يصابون

بالاكتئاب اذا لم يحصلوا على المحبة التامة والعاطفة الجياشة من قبل والديهم وقد يؤثر ذلك على فوهم الجسماني والنفساني على السواء.

وغالبا ما يصاحب الاكتئاب حالة من العزلة والانفراد سواء كان المكتئب طفلا او بالغا. ومن اعراض الاكتئاب عدم الرغبة في عمل اي شيء وفقدان الطاقة الجسمانية او عدم المقدرة على النوم وفي بعض الحالات يصاحب الكتابة المبالغة في الاكل او فقدان كبير للشهية والمقدرة على تناول الطعام.

وبعد أن عرفنا الاكتئاب نجد ان هناك ثلاثة انواع منه قد تصيب الطفل المتفوق:

الاول حين يضع الطفل نفسه مثلا ومبادئ في المقييس الاخلاقية والمسؤلية والانجازات ثم يعجز عن تحقيقها لأنها تفوق طاقته بكثير (راجع الفصل السادس) وهناك طفل مراهق يتحدث عن مبادئه ومثله التي يود التوصل اليها وجعلها واقعة ولكنه عاجز عن ذلك تماما مما يسبب له الكتابة والاحباط.

اما النوع الآخر من الاكتئاب فمصدره الشعور بالعزلة عن بقية الناس. فقد يحس الطفل المتفوق بان الناس حوله لا يتقبلونه كإنسان عادي ولكنهم ينظرون اليه كعقل فذ ومنجز عظيم. وهنا قد يلجأ هؤلاء الاطفال للتعامل مع الناس بطرق سطحية مظهرين من انفسهم ما يروق للناس رؤيته وتخفين الجزء الاعظم من انفسهم خوفا من رفض الناس لهم وتغطية لحقيقتهم..

والنوع الثالث من الاكتئاب يرجع الى الوجودية الناتجة عن شعور الطفل المتفوق بجذور مشاكل الانسان على الصعيد العام. فالاطفال المتفوقون ينظرون الى القيم الانسانية وكأنها تستغل حسب المناسبة التي تظهر بها وهذا يجعلهم يتساءلون عن حقيقة هذه القيم وعن احتمال كونها قيما احتياطية استبدادية.

وتحت كل هذه الاهتمامات بقيمة الحياة المطلقة ياتي اهم ما يقلق الطفل على الصعيد الشخصي وهو القمية الجوهرية لحياته هو. وهذه الانواع الثلاثة من الاكتئاب متشابهة الى حد ما من حيث ان جميعها تخفي وراءها الشعور بالغضب عند هذا الطفل، ولكي نفهم اى حالة من الاكتئاب سواء كانت لدى الطفل او لدينا نحن فلا بد لنا اولا ان نتقبل شعور الغضب الحفي لأن شعور الغضب هذا يؤدي بنا دائماً الى اتخاذ موقف معين. فعندما ننكر هذا الغضب وننفي وجوده فاحتمال ظهور الشعور بالكتابة لا بد منه. فالكتابة في الحقيقة هي شعور بالغضب لم يجد المكتئب له المنفذ المناسب للتخلص منه وعندما يرى الطفل نفسه عاجزا عن التصرف بغضبه وغير قادر على التعبير عن مشاعره او ابداء الرأي في الموقف الذي يغضبه نرى ان غضبه هذا الذي يختفي تحت ستار الكتابة موجه الى نفسه هو فيلجأ الى تقريع النفس ومعاقبته بشدة لتقصيرها

وتصرفها غير السليم . فكأمة بغضبه يلوم عدالة السماء . وحيانا اخرى يسيطر عليه شعور
بالاحباط المبهم اللانهائي ليتركه غير قادر لا حول له ولا قوة .
وقد يلجأ الطفل في هذه الحالة الى التعبير عن استيائه للمعاملة السيئة التي حصل عليها في
حياته بالاستعطاف واخذ الشفقة من الناس بدلا من ايجاد حل لسوء هذه المعاملة وكثير من
الاهل يتعاملون مع هؤلاء الاطفال باظهار الشفقة عليهم مما يؤدي بالطفل الى استخدام هذا
كسلاح في جلب الانتباه وكسب الشفقة .

ولا يمكن لنا معالجة الشعور بالكآبة حتى نكشف شعور الغضب الكامن خلفها ، لأننا اذا
لم نكتشف هذا الشعور فكأما نحاول ان نضع دخانا في وعاء كلما حاولنا اخذ القليل منه نفذ
كلية . ففي اللحظة التي يحاول ان يضع فيها المكتئب النقاط على الحروف ويعيد تقييمه لشعوره
بان كآبته مصدرها الغضب فان طاقته ستتدفق لتجعله قادراً على اتخاذ موقف ما قد يكون في
عدم لوم النفس والتوقف عن عقابها وتحميلها المسؤولية . ولأن معاقبة النفس هي صفة اساسية
تصاحب الاكتئاب فلا بد من الاسهاب في تعريفها . فرهبان العصور الوسطى كانوا اذا شعروا
بالخطيئة او بعدم جدارتهم يخيطون قمصانا حول انفسهم مبطنه بالشعر من الداخل . فاحساسهم
بالحر والتعب والحكة يوما بعد يوم مع حرارة الجو يكون بمثابة تكفير عن خطيئتهم وعدم جدارتهم
ولا ينزعون هذه القمصان حتى يحسوا بانهم قاسوا بما فيه الكفاية وانهم كفروا عن ذنوبهم .

وقد نحكم على تصرف هؤلاء الرهبان بالغباء لأن هذا القميص ليس بالضرورة المقياس
على كون الشخص اكثر جدارة . فعقاب النفس هذا لن يغير من حال ولن يصلح من موقف .
فالقليل منا قد يلاحظ ان لومنا لأنفسنا في ظل الكآبة النفسية يتساوى على المستوى الذهني مع
لبس هؤلاء الرهبان لهذا القميص . فالقميص يرمز في النهاية الى اننا نضع مقاييس ومثالا
لأنفسنا ليس لنا طاقة على تحملها واذا لم نجح في الوصول اليها فاننا سنقع فريسة الكآبة
النفسية لأننا لم نكن عند حسن ظن انفسنا .

الاكتئاب الوجودي

يمر اغلب المراهقين بمراحل التساؤل عن قيمهم الخاصة ومسئوليتهم تجاه انفسهم والمجتمع ،
وتقدير علاقاتهم مع الاخرين من حولهم والبحث عن معنى لهذه العلاقات وللحياة بصورة عامة .
فهم قد يشكون او يرفضون المبادئ الدينية والقيم الاخلاقية و يلجأون الى الاسئلة التي
لاجواب لها مثل سؤالهم «اذا كان الله رحيماً فلماذا سمح بوجود الشيطان»

وهذا النوع من التساؤلات هو جزء من مراحل البلوغ اذا نجم عن شخص لا يتعدى التاسعة من العمر يكون غريباً. فلذلك نرى الامل يحاولون تجاهل هذه الاسئلة والتغاضي عنها اذا صدرت من اطفالهم الموهوبين. ويعطي الامل هذه الاسئلة القليل من الاهمية اذا ظهرت في عمر مبكر. وقد يصاحب هذه الاحاسيس والتساؤلات القلق والشعور بالوحدة والكتابة التي ينجم عنها اعتبار الحياة لاقيمة لها.

وتوضح لنا المحادثة التالية التي دارت بين طفل عمره ست سنوات ووالدته التفكير الوجودي الذي يسيطر على هؤلاء الاطفال المتفوقين في عمر مبكر. فالطفل يسأل والدته كيف يتسنى له معرفة معنى الموت وهل يجب عليه ان يموت لكي يعرف ذلك؟ والميت كما يعلم الطفل لا يمكن له ان يشرح شعوره او يتكلم. ويتساءل الطفل عن الموت وكيف ان الجميع لا بد ان يموتوا سواء كانوا احياء او جماًداً لأن الكرسي اذا انكسر فهو ميت والمائدة كذلك — ولكن موت الحي غير موت الجماد وهل يمكن للكرة الارضية كلها ان تموت؟ وعندما يموت كل من عليها من احياء وجماد ولا يكون هناك وجود لأي شيء تقني الحياة.

من هنا نرى ان الطفل المتفوق لا بد ان يمر بفترة الكتابة الوجودية في مرحلة من حياته ولكي يتخلص منها لا بد له من ايجاد قيمة لحياته ولعلاقاته مع الاخرين عليه ان يحس بالانتماء الى هذا الوجود وهذا الاحساس يتعلق بدرجة كبيرة بالكون وبعلاقة الطفل باهله واصدقائه.

طلب النجدة

لا بد للاهل من مساعدة هؤلاء الاطفال لمحاولة تجنب الاحساس بالاكتئاب او التعامل مع هذه الكتابة النفسية مهما كان نوعها ودرجة تأثيرها على الفرد. فالخطوات التالية بالاضافة الى النصائح التي قرأناها في بداية هذا الباب لا بد لها من تخفيف حدة هذه الكتابة وتجنب تكرار حدوثها للطفل. فهذا الاحساس بالاكتئاب عادة لا يستمر اكثر من ساعات قليلة في اليوم او ايام قليلة.

فاذا زادت فترة الاكتئاب عن هذا الحد فلا بد لنا من استشارة اطباء مختصين في هذا المضمار. فاولا لا بد لنا من تقبل كتابة الطفل وعدم التشهير بها. ولا يمكن لنا ان نتوقع من الطفل ان يحاول اخراج نفسه من هذه الكتابة. هذا التوقع منا يعقد العلاقة بيننا وبين الطفل الذي يكون هو (في امس الحاجة الى التفاهم والتعاون معنا بطريقة مفتوحة). ولو كان الخروج من هذه الكتابة بهذه السهولة فلا داعي لقلقنا هذا وتوترنا كما أن طلبنا من الطفل ان يضع حداً لكتابه او يحاول الخروج منها يشكل تصغيراً لشأنه ولشاعره وعدم احترام لما يعانیه. فالكتابة هي صفة حقيقية ومؤلمة للشخص الذي يعيش فيها مهما كان عمره وهي تفرض علينا بالنسبة للطفل

الا نحاول مناقشته لاجراجه من اكتبه.. وكلما حاول الوالدان اثبات قيمة الطفل بطريقة شفوية كلما زاد احساس الطفل بعدم جدارته واهميته.

ان محاولة الوالدين اظهار محاسن الطفل وانجازاته تزيد من احساس الطفل بعدم مقدرته وتجعله دائما يجد الاسباب المقتنة لكي لا يستحق الثناء على اى عمل قام به. فالشعور بالكتابة يعطي الطفل الاحساس بعدم الهمية. وقد اعتاد الوالدان استخدام هذا الاسلوب التقليدي في تقييم الطفل شفويا معتقدين بانه ناجح مع ان هذا الاسلوب لا يساعد الطفل المكتتب بل يزيد من كآبته لأنه يحس علاوة على كآبته وعدم اهميته بان اهله والمحيطين به لا يفهمونه لذلك نجده يستسلم في النهاية و يتوقف حتى عن الهجوم على نفسه و يظهر بمظهر المقتنع بكلام الوالدين ، مع أن إطراءهما له ومحاولتهم التخفيف عنه زادته هما وجعلته بعيد عن اقرب الناس اليه.

ولنساعد الطفل على تحمل اكتبه لا بد ان نتخذ موقف المتفهم العاجز عن عمل شيء للطفل سوى محبته والعطف عليه والشعور بشعوره بدلا من محاولة تحليل الوضع بالطريقة المنطقية. ولا بد لنا من مساعدة الطفل لاعادة تقويم شعوره والاحساس بشعور الغضب والحنق الذي يختفي تحت ستر الكتابة. فمن العبارات التي تساعد الطفل على تفهم غضبه اظهار شعور الاهل وملاحظتهم قسوة الطفل مع نفسه وغضبه عليها ومحاولته اظهار كل نقائصها وكأن الطفل يضع نفسه موضع الحكم والقاضي والمتهم ولا يعطي نفسه الفرصة لأظهار خصالة الحميدة. وقد يفيد الطفل بان نبين له بان طريقته هذه في الحق على النفس ودفعها لعمل المستحيل وانتقادها الجارح غير قادرة على تغييرها او جعلها نساناً اخر.

ان مثل هذا الاسلوب قد يكشف للطفل مدى قسوته على نفسه التي تحملت منه الكثير.. ولا بد لنا بان مبين للطفل ان عمله هذا يظهره بمظهر الرهبان الذين كانوا يعاقبون انفسهم بلبس القمصان ليطهروا انفسهم من الخطيئة وانه الوحيد الذي يستطيع ان ينتزع هذا القميص عنه عندما يكون مستعدا. وعلى هذا النمط قد يستطيع الوالدان ان يخففوا من ضغط الطفل على نفسه بطريقة افضل في المستقبل حيث يرى حقيقة مشاعره وقيمه في الحياة.

ومثل هذه المناقشات تعطي الطفل الوقت للتفكير والتأمل لأن الاغلبية لا يمكن لها التخلص من الكتابة بهذه السرعة. وكلامنا هذا لا يعني بان كل شيء نقوم به يكون صالحا ولا ان كل ما في الحياة يسهل الحصول عليه، فالحياة مليئة بالمفاجآت بعضها سار والاخر ضار. فموقفنا هذا يعطي الطفل الحق في اظهار مشاعره الحقيقية و يعطيه قيمة عظيمة ويشجعه على الشعور بقدراته وقيمه الكامنة وعلينا في الوقت نفسه الا نتجاوب كلية مع نظرتة السوداء نحو نفسه واجحافه بحقها.

الانتحار

ان فكرة احتمال اقدام الطفل على الانتحار فكرة مخيفة لنا كأباء و يبدو الأمر أصعب عندما يكون الأطفال متفوقين لديهم من الفرص ما يمدهم بمعين نابض بالقوة والشباب فالحياة كلها ملك ايديهم والفرص اتية لهم . فلماذا يحاول طفل من هذا النوع وضع نهاية لحياته بدلا من ان يستثمرها بالجهد والهناء والتشجيع ؟. وسواء كان الطفل متفوقا او عاديا فان الاقدام على الانتحار هو خطوة تأتي عادة نتيجة تتابع الحالات الصعبة في حياة الشخص مع احساسه بعدم المقدرة على السيطرة عليها .

والغضب الذي يخفيه الطفل تحت ستار الاكتئاب ينمو عظيما حتى يصبح سلاحاً في يد المكتئب يعاقب به نفسه او الاخرين . فالانتحار هو توجيه هذا الغضب على الشخص نفسه بانهاء حياته او توجيهه على الاخرين بالنتيجة التي ستعود عليهم من هذا الانتحار . فالغرض من الانتحار قد يخفى الرغبة في قتل اكثر من شخص واحد . فالاطفال المتفوقون قد يكونون اكثر عرضة من غيرهم من الاطفال لحالات الكآبة والانتحار ولكن هذا لا يعني بان كل طفل متفوق سيقدم على الانتحار . ان حالات الانتحار تحت سن ١٤ سنة تكون حالات قليلة فقد يتكلم الاطفال المتفوقون كثيراً عن الانتحار في هذا السن ولكنهم لا يقدمون عليه بجدية . اما الحالات الاكثر حدوثا فهي ما فوق سن الرابعة عشرة الى سن التاسعة عشره . ففي هذا السن يواجه الشباب مشكلة البحث عن الذات وطبيعة الكآبة التي تخيم عليهم وتجعل من افكارهم سحبا قائمة غير قادرين على تعريفها .

والسرفي مواجهة حالات الاكتئاب المستعصية عند الطفل المتفوق وتلافي حالات الانتحار يمكن فهمها من الفصول السابقة التي تحدثنا فيها عن التفاهم وتقدير المشاعر وتقديم المؤثرات المختلفة والتهذيب ومحاولة التقليل من الضغط على النفس وتكوين العلاقات بين الاخوة والاصدقاء . كل هذه العبارات مهمة ونضيف لها اننا لا نستطيع ان نتجاهل الاحاسيس التعيسة للطفل ، احاسيسه بعدم الرضا عن نفسه والوحدة والشقاء والرغبة في الموت . كل هذه مشاعر لا بد من غير ان يدري مكنونها . فحذار من التصغير من شعور الطفل او تجاهله او التقليل من شأنه لأن ذلك بحد ذاته قتل لمشاعر الطفل التي هي مشاعر جوهرية لا نستطيع ان نتجاهلها .

فالخذر الشديد في معالجة الاكتئاب عند الطفل والتفهم المعجم بالمحبة قادر على التقليل من فرصة الطفل على الانتحار لأنه سواء كانت المشاركة داخل العائلة من خلال عرض الطفل المكتئب على الجهات المختصة فان النهاية هي تقريب وجهات النظر والاقتراب في الافكار حتى

تكون علاقة الطفل بوالديه امتن واصلب من اي وقت مضى . فهنا تكون الصداقة الحقيقية والتفهم الذي من شأنه ان يثني الطفل عن رغبته في الانتحار لأنه اكتشف ان هناك من يحبه و يهتم بأمره .

الحزن والحداد

ان استجابات الحزن والحداد على فقدان شخص مقرب الى القبل تختلف كلية عن شعور الاكتئاب النفسي الذي تكلمنا عنه سابقا فقد يكون الشخص الحزين مكتئبا في نفس الوقت ولكن ذلك لا يعني ان الحزن لفراق شخص عزيز هو الاكتئاب .

فانفعالات الحزن لفقدان عزيز هي من اكثر الانفعالات المعبرة عن طبيعتنا لأنها تعبر عن فقدان الشخص لجزء من نفسه . وقد يصحب الحزن الاكتئاب الذي يخفي الشعور بالغضب على القدر الظالم وعدم عدالة الحياة او ربما يوجه هذا الغضب على النفس لعدم مقدرتها التعبير عن شيء بداخلها او شعوراً بالعجز عن مواجهة الامور .

وعلى الانسان ان يدع احساس الحزن هذه تطفو على السطح ، والذين يعبرون عن حزنهم واساهم و يشاركون الاخرين فيه حالا بعد تجربة فقدان عزيز لديهم نجد لديهم المقدرة على تدعيم علاقاتهم مع الاخرين وتقويته أما الذين يخفون هذه الاحاسيس فقد تملكهم ردة فعل تؤدي بهم الى الاكتئاب النفسي فيما بعد .

فالطفل الذي يفقد احد والديه او احد اقاربه يتفاعل مع الحادثة كغيره من الكبار لأن الاطفال المتفوقين حتى في مرحلة الطفولة الاولى لديهم الاحساس القوي بترابطهم مع الاخرين . وقد يتفاعل هؤلاء بشدة مع فقدان هذه الصلات التي قد تحدث نتيجة للطلاق او الانفصال علاوة على الموت الذي يمثل اكبر خسارة للطفل . وقد يعبر الطفل عن موقفه حيال هذه الحالات بال عزلة والانكماش وتغيير في عاداته الحياتية كالاكل والنوم .

وقد يستطيع الوالدان ملاحظة هذه التغييرات على الاطفال ولكن ما لا يستطيعان ملاحظته هو شعور الطفل فقد يلجأ الى لوم نفسه لأن الاطفال المتفوقين لديهم الكثير من الانانية والتركيز على الذات . من ناحية اخرى قد يعتبر الطفل نفسه عاملا مساعداً على انفصال والديه . لذا على الاهل محادثة اطفالهم والاستماع اليهم ومشاركتهم في المشاكل ومحاولة شرح الاسباب المؤدية اليها لا بد من اطلاع هؤلاء الاطفال على ما يدور في العائلة بقدر المستطاع لكي نستطيع خلق بعض الحقيقة في خيالهم الجامح .

الآباء يمكن ان يصابوا بالاكئاب أيضا

ان الحياة الصعبة والمسئولية الملقاة على اعناقنا كأبوين مسئولين وما نتوقعه من انفسنا يجعلنا مؤهلين لحالات الاكئاب . فاول هذه الاحاسيس هو احساسنا بالذنب لأننا لا نقدم الكفاية لأطفالنا الذين لديهم مقدرات فائقة . وقد يزعجنا و يؤلنا هذا بالاضافة الى اهتمام العالم القائم من حولنا بهؤلاء الاطفال ، فنلجأ الى التعير عن غضبنا على هذا العالم بالاستسلام للكآبة لذا على الوالدين أن يهتما باحتياجاتهما النفسية التي لا تقل أهمية عن احتياجات الأطفال .

والتركيز على الطفل المتفوق قد يولد الحقد والاكئاب لأحد افراد العائلة او ربما لأحد الوالدين . فكل ما ذكر في هذا الباب عن الكآبة النفسية بالنسبة للطفل ينطبق علينا ايضا . من ناحية اخرى ، علينا ان نلتزم جانب الجد فلا نضع لأنفسنا مقاييس نعجز عن الوصول اليها او نطلب من الغير ما لا يستطيعون اعطاءنا اياه او احاطة انفسنا بذلك القميص الذي يجعلنا ندفع ثمن اخطائنا

وسنتعرض لاحتياجات الوالدين في الباب القادم الذي سيحدثنا عن علاقة والدي الطفل الاستثنائي بالآخرين .

بعض الاسئلة التي يكثر تداولها عن الاكتاب

هل هناك اسباب صحية للاكتاب؟ وهل يكون الاكتاب نتيجة للشعور الكامن بالغضب دائماً؟

هناك ظواهر صحية تنسب الى الاكتاب مثل خمول الغدة الدرقية وفقر الدم ونسبة السكر في الجسم كما أن تفاعل الجسم مع بعض الادوية قد يؤدي الى الاكتاب او الى زيادة الكآبة اذا كانت موجودة من قبل.

وخلال فترة النمو هناك العديد من التغييرات الجسمانية التي تحصل غالباً في الهرمونات التي تسبب التغييرات المزاجية المختلفة. وبما ان الاطفال الاستثنائيين غير محصنين ضد المشاكل الجسمانية فلا بد من التأكد من خلوهم منها. ومع ذلك فالعناية باحاسيس الطفل والتعامل مع مشاعره بحرص شديد مسألة مهمة.

ان طفلي البالغ من العمر سنة ونصف فقط يوجه لنفسه بعض العبارات كقوله «إنني ولد رديء، آسف انني ولد غير جيد يا امي» فهل يمكن ان يكون واعياً بمضمون كلامه؟.

هو في الواقع يعي كل مايقوله، وماتلاحظه على الطفل هو تطور احساسه بقيمته الشخصية. فمن المهم جداً ان يكون هذا الطفل قادراً على امتداح نفسه كما هو قادر على نقدها. ولا بد له بأن يتعلم بان لا يثير مواضيع أصبحت في عداد النسيان. فساعدية على التعرف او على تفهم الفرق بين عمل شيء رديء او غير جيد وعن كون الشخص نفسه غير جيد. فاذا كان يحس بنفسه انه انسان جيد او كفاء فحاولي ان تساعديه على تفهم السبب الذي يجعله انساناً غير كفاء وكم هي درجة عدم الكفاءة التي يشعر بها نحو نفسه.

ان طفلي تتكلم عن الانتحار واعلم ان الاطفال المتفوقين عرضة لأن يقتربوا هذا العمل في حياتهم. فكيف اعلم اذا ما كانت ابنتي تحاول اثاره الاهتمام بكلامها هذا او انها جدياً تفكر في الانتحار؟.

اننا نرجو من الاهل ان لا يعتقدوا بأن كون الطفل متفوقا يجعله يفكر في الانتحار. على العكس هناك العديد من الاطفال المتفوقين الذي عاشوا حياة سعيدة يشعرون بالرضا عن انفسهم ونرجوان يساعد هذا الكتاب وغيره في توضيح هذه الحقيقة.

ومع ان الاطفال المتفوقين اكثر عرضة للاكتئاب وخصوصا اذا لم يتعرف على موهبتهم ولم يجدوا التأييد لمشاعرهم ولا حساسهم بقيمة انفسهم فانهم قد يذكرون الانتحار في بعض مراحل حياتهم او يتحدثون عن رغبتهم في قتل انفسهم لعدم وجود من يفهمهم. وبما ان طفلك قد تحدث عن الانتحار فلا بد من تذكر عاملين هامين هنا: الاول هو ان الكثير تصادفهم نوبات شعور بالانتحار في فترة من حياتهم وان الحديث عن الانتحار يجب ان يؤخذ مأخذ الجدى، ويجب ان لانسخر من هذا الشعور او نتجاهله او نتجاهله لأن التحدث عن الانتحار هو عبارة عن صرخات استغاثة يحاول الطفل توصيلها اليها. وحتى اذا افترضنا ان محاولة الانتحار هذه موجهة الى تأديب ومعاقبة احد ما في العائلة فلا بد من معالجة هذا الغضب والقلق الذي يحتبىء تحت شعور الطفل بالرغبة في الانتحار. فلا تتأخر بطلب المساعدة من اناس مختصين واعط الطفل الثقة بانك تتفهم شعوره وتقدره وتأخذه مأخذ الحدية وتعلم كم هو معذب وتحاول مساعدته. وذكّر الطفل بان يحاول تجربة كل الفرص الاخرى امامه قبل التفكير في الانتحار لأن الانتحار هو نهاية الطريق. عليك أن تكون حذرا من استعمال الادوية والمواد المخدرة، وخصوصا امام الاشخاص الذين تعودوا استعمال هذه المؤثرات لأنهم اكثر عرضة للتعرض للانتحار. المهم هنا ان يتحلى الاهل بالشجاعة وطلب المساعدة لأنفسهم بقدر ما هم يسعون لمساعدة اطفالهم اذا احتاج الامر.

* * *

— مهما حاول الانسان اقضاء نفسه بعيدا عن المسؤوليات، فان عائلته دائما ترجعه الى محورها. (مارجريت ميد).

— هناك العديد من الآمال والمخاوف والاماني المتقدمة حماساً، والادراك القلق التواق الى تجميع الخيوط التي تربط الطفل بوالديه. (صاموئيل جودريخ).

— ان مراقبة الاطفال وهم يكبرون والعناية بهم وهم يتفتحون شبابا صالحين يعطي الوالدين السعادة القصوى بالرغم من المتاعب الكثيرة التي تصاحب هذا النمو. هذه هي طبيعة الانسان والخليقة، وهذه هي حقيقة البقاء فاذا قارنا هذه الاحاسيس بفخرنا بانجازاتنا الدنيوية نرى فخرنا باولادنا يأتي في الكف الراجحة في الميزان. (بنجامين سبوك)

— ان الطفل يتعلم من الكبير من خلال شخصه وليس من خلال كلامه.
«كارل جانك».

— حب القلب الطيب يضاهي عندي محبة العقل النير.
«ديفيز».

— ان الاصدقاء الحميمين يشقون ببعضهم البعض لأنهم لا يخافون اكتشاف اهلهم لنقط الضعف فيهم . فهم يتداولون الاخذ والعطاء ولكنهم لا يهتمون بعقد صفقات متبادلة . فهم يحترمون رغبات بعضهم البعض ولا يتعدون على حدود الاخرين و يكرسون طاقاتهم الصادقة لعدم التعرض لأي شخص او تجريحه .
«جورج باخ» .

— ان العائلة التي تنحدر منها ليست بأهمية العائلة التي ستكونها «رينغ لاردين» .
— اتوق لأن اكون نصف المرأة العظيمة التي كان طفلي يراني بها عندما كان صغيرا وان اكون نصف المرأة الغبية التي يعتقد طفلي المراهق بانني هي .
«ريبكا رتشارد» .

الفصل الثاني عشر

العلاقات بالوالدين

يختلف والدا الطفل المتفوق اختلافاً كلياً عن أي والدين آخرين من أصدقائهم أو جيرانهم وحتى أقاربهم لأن كثيراً من من الأصدقاء والأقرباء لا يستطيعون أن يتعاطفوا مع مصاعب طفل متفوق، كما قد يصعب على بعض الكبار فهم اتجاهات وأعمال والدا الطفل المتفوق الذي قد يلجأ إلى إعطائه مسؤوليات وحرية تامة في التصرف في كثير من الحالات لأن لديه الثقة التامة بأن ابنه قادر على تحملها ولكن ذلك يكون أمراً غير مفهوم للغير فمثلاً تجد الأم أن تركها لابنها البالغ من العمر تسع سنوات وحيداً في المنزل أفضل من صحبة أحد المراهقين الذي يبلغ من العمر ١٣ أو ١٤ سنة و يكون مسؤولاً عنه في غياب أهله. وقد يعتبر البعض هذا إهمالاً من الأم لابنها.

وقلق الوالدين على الطفل المتفوق يختلف عن قلق غيرهما من الأهل وقد يعتبر هذا القلق بمثابة مبالغة في تصوير تصرفات هذا الطفل. وهذا من شأنه أن يولد التوتر بين العائلة والأصدقاء. لقد غضبت إحدى الجدات على زوجة ابنها عندما علمت أنها تسمح لطفلها البالغ من العمر عشر سنوات فقط السهر حتى الساعة الحادية عشرة ليلاً إذ يعتبر هذا العمل بالنسبة للجددة عملاً جنونياً لأنه يخالف الوضع التقليدي للأطفال في هذه السن. ولكن بالنسبة للأم التي تعلم أن الطفل المتفوق لا يحتاج نفس كمية النوم التي يحتاجها الطفل العادي هو أمر مسلم به لا مجال لمناقشته.

وبالرغم من أن ردة الفعل السلبية هذه تنتج عن غير ملحوظة إلا أن الغالبية يكونون انطباعاتهم وقلقهم ونصائحهم من خلال خبراتهم في الطفولة ومعلوماتهم العامة وملاحظاتهم مما يتوقعونه من الطفل العادي فحتى المربين نجدهم مقيدون بتوقعاتهم التي تعتمد أصلاً على ما هو سائد بالنسبة لأغلبية الأطفال. وكذلك المهنيون الآخرون ليس لديهم التفهم الكامل لنمو الطفل المتفوق وتأثير ذلك على العائلة نفسها وعلى الأصدقاء من حوله.

ومن هنا فاننا أولى من الناس جميعا بان نعتمد على انفسنا لنقرر المسار القويم لأطفالنا وقد نحتاج للابتعاد قليلا عن معتقداتنا التي نشأنا عليها وقد يساعدنا ذلك في انتقاء الصالح ، هذه التقاليد ولا بد لنا قبل ان نطبق هذه التقاليد على اطفالنا ان نرى مدى صلاحيتها وتأثيرها على الطفل المشفوق . اما مساعدة الغير في تنشئة الطفل ، فقد يكون لها اثر بسيط يجب الانعتد عليه . فسماع آراء الاخرين لا يضرنا بشيء اذا تمسكنا بقناعاتنا الشخصية وقد نحتاج ان نهتم انفسنا لسمودنا امام الرياح المتقلبة التي تواجهنا في حياتنا .

هل يتفاخر الالهل باطفالهم المتفوقين ام يخفون سرهم داخل العائلة .

ماذا يكون موقف الأهل عندما يكتشفون ان لديهم طفلا متفوقا؟ هل ينشرون النبأء الملاء او يخفونه في محيط ضيق من الاصدقاء المقربين او يجعلونه سرا تحفظ به العائلة لنفها ساخر من الناس المحيطين بهم . ان اغلب الالهل يحاولون اخفاء هذه الصفة وعدم الافصاح عنه ونتيجة لأحتكاك الالهل مع الغير فانهم يسعون الى التقليل من قدرات الطفل لكي لا تظ مواهبه امام الاخرين .

ان المشكلة هنا هي نظرة المجتمع الى كلمة متفوق او موهوب ففي بلاد كالولايات المتحدة فان تكافؤ الفرص هو الهداف القومي ، مجرد الشعور بأن شخصا ما قد حظي بمواهب طبيعية خاصة تجعل الناس يعترضون على هذا الشعور ويشتكون من ان هذا الشخص يرى ان ينتمى الى فئة معينة من الناس تختلف عنهم . ومن الصعب تجاهل قدرات الطفل المتفوق لأذ تختلف بطبيعتها عن غيره لذلك يحتاج الطفل الى معاملة خاصة تختلف عما نتوقه من الاطفال العاديين ولا يمكن لنا ان نتوقع نفس المستوى من الطفل العادي التصرف والا كنا غير عادلين .

والحقيقة ان الأخلاقيات تبلي علينا ان نعطي الفرصة للشخص العادي بان يصبح عادي حسب مقدراته وانجازاته . فالبرامج الخاصة بالاطفال الاستثنائيين ليست اكثر من غير من البرامج التي تخص الرياضيين المشهورين او المعوقين حيث تساعدهم على ابراز مواهبهم وتحسن انجازاتهم .

واذا كان التعامل مع المعوقين والذين لديهم مشاكل تعليمية او لديهم عائق جسماني او عقلي ، قد اصبح معترفا به على الصعيد العام وبعيدا عن السرية فانه قد آن الاوان لأولى أمور الاطفال المتفوقين بان يخرجوا اطفالهم من القوقعة التي فرضوها عليهم وان يتعاملوا معهم بحرية اكثر وتفتح اعظم .

وبما ان لفظة المتفوق قد تبعد هذا الطفل عن غيره وتقلل من تفاعله مع الآخرين فمن الممكن أن نخلع على الطفل اسما آخر او لانسميه باى اسم يبرز مواهبه او إمكاناته المرموقة. فقد يسمى الطفل المتفوق بالطفل المولع بالرياضيات او الذي لديه مقدرة عجيبة على التركيز او انه مولع باللعب بالالفاظ وكثير الاسئلة ولديه كثير من حب الاستطلاع واذا اخفقتنا في اخفاء مواهبه فقد نقع في بعض المواقف المحرجة وقد يصعب اخفاء مواهب الطفل المتفوق في اغلب الاحيان ولكن وصف الطفل بهذه الاوصاف البعيدة عن كلمة الموهبة قد تجعل الناس تقبل سلبيات شعور الناس نحوه والتكيف مع هذا الشعور.

ضغط الحياة اليومية على الوالدين .

ان الضغط المعيشي على الوالدين يجعلهما غير قادرين على التفرغ لأطفالهما الموهوبين وذلك لأن الام تقضي اغلب اوقاتها في اعمال منزلية روتينية لا بد من مزاولتها وكذلك الأب يشغل الكثير من وقته في القيام باصلاحات منزلية . من ناحية اخرى قد يصعب على الوالدين ان يبقيا على شعور التوازن في العائلة من خلال توازنهما النفسي اذا ما كان عليهما ان يقررا كل هذه المتطلبات . وان يوفرا طلبات اطفالهما الفضوليين الذين يطلبون من الاهل مشاركتهم في خواطرهم .

وهناك عدة طرق للحد من القيام بهذه الاعمال المنزلية التي تؤدي الى انهاك طاقة الوالدين وعدم اعطاء اولادها حقه من الاهتمام والتركيز فلا بد للأهل من أن يتلقوا بعض الدروس في كيفية تدبير الامور المنزلية بطريقة ماهرة وغير مستنفدة لكل وقتهم فهناك طرق عديدة لتفادي هذه المشكلة وبذلك يتوفر للوالدين الوقت الكافي والمفيد مع الاطفال الاستثنائيين لأن اعطاء الاطفال بعض الوقت هو محور العلاقة بينهم وبين الاهل ولا يتم هذا الا بحسن التدبير.

ماهي صورتك في العائلة؟

ان غاية الاهل ان يعطوا اطفالهم السعادة والسلام والكفاية وان يثروا حياتهم باعطائهم الاحساس بالثقة والقيمة . ولكن اذا نظرنا الى ما نقوله فان ذلك لا يعطي لأطفالنا الصورة التي نرغب في تقديمها لهم . وليس هناك والد او والدة يعتمد أن يجعل حياة طفله تعيسة في ذلك اليوم . او يعتمد ان يحقر و يصغر من شأن طفله طيلة النهار ولكن هذه الاشياء مع

الاسف تحدث في حياتنا عن غير رغبة منا وعن حسن نية. فاننا تحت تأثير الضغط نقول اشياء لانقصدها لأطفالنا و بطريقة غير لائقة لاتروق لنا ولكننا مازلنا نقولها لأننا نحن بشر نعيش تحت ضغوط لاتقل عن الضغوط التي يعيشها اطفالنا. فالضغوط الحياتية وعدم الاستقرار النفسي الذي يواجهه الاهل ينعكس على علاقتهم باطفالهم فنجد الوالدين غير قادرين على تحمل طلبات اطفالهما الكثيرة ومحاولة انكارها كلية. وقد يكون ذلك من سخرية القدر ان يقضي الوالدان كل حياتهما في مساعدة الاخرين في ايجاد الخيارات الصالحة لهم لتساعدهم على العيش السليم ولا يجدان المقدرة على تحقيق احتياجاتهما البشرية لأن مقدرة العطاء تنجم عما لدى الانسان من معطيات. واذا لم توجه هذه الطاقات الاتجاه القويم فان مقدرة الوالدين على العطاء ستكون قليلة. لا بد للأهل ان يقوموا بعمل ما هم راغبون في عمله لأجل انفسهم في بعض الاحيان ليستطيعوا ان يتعرفوا على متطلبات الاخرين.

من جهة أخرى فان الاطفال لا يطالبون الاهل بالرعاية والمشاركة الفعالة فقط بل يطالبونهم بان يكونوا المثل الاعلى لهم (في كيفية كون الانسان) من هنا كان حرص الطفل على أن يرى والديه قادرين على صيانة حقوقهما قدرتهما على صيانة حقوقه نفسها. فهذا هو سر التوازن بين الاهل والاطفال. فلا يمكن ان تعطي كل ما عندك للاخرين كما لا يمكن كذلك ان تبقي كل ما عندك لنفسك. لا بد للأهل ان يأخذوا حقهم في الحياة ليكونوا قادرين على اعطاء الاخرين الحق في الحياة المثمرة.

ماهي الأولويات عند الوالدين

ان كلا من الزوجين لديه طرق ووجهات نظر مختلفة عن الآخر في تربية الاطفال. فكل لديه اولويات واحلام وتوقعات ومتطلبات يريد تطبيقها على اطفاله.

وقد لا يحس الزوجان بالقيم والتقاليد التي ورثاها عن عائلتيهما لأنهما يتوقعان ان الزواج سيذيب كل هذه الاختلافات في عملية انصهار تجعلهما يتفقان على طريقة معينة في تربية اطفالهما تاركين وراءهما كل تقاليدهما المختلفة ولكن ذلك مستحيل فعلا. فالأم تعتقد ان طريقة تربيتها هي الافضل لأن ما طبقه عليها والدها يعد الطريقة المثلى بينما يعتقد الاب خلاف ذلك فطريقته هي المثلى وحتى يتكون لدى الزوجين مفهوم موحد عن التربية لا بد من خوض طريق الصح والخطأ فمن خلال التجارب والمناقشات التي لا يفهمها الاطفال في الشهور الاولى من اعمارهم يخوض الوالدان اول تجربة هما في الابوة.. وكآباء وأمهات علينا التحقق

من مشاعرنا الداخلية ان الخبرة الطويلة هي الطريق الوحيد لمعالجة هذه الامور واكتشاف الابوة الصحيحة وما هو دور كل من الوالدين الحقيقي في تربية هؤلاء الاطفال .

شعور الابوة هو الشعور الكلي للوالدين وليس للأم فقط

ان الطفل يتأثر كثيراً لوالديه ويستقي طباع وتصرفات من حوله، تماما كتعلمه للغة الام فمن المعترف به بأن عذوبة الام ودفئها وتأييدها للطفل تكسبه المزيد من الذكاء والأخلاقية وقد اثبتت الدراسات للوالد تأثيراً على تطور الطفل العقلي كذلك . من هنا فالتشجيع والدعم مقويان لدرجة الذكاء بينما الكبت يعوق تطور الطفل العقلي . فهذه المفاهيم تلقي الضوء على محاولة الوالدين اقتسام هذه المسؤولية في تربية الطفل وتنشئته وتقديم الأولويات والتوقعات المناسبة للطفل .

الوالد الواحد

ان معدل الطلاق في الولايات المتحدة يصل الى حوالي ٤٠% وعدد الامهات او الاء الذين يقومون بتربية الاطفال منفردين بالمسؤولية في ازدياد مستمر . فكيف يستطيع الرجل والمرأة بمفردهما تحمل اعباء تربية طفل متفوق؟

كيف يستطيع الاب او الأم استغلال هذا الموقف لكي يوفرا ايسر السبل للتعامل مع هذه المشكلة؟ مثل هذه الاسئلة يمكن تغطيتها بكتابة او قراءة العديد من الكتب ولكن المهم هنا هو ان الطلاق الذي ينجم عنه معيشة الأم او الأب منفصلين تتطلب جهداً اضافياً وتفهماً أكبر عندما يكون الموضوع بحق طفل متفوق . فاحتمال ظهور احساسيس الشعور بالخوف والقلق والاكتئاب النفسي لا بد منه بالنسبة للوالد او الطفل على السواء لذلك يكون قضاء الوقت الخاص مع الطفل باعطائه الكثير من المحبة والتفاهم مهماً جداً وقد يعوضان شعور الوحدة الناجم عن الانفصال بالتركيز على قدرات الطفل وقد يقوى هذا التركيز على قدرات الطفل العلاقة بين الطفل والوالدين ولكن لا بد من الحذر من استعمال هذا الطفل كبديل عن الطرف الاخر المنفصل . فالطفل لا يمكن ان يأخذ مكان الزوج او الزوجة المنفصلة عن زوجها لأن هذه المسؤوليات لا يمكن للطفل تحملها . وقد يكون الطفل المتفوق قادراً على تحمل موقف كهذا من الناحية العقلية وربما منطقياً ولكن لا بد لنا بان نتذكر بان عواطفه مازالت تنتمي الى طفل صغير .

العائلات القائمة على اكثر من زواج.

اذا كان الوالدان قد سبق لهما ان تزوجا من قبل فان صعوبة ايجاد طريقة معينة لتربية الأولاد تكون اكبر لأن كلا من الوالدين كان له عائلة وقد سار على منهج معين في تربية اولاده. فاذا كان هذا الوضع قائماً بالنسبة لعائلتك فلا بد من الصبر والتحمل. فقليلاً ما ينجح دمج طريقتين مختلفتين في الحياة في طريقة واحدة تكون صالحة لتربية الاطفال لأن اغلب الاهل يكبرون و يكونون علاقاتهم من خلال اطفالهم وهذا يتطلب سنين من التوافق في اساليب التربية وطريقة المعيشة التي يرغبان بتقديمها الى اطفالهما.

زواج الأب او زواج الأم

كيف تعامل زوجة الأب او زوج الأم الطفل المتفوق ان في اعتقادنا ان كل فرد عاقل مسئول عن تكوين علاقة مع هذا الطفل. ويجب ان تنشأ هذه العلاقة على اساس من الحساسية والتفهم والانفتاح، وقد يكون من المهم لزوجة الأب او لزوج الأم ان يعلم ان الطفل المتفوق يختلف كثيراً عن غيره من الاطفال العاديين. ولا بد له من تقبل هذه الاختلافات. فقد نجد من الطبيعي في علاقات العائلات التي لديها طفل من زواج سابق ان يساند الأب او الأم طفلهما الحقيقي في حالة اذا ما احتاج هذا الطفل لحماية منكرين حق الطفل في الوقوف على قدميه والمطالبة بحقوقه بنفسه وهما هنا يمثلان عائقاً في سبيل النمو الانتقالي السليم للطفل ومامن شك ان شعور هذين الوالدين بالتقصير والذنب تجاه هذا الطفل سببه انفصالهما.

يجب على الوالدين تحديد مواقفهما بدون تردد

قد يختلف الوالدين في وجهات النظر بالنسبة لوضع معين وقد لا يوافق الواحد منهما على طريقة معالجة الاخر لوضع من الاوضاع ولكن يجب ألا نجعل ذلك عائقاً امامنا يحول دون تحديد موقفنا لأننا دائماً مطالبون بتحديد المسؤولية والتقرير في الحال.

فاذا ما وضع احد الوالدين حدا لهذا الطفل فعلى الآخرون لا يحاول تغيير هذا الوضع، أو تحديه لأن الاطفال المتفوقين قادرين على ملاحظة هذه التحديات وقد يستعملونها لمصلحتهم.

فعل سبيل المثال اذا منعت الأم الطفل من تناول الطعام بعد موعده المحدد لأنه لم يكمل وجبته في وقتها فلا يجوز للوالد ان يعطي الفرصة للطفل بان يتناول الطعام واضعا الأم في موقف يقلل من شأن قراراتها والحدود التي تضعها للطفل . ولا يتم هذا التدخل من ناحية الأب الا اذا كان منع الطفل من الطعام قد يسبب له ضررا جسيما او نفسيا وقلما يكون ذلك صحيحا . فلتفادي هذا النوع من التدخل يجب على الوالدين ان يكون لديهما الحساسية الكافية في هذه المواقف التي تتطلب الكثير من الكياسة واللباقة في التصرف . فاشراك الاطفال في مثل هذه الحالات قد يكون مفيدا إلا إذا كانت الحالة تستدعي بعض التساؤل والمناقشة المنفردة فلا بد للأهل ان يحاولوا إيجاد الحدود الملائمة للوضع الملائم مراعين بذلك مصلحة الطفل . فاذا استدعى الامر وضع حد او قيد للطفل في حالة معينة فلا بد للوالد الحاضر في ذلك الحين ان يضع الحد ولا ينتظر حضور الاخر وتأجيل هذا القرار الى ما بعد لأن هذا التأجيل قد يفقد الموقف قوته وفعالته كذلك يفقد الطفل ثقته من حكم اهله على المواقف وبقدرتهم على مجابهة المشاكل . فقد يحس الطفل انه ضحية مؤامرة حيكت ضده بدلا من إظهاره كشخص يجب ان يتحمل نتيجة تصرفاته .

وقد يلجأ الوالدان الى حماية بعضهما البعض في مثل هذه الحالات التي قد تكون مدعاة للخجل والارتباك بالنسبة للطفل ولأحد الوالدين ، كما لو لجأ احد الطرفين الى عدم شغل الآخر بالمشاكل المتعلقة بالطفل حتى لا يدعوه للقلق والحرج وتحمل المسؤولية وحيدا . ولكن هذا المخرج قد يؤدي اما الى الشعور بان الطفل لا يستحق ان يشغل الطرف الاخر بمشاكله او يعني بان الوالد الاخر غير قادر على مجابهة مشاكل الطفل او معالجة الامور عامة بطريقة مقبولة . وفي كلا الحاليتين فان الثقة والاحترام قد تعرضا للخطر..

قوانين المنزل

ماهي افضل القوانين التي تطبق في المنزل؟ إلى جانب ما ذكرناه من أسس في هذا الكتاب في غيره من المصادر فانه لا توجد مجموعة معينة من القوانين التي لا بد من تطبيقها الا ان هناك العديد من العقائد والاذواق والخلفيات الثقافية التي تؤثر في خلق هذه القوانين . فلكل عائلة قوانينها وطرقها الخاصة حيث تعكس ثقافة الاهد وقيمهم وشخصياتهم والاطفال المتفوقون يتعلمون ويتأقلمون بسرعة مع هذه القوانين دون أية صعوبة . فهم على سبيل المثال يعلمون انهم لا يستطيعون استعمال بعض الالفاظ في حضرة الكبار في السن . وكذلك يعلمون

أنهم لا بد ان يرتبوا فراشهم اذا قاموا بزيارة احد الاقارب وهذا يجعلنا لانفكر في عدم مطابقتنا لقوانيننا لقوانين الغير لأن الطفل يتأقلم بسهولة القوانين المختلفة ولا بد من مراعاة الامانة والمسئولية واحترام النفس وهي صفات يقيمها الطفل المتفوق، عند سن قوانين المنزل لأن هذه القوانين ستكون الوجه الذي يساير قدرة الطفل على النمو الانفعالي السليم دون اعاقه.

ملخص

فيما يلي نلخص أهم ما يجب على الوالدين ان يقوموا به لتنشئة أطفالهما الموهوبين .

— كن رابط (هاديء) الجأش حيال الضوضاء والتهور وتذكر ان السلام قد يأتي من السكون وبقدر المستطاع ومن غير استسلام كن على علاقة طيبة بالجميع، قل الحقيقة بوضوح وهدوء واستمع الى الاخرين حتى الجاهل والغبي منهم فلكل واحد قصة يود روايتها.

— تجنب الشخص العدواني الصاحب لأنه مصدر اغاظة للنفس واذا حاولت مقارنة نفسك بالآخرين فهناك من هم افضل منك ومن هم أسوأ منك لذلك تتمتع بانجازاتك وكل ما تخططه لنفسك.

— حافظ على شغفك واهتمامك بعملك مهما كان متواضعا لأنه الملكية الحقيقية في معترك الحياة المتغير وتوخ الحذر من مشاريعك الجديدة لأن العالم مليء بالخداع، ولكن لا تجعل هذه الحقيقة تعمي نظرك عن وجود الفضيلة. فهناك العديد من الناس يسعى الى تحقيق الكمال والحياة مليئة بالبطولة في كل جوانبها.

— كن طبيعياً في شعورك ولا تفتعل المودة، ولا تجعل من المحبة صفة ساخرة وتحرر من الوهم ولا تتحد خبرات السنين وحاول التخلي عن معطيات الشباب. اعمل على تقوية عزيمة الروح لتكون واقياً لك من مصائب الزمن .

— لا تزج نفسك بالخيبات لأن الكثير من المخاوف يولدها شعور الارهاق والوحدة. كن رحيماً مع نفسك، انك طفل هذا الكون لست باقل من الاشجار او النجوم، ولك الحق بان تعيش في هذا الكون، واذا لم يكن واضحاً جلياً لك فان الكون بلا شك يفصح لك عن ذلك .

— كن على علاقة سلام مع الخالق كيفما تراه ومهما كانت طموحاتك واعمالك في خضم هذه الحياة الصاخبة. ابق على السلام مع نفسك وكن بشوشاً وجاهد لتكون سعيداً. ان الحياة مع كل مشقايها وحزنها واحلامها، ما تزال ارضاً جميلة. والاحلام التي يصعب تحقيقها ما تزال جميلة فلنسع لنكون سعداء امنا مع انفسنا لأن النفس هي جوهر هذا الوجود.

ان طلبات طفلي المتفوق كثيرة جدا حيث انني اشعر في بعض الاحيان بان ليس لدى المقدرة في اكثر من هذا العطاء. انني احس بانني مستهلكة لدرجة كبيرة فماذا افعل؟

من دواعي السرور أن يعلم الانسان مقدرته وحدود طاقته، لأن مسؤولية الانسان الاولى هي العناية بنفسه حتى يتمكن في النهاية من البذل من اجل رعاية اطفاله فلا بد من عقد مجلس عائلي تصف فيه الأم المستهلكة أو الأب المجهد شعوره ومطالبته ببعض التقدير من افراد العائلة الآخرين لما يقوم به من أجلهم. الأم مثلاً هي أهم شخص في حياة الطفل المتفوق، ولا بد من العلم بأن الامومة هي المجال الحقيقي للاستثمار في هذه الحياة. فاذا ما سثمرت بطريقة حكيمة فالنتيجة هي محصول عظيم. ولكن ذلك لا يعني بان تعاني الأم لدرجة الاستشهاد في سبيل أطفالها ومواجهة العذاب في سبيل سعادة الآخرين. فلا بد لها ان تجد من يساعدها في تحطى هذه الصعوبات من افراد كبار في العائلة ويجب الا يغيب عن فكرنا بان الأم هي دائماً في مركز القيادة داخل العائلة وليس الاطفال مهما كانت درجة موهبتهم.

انني اشعر احيانا بعدم المقدرة على ارشاد طفلي لعمل ما هو قادر على عمله فهذا يشعرنني بالحرج. فهل يعاني الآخرون من نفس هذه الحالة؟

نعم ان اغلب الاهل يعانون من ذلك لأن مسؤولية اللحاق بقدرات الطفل المتفوق مسؤولية عظيمة فالأم تقوم بدورها طيلة ساعات النهار بدون توقف. وهي تحاول ان تتعامل مع طفل له مزاج خاص وطاقه كبيرة ويحتاج الى نوم اقل بقليل من والديه. وعليها ان تعطي الاولوية للاشياء المهمة فالتعامل مع الطفل يتطلب الكثير من الصبر وصفاء البال. فركزي على ايجاد السبل لكي تتوصلي الى توازن داخلي مع النفس وتكوني في حالة من الصفاء العاطفي الذي يساعده على تنمية شعور الطفل بقيمته وامداده بالشجاعة الكامنة لكي يقف معتمدا على نفسه. فاذا تمكنت من اعطاء الاولويات لما هو هام في حياتك وحياة الطفل معا فكل ما تبقى يمكنه الانتظار.

ما مقدار التأييد الذي يجب على الاهل امداد الطفل به. هل من الممكن اذا ما تدخلوا في بعض الامور المدرسية والاقتراحات بشأن الاطفال الموهوبين أن يؤدي ذلك الى نشوء العداة بين الطفل والمدرس؟

اذا ما كانت صحة الطفل وراحته وامان نفسه في خطر فلا بد للاهل من التدخل. ويتسنى ذلك عن طريق وضع برنامج مطول ذي اهداف مستقبلية لمناقشة سلامة الطفل ووضعه المدرسي لان معظم المشغولين في المدارس ليس لديهم الخبرة الكافية ولا المقدرة على فهم الاطفال المتفوقين وعائلاتهم. فهم يحصلون على خبراتهم من خلال وجودهم في المدرسة وهذه الخبرات قلما تمس او تتعامل مع الاطفال البالغين الموهبة.

ان هؤلاء الاطفال يحتاجون الى المساعدة مساعدة الاهل بالدرجة الاولى فهؤلاء بامكانهم وضع برنامج لمناقشة المسؤولين من مدرسين ومدراء وموجهين واهصائيين نفسيين بغية اعداد برامج التوعية الخاصة بهم. وعند مناقشة مشكلة معينة تخص الطفل مع معلميه لا بد لنا من الاستماع لوجهة نظر المدرس عن الطفل واعطاء وجهة نظرنا. فسيكون الاجتماع الاول غالبا للتعرف على وجهات النظر المختلفة التي تساعد الطرفين في تعلم المزيد عن هذا الطفل. ولا بد لنا ان نتفهم شعور هذا المدرس ونبين له ما نحس به خصوصا من جهة مشاركته العاطفية لهؤلاء الاطفال وحاول ان تعلم من المدرس ما يريدك هو ان تسمعه منه. فاذا تم هذا التفاهم فان علاقة الاهل بالمدرسين تكون علاقة متينة تساعد الجانبين على تفهم الطفل واعطائه المزيد من الدعم والتأييد. فاذا لم تتم هذه العلاقة مع المدرس فرما يساعد في توصيل شعورك اليه بعض الاشخاص الاخرين الذين لديهم اهتمام بالموضوع. ومهما كانت طبيعة العلاقة بينك وبين هذا المدرس فلا يمكن له ان يحول شعوره السلبي نحوك الى حجرة عثر في طريق تقدم هذا الطفل.

اما اذا كان طفلك بالغ الموهبة فانك سوف تكون محاميا له طيلة حياته المدرسية وقد يستدعي الامر أن الوالدان حياتهما مجاهدين في سبيل هذا الطفل.

وكل ما سبق ذكره هو طريقة التعامل مع المربين في حالة وجود الطفل البالغ الموهبة وعلى الوالدين ان يتحليا بالصبر دائما وهما يتعاملان مع طفلهما المتفوق والا يسمحا لكائن من كان أن يشبهما عن عزمهما في تشجيع هذا الطفل.

هل يجب على الوالدين ان يخبرا طفلهما بانه موهوب؟

بطريقة او باخرى لابد من مواجهة هذا الموضوع. فان الطفل سوف يعرف في مراحل مبكرة من عمره انه يختلف عن الاخرين ولا بد لنا من توضيح الامور له. ولا داعي لاستعمال كلمة التفوق، بل يمكن ان نفهم الطفل بانه سريع السليقة او ذكي او لديه مقدرات مختلفة. فلا بد ان نؤكد للطفل بان التفوق ليس كل شيء. فالاطفال الاخرون لديهم العديد من الصفات التي تجعلهم بدورهم مختلفين. ولا بد من توضيح الحقيقة باننا جميعا نعتمد في حياتنا على بعضنا البعض ولا بد من تقدير كل شخص لاقبل صنعة يمتلكها.

هل يجب على الوالدين اخبار افراد العائلة كالعمات والخالات والاهل جميعا بان الطفل متفوق.

هذا يعتمد كثيرا على علاقتك بأفراد العائلة وعلاقتك بالطفل نفسه. فاذا كان الطفل موهوبا فذلك يخصك ويخص الطفل وربما المدرسة. فاذا تأكدت بان اخبار الاخرين لن يؤثر على مشاعر طفلك وانهم سيتصرفون نحوه بتعقل فلا ضرر من اخبارهم. وعلى الاهل ان لا يستعملوا هذه الميزة كمنبأ يذاع على الجميع. فنهاك العديد من الخطوات الحذرة والتي لابد من اتباعها حتى لا يستخدم الطفل هذه الميزة امام الناس لصالحه و يعمل على استغلالها.

هل لابد لنا من الحصول على اكبر قدر من التعليم والدأب على اثناء الطفل المتفوق؟

للإجابة على هذا السؤال أقول نعم، ولكن بقليل من الحذر. فالاطفال يمكن اثناء حياتهم بالتفهم والتشجيع ومشاركتهم في المجالات التي يميلون اليها دون ان نحاول فرض نشاط معين عليهم، ولا نحاول التركيز على الطفل كمحور لنشاطات العائلة فذلك يجعل الطفل يشعر بالضغط والمسؤولية التي قد يكرهاها. كما ان التركيز على هذا الطفل قد يكون مكلفا ماديا للعائلة فتتولد عن ذلك العديد من المشاعر السلبية كما أن التركيز على موهبة الطفل قد يولد لديه الضيق. فدعوا الطفل يعبر عن نفسه وساعده على ما هو غير قادر على اختياره لنفسه لأن ذلك سيعود عليه وعلى عائلته بالخير الكثير.

* * *

ان امكانيات الطفل الكامنة هي اكثر تعقيدا واثارة مما نعتقد جميعا .
يبدأ التعليم على ركبتين الأم، وكل كلمة تصل إلى سمع الطفل تكون
عاملا في تكوين شخصيته .

إذا قارنا انفسنا بما يجب ان نكون عليه نرى انفسنا نصف نيام لأننا نستعمل جزءا
بسيطا من مواردنا الجسمانية والعقلية .

ان التربية اهم بكثير من ان تترك في ايدي المعلمين فقط .

ان التعليم لا يعني تعليم الناس ما لا يعلمونه بل هو عمل متواصل وصعب ويجب أداءه
بطيبة ورفق بالتطلع والتحذير والدعم والتشجيع وفوق كل ذلك باعطاء القدوة الجيدة .

ان التعليم هو عملية اجتماعية «هو النمو» .
ليس الغرض من التربية التحضير للحياة بل هي الحياة نفسها .

الفصل الثالث عشر

رسالة مفتوحة الى المربين والاهل وآخرين من والدى طفل بالغ التفوق

في عام ١٩٧٨ علمنا رسميا انا وزوجي بان طفلنا بالغ التفوق، فقد اجريت عليه اختبارات قبل بلوغه سن السادسة. ومن ناحيتنا أجرينا الكثير من البحث عن التفوق والاطفال المتفوقين وقابلنا العديد من المختصين في هذا المجال. وأنا اكتب لكم هذه الرسالة، بعد ان بلغ طفلي عشر سنوات. كانت السنوات ما بين السادسة والعاشر مليئة بالحلو والمر وبالكوارث التعليمية وبالقليل من الصفاء في المنزل بين الحين والاخر. فقد كان من الصعب علينا الاعتراف بان طفلنا المتفوق يختلف عن الاطفال العاديين كما دلت على ذلك النتائج وفي احيان اخرى كانت هذه الفروقات واضحة جدا لا يمكن تجاهلها.

وبعد مرور وقت طويل اكتشفنا وتقبلنا بان الاطفال الذين ينتمون الى الفئة الموهوبة جدا لا يحصلون على الأهمية الكافية ولا الاحتياجات التعليمية التي يتطلبونها. وبرغم خمسين سنة من البحث والتنقيب الا ان وجود النظام التعليمي التقليدي لم يحقق الاجوبة التي يتطلع اليها المهتمون، لذلك نجد ان الاهل والمعلمين والاطفال انفسهم لا يزالون في عداد الرواد في هذا المضمار.

وفي الواقع نجد ان الاطفال الذين تبلغ نسبة ذكائهم ١٥٠ واكثر يسمون ببالغي الموهبة ومجموعة اخرى تزيد نسبة ذكائهم على ١٨٠ تسمى بذوى التفوق العميق ومن واقع تجربتي الخاصة وجدت ان لدي طفلين من هاتين المجموعتين احدهما طفلي والاخر طفل اعز صديقة لي. ولأن اطفالنا يختلفون اختلافا كبيرا عن الاطفال العاديين فان البرامج المعدة للأطفال المتفوقين لا تمت لهم بصلة اي لا تنفعهم لأن القليل من المربين او حتى الاهل قد تعاملوا مع اطفال بهذه الوهبة. واصعب مانلاقه هو كيفية محاولة تفهم الاخرين لبعض مانلاقه في تعاملنا مع اطفالنا فكما انه من الصعب ان نعرف كيف يتصرف الاطفال العاديين كذلك من الصعب تمييز مقدرة اطفالنا او كيفية تقدمهم. وربما تساعد هذه الرسالة في فتح مجال التعرف على الحياة مع الطفل البالغ الذكاء او الموهبة.

الخلفيات

عندما كان طفلي يبلغ من العمر خمس سنوات لم يراودنا الشك بانه اكثر ذكاء من كثيرين غيره ولم نكن قد تعاملنا مع كلمة التفوق بعد ولم تكن لهذه الكلمة في معجم كلماتنا وجود وهذا ينطبق على جميع اهل الاطفال المتفوقين لأن هذه التسمية عادة ما تفرض عليهم وليس لديهم الخيار في رفضها او قبولها.

ولو كنا نعلم عن قدرات طفلنا مبكرا لتحرينا الموضوع واكتشفناه في سن مبكرة لأن الأدلة تكون واضحة لمن يعرف كيف يشخصها ولكننا في ذلك الوقت لم يكن لدينا ولا لاحد من المحيطين بنا فكرة عن موضوع التفوق. ومع ان اطفالنا الثلاثة الكبار كانوا كلهم بالغي الذكاء الا ان احدا لم يهتم بهذا الموضوع في ذلك الوقت، وقد كان الاولاد جميعا مختلفين عن بعضهم البعض وقد اعتبرنا اختلاف الصغير عنهم امرا طبيعيا جدا كما أن اندماجه الكامل في العائلة جعلنا ننظر له كفر د آخر فيها.

والسبب الاخر والاعظم الذي منعنا من التعرف على تفوق (آرجي) هو ان ابن اعز صديقة لنا كان من الموهوبين المتميزين أيضا ونحن نعلم الآن ان جيسون وهو صديق (ارجي) قد تحدى اختبار ستانفورد بنية وحصل على معدل في الذكاء يبلغ ١٩٦. وقد نشأ جيسون وآرجي سويا منذ الطفولة الى سن الثالثة يقومان بنفس الاعمال وبنفس الوقت تقريبا مع ان جيسون كان يسبق طفلنا بحوالي ٦ اشهر فقد تناقشنا انا ووالدة جيسون عن مقدرة طفلينا وعن التباين الكبير بين ماتقره جيزل، وما يمكن لطفلينا انجازه فقد اكتشفنا أن ما تقررته مؤسسة جيزل للاطفال ليس الا الحد الأدنى لقدرات طفلينا اللذين كانا دائما أسبق مما تذكره هذه المؤسسة (وهي مؤسسة تعطي فكرة عن قدرات الطفل المتفوق في مختلف المراحل من عمره).

والكتب تقول بان الطفل يجب عليه تمييز الالوان ما بين سن الثالثة او الرابعة وكان طفلنا قد بدأ تمييز الالوان في سن ما قبل الثانية. وهنا تركنا قراءة الكتب كلية لأنها لاتنطبق على حالة هذين الطفلين.

واول مرة حاول فيها آرجي ان يكون اسرع سليقة مني كان في سن الثانية والنصف. فقد كنا في رحلة ليلية في القطار لزيارة والدي واكتشف آرجي ان هناك سبيل ماء في القطار وقد اعجب كثيرا بالشكل القمعي لكؤوس الشرب الورقية. فاخذ يروح ذهابا وايابا بين السبيل

ومكان جلوسه مندجاً بهذه اللعبة حتى حان موعد النوم فالبسته ثياب النوم ولكنه طلب مني كأساً آخر من الماء فقررت الرفض مع ان موجة من الصراخ والاصرار من ناحيته قد اخرجتني امام الركاب فأخبراتهم بانني والدته ولأثني عاقلة كبيرة فلا يمكن ان اترجع عن موقفي . وبما انه طفل صغير فلا بد له بان ينصاع لوالدته و يعلم بانه لن يربح المعركة، فالأفضل له ان يستسلم وان ينسى الامر . وفعلاً فعل ذلك ولكنه قبل النوم وكالعادة كان يجب على أرجي ان يأخذ حبة دواء يلتهما كل ليلة مع كأس من الماء .

المدرسة

ان المشاكل الاساسية لا تبدأ مع الطفل المتفوق الا بعد دخوله المدرسة . وهذا ما حدث في حالة أرجي وجيسون اذ لم يصفوا الا بعد دخولهما المدرسة . ففي المنزل وفي بعض مدارس الحضانة الجيدة هناك المرونة الكافية لكي يتصرف الطفل على هواه ويكون نفسه من غير اى اعتبار لكونه يختلف عن الطبيعي . وعندما يذهب الى المدرسة حيث يبدأ الصدام فان احساسه يكون متقلباً .

ولأن المدرسة تضع العراقيل في سبيل التعليم للمرة الاولى في حياة الطفل فقد تختلف ردة الفعل من طفل لآخر فردود الفعل السلبية تكون اما بمحاولة الطفل ارضاء الاخرين والتقيد بالنظام المطلوب او يقوم البعض الاخر بالانطواء او الثورة التي تسبب الفوضى . وقد يحاول البعض كلاً من الاسلوبين على حدة مما يؤثر في شخصية ومواقف وطرق تعلم هؤلاء الاطفال ومقدراتهم . بدأ أرجي الذهاب الى مدرسة الحضانة خمسة ايام في الاسبوع عندما كان يبلغ من العمر سنتين ونصف فقط . حصل على ثلاث سنوات من التعليم في نظام تعليمي يسمى «المنتسوري» وهو نظام تعليمي يشمل الاطفال ما بين سن الثانية والنصف الى سن الخامسة والنصف . من خلال هذا النظام يتيسر للطفل ان يعبر عن نفسه و يظهر هواياته و يتمكن من القيام بها من خلال نظام تعليمي مركز ولكن يأخذ بعين الاعتبار في المرتبة الاولى استعداد هذا الطفل واستيعابه ومقدرته على التأقلم .

لم يستطع أرجي ان يفهم سبب عدم اعطائه اى فرصة للقراءة في هذه المدرسة وان اللعب هو الشيء الوحيد الذي يقوم به وعندما كلمت مدرسته في موضوع القراءة ابدت المدرسة

تفههما وتقديرا للموقف لانه كان صبورا جدا وكان معظم الاطفال معه وعددهم ٢٨ طفلا يعرفون الحروف والارقام وليس لديهم القدرة على القراءة ولم تستطع المدرسة ومساعدتها عمل اي شيء لآرجي . ولكن عندما جان الوقت المناسب وضع آرجي مع مجموعة مختلفة تستطيع القراءة الا ان ذلك لم يكن كافيا لتحدى قدراته وبالرغم من ذلك كان مبتهجا في المدرسا وخصوصا في وقت الفراغ ووقت الغذاء وحصة الفن والموسيقى ولم يشتك كثيرا ولأول مره اصبحت المدرسة بالنسبة له المكان الذي يجب عليه ان يعاني منه بدلا من ان تكون البيئه التي يكون بها حرا في الاستكشاف والتعلم بسرعه الخاصة .

وبما انه كان قادرا على التحمل لم نشعر بعظم المشكله الا بعد اشتراكي في دراسة شعريه في مدرسته تتعلق بتلاميذ الصف الثالث والرابع والخامس الابتدائي ففي الحال اكتشفت ان هناك شيئا غريبا في الموضوع لان الاطفال الذين تعاملت معهم لم اقابل مثلهم في حياتي . فإما ان تكون المدرسه سيئه لدرجة ان هؤلاء الاطفال لا يعرفون اكثر من اطفال الروضة او ان آرجي لم يكن طفل روضة عاديا فقد كان تعليم هؤلاء الاطفال يتسدي ان أتوقف مرارا لشرح الكلمات التي كنت استعلمها مع آرجي بدون اي عناء او تعب وكان يفهمها بسهولة . لقد كان آرجي يتعلم أي شيء فحي حين كانوا يتعلمون كتابة الرقعة كان هو ينقل الكلمات كما هي اي يستعمل النسخ في كتابته . ومن هنا بدأنا رحلة الاستكشاف .

وبدأت القراءة قليلا عن الاطفال المتفوقين وبدأت اشك في احتمال كون ولدنا طفلا استثنائيا .. ثم رحنا ندون ملاحظتنا لنبين طريقة تفكيره وطريقة تعلمه واحدى الملاحظات هي عندما كان مريضا وسألني عم مقدار حاصل $١٨ \times ٤٥ =$ فأعطيته الجواب وبعدها سألته عن السبب علماً بأنه لا يعرف الارقام من واحد الى عشرة . فاجابني بأنه رأى كثيرا من الثقوب في حوض السمك الذي صعب عليه عده ، فجمع الثقوب في خط افقي وعدد الثقوب في خط عمودي يقاطعه ولكن الاعداد كانت اكبر من ان يستطيع ضربها . والى هذا اليوم لم اعرف كيف توصل بنفسه الى عملية الضرب دون ان يعلمه أحد .

كل هذه الامثله كبرت لتكون حقيقة واقعة ، فقررنا ان نأخذ هذه الادلة الى اناس مختصين لمعرفة ما اذا كان آرجي فعلا بالغ الموهبة وبذلك نواجه نفس المشكله التي يواجهها جميع اهالي الاطفال الاستثنائيين عندما يتجهون للجهات المختصة فيقابلون بنفس الاعراض المزمع والانكار الاكيد فحتى ذهابنا الى هؤلاء المختصين كان الى حد ما مخيفا علاوة على كونه محرجا فما هي العواقب التي قد تنتج اذا كنا مخطئين في تقييم طفلنا؟ ماذا لو اننا كنا نعظم من شأن

طفلنا لأننا والدان شغوفان باطفالنا؟ وما كنا نخشاه حصل فعلاً فقد قابلنا المسؤولين بكثير من الاسئلة واتهمونا بعدم وضوح الرؤيا. فقد تكون انجازات طفلنا الى حد ما غير عادية ولكن قد يكون مصدرها الحقيقي هو دفعنا له بسرعة في المدرسة وقد تكون متطلباتنا منه اكثر من اللازم. وباختصار اعطانا المختصون الاحساس باننا محظوظون لأن كثرة ضغطنا على طفلنا لم تفقده المقدرة على البقاء طفلاً طبيعياً. والاعظم من ذلك فقد اخبرنا المختصون ان أرجي يمكن للمدرسة ان تشكله تشكيلاً صحيحاً لأن هناك العديد من امثاله فيها يتقدمون بطريقة ممتازة.

ولكن مدرسة آي لم توافق على هذه التقارير فعلاوة على اننا لم ندفع بابننا الى المدرسة من غير ان يكون مستعداً لذلك فقد اعتقدت المدرسة ان الشخص الكبير يحتاج ان يعمل بجهد حتى يستطيع اللحاق به وانها لم تقابل في حياتها العلمية طفلاً بذكائه. وحذرتنا المدرسة من أننا سنلاقي الصعوبات الكثيرة لمحاولة ايجاد التعليم الملائم له وستكون علاقتنا مع هذه المدارس صعبة.

وقد نصحتنا هذه المدرسة ان نختبر ابننا بطريقة علمية حتى ندخل المعركة مسلحين بارقام وحقائق ثابتة لا يمكن للمسؤولين أن ينكروها وهنا وصلنا الى الخطوة الثانية من تجربتنا مع أرجي وهي محاولة ترتيب مقابلة مع احد الأخصائيين النفسيين لكي يجتبر ذكاءه.

الاختبار

انني لن انسى الشعور الذي خالطني منذ اول مرة رجعنا فيها بعد اختبار طفلنا فقد كنت متخوفة بادية الامر من وضع الطفل في هذا الموقف، ماذا لو أخبرتنا الاخصائية النفسية بأن ولدنا هو ولد ذكي عادي لا اكثر ولا اقل!

وهذه الاحساسات التي تخالج اهل الاطفال المتفوقين عندما يقومون بهذه الاختبارات لا يفهمها الاخرون. وقد احسنا في اعماقنا بان النوايا هم جماعة تعوزهم القدرة على الانسجام مع بيئتها وان الجميع قد يكونون على احسن حال اذا كانوا متوسطي الذكاء. فحقيقة سعادة أرجي قد لا تدل على انه طفل متفوق او انه سرعان ما سيفقد هذه السعادة ويصبح غريب الاطوار.

فقد كنا نود ان نشبت انه متفوق من ناحية ومن ناحية اخرى كنا نخاف من هذه الحقيقة ونتمنى ان يكون طبيعياً. وقد بدأنا نحس بان غرورنا له صلة بالموضوع. فاذا ما اثبتت

الاختبارات بان طفلنا غير موهوب فقد يكون في ذلك خيبة امل لنا وقد نجعله يحس بانه قد خذلنا ولم يحقق لنا ما كنا نتمناه.

ومن الجهة الثانية اذا اثبتت الاختبارات ان طفلنا متفوق فهل يكون ذلك بداية لدفعة والضغط عليه بطرق قد تكون مدمرة كل هذه المخاطر وادتنا كثيرا عندما قررنا ان نقوم باول اختبار من مجموعة اختبارات ستجرى لطفلنا.

والأهم من ذلك هو حقيقة استعدادنا للتعامل مع طفل متفوق لا سبيل الى الكشف عن هذه الحقيقة الا عند تجربتها ومعرفة هل ان النمو العقلي المبكر هو شيء جيد على اى حال . ان الاجابة على ذلك لا تعني اى شيء بالنسبة الى أرجي لأن ذلك لن يغير من واقع الحال ، ولكننا نحاول ان نجد الطرق السليمة للتعامل معه والتعرف على مقدراته لمساعدته ومساعدة انفسنا على مواجهة الحقائق

ومنذ ذلك الوقت بدأنا بالتحدث الى العديد من اهل الاطفال المتفوقين وكلهم يتحدثون عن تضارب مشاعرهم بشأن موضوع الاختبار هذا . وبالإضافة الى كل هذه الاسئلة فان اغلبنا تكلم باسهاب عن الاهتمام بثقافة هؤلاء الاطفال وتعليمهم . وقد نعرض انفسنا بعملنا لكثير من الاحراج اذا كانت نتيجة الاختبارات هذه سلبية لا تدل على اى شيء ولكننا نكون قد حققنا غاية حقيقية هي اهتمامنا بهؤلاء الاطفال .

اما اللحظة الاخرى التي لن انساها في حياتي فهي عندما اخبرتني الاختصاصية النفسية التي اجرت الاختبارات على أرجي بانها لم تقابل في حياتها العلمية طفلا بمثل موهبته . ان تلك اللحظة كانت لحظة هلع بالنسبة لي ولوالده عندما تأكد بان طفلنا ينتمي الى مجموعة خاصة تسمى «بالعابرة».

ومع اننا كنا مسرورين بهذه الحقيقة عن طفلنا بعدما لاقيناه من المعلمين في المدرسة من صد وتوبيخ في بداية الرحلة الا اننا كنا خائفين مما سنواجه من صعوبات في سبيل تعليم هذا الطفل ومما سيواجهه هو من صعوبات في ايجاد اختباره بطريقة علمية ، وقد تم عرضه على اختصاصي نفسي تابع للمدرسة التي يتعلم فيها . وقد أخبرنا ذلك الاختصاصي بان درجة ذكاء جيسون تقدر بـ ١٥٠ - وهذا يجعله اقل قدرة من أرجي وهذا غير ممكن فهم لم يشرحوا لأهل جيسون بان الاختبار الذي اجرى على جيسون كان حده الاقصى درجة ذكاء ١٥٠ فقط . ولم يقترح احد وجوب عمل اختبارات أخرى اكثر دقة . وعندما اخترنا انا ووالدته سرعته في

القراءة وجدناه يقرأ ٨٠٠ كلمة في الدقيقة مع تفهم كامل لكل ما يقرأه وهو في سن السادسة وجعلنا ذلك نشك في ان اختبار جيسون لم يعطى الوقائع الحقيقية وان هناك شيئاً يستدعى اعادة هذا الاختبار. فمن خلال قراءتي لحالات مشابهة وجدت ان الاطفال الذين لديهم نسبة ذكاء اعلى من ١٨٠ هم الذين يعلمون انفسهم كيف يقرأون بسرعة كبيرة وهذا الاكتشاف جعلنا نعتقد بان جيسون قد ينتمي لهذه المجموعة.

وبالرغم من ذلك لم يحدد لنا هذا الاكتشاف الحقيقة ولم نعلم مدى اختلاف هذين الطفلين المتفوقين عن غيرهما من الاطفال في نفس سنهما، فكلما الطفلين كان يتوقع منهما التأقلم في المدرسة مع قليل من المساعدة والدعم من والديهما.

البحث والتنقيب

في مجال البحث عن مدرسة ملائمة لتعليم أرجي وتحمل هذه المسؤولية بدأت انا شخصياً بوضع دراسة في مجال تعليم الاطفال المتفوقين التي ما تزال جزءاً من حياتي الى يومنا هذا. وقد كنت اظن في ذلك الوقت ان كل ما علي عمله هو القراءة الشاملة لكل نواحي الموضوع ومن خلال ذلك سأجد جميع الاجوبة لكل التساؤلات. ولكن بعد شهور من القراءة وصلت للحقيقة المؤلمة وهي أن الاجوبة التي كنت اتوق لها ليست ف حيز الوجود وان وجدت فانما هي كثيرة ومتضاربة. فقبل اكثر من خمسين عاما كتب لنا هولنجورت ان الاطفال المتمتعين بنسبة ذكاء فوق ١٥٠ يستطيعون تعلم المنهج الابتدائي كله بربع الوقت الذي يقضيه الطفل العادي في تعلمه. أما الاطفال الذين يتمتعون بنسبة ذكاء فوق ١٨٠ فانهم يتعلمون في وقت قصير جداً. فاذا كانت نسبة الطفل ١٥٠ يضيع ثلاثة ارباع وقته لتعلم منهج الدراسة الابتدائية بينما الطفل الذي لديه نسبة ذكاء تزيد على ١٨٠ يضيع كل وقته في تعلم ذلك المنهج.

ولكن هل وضعت اقتراحات عن كيفية تفادي هذا الضياع ومن الذي سيرشدنا لكي نساعد اطفالنا على تحمل نظام يأخذ من وقتهم ست ساعات في اليوم لا يستفيدون منه الاجزاء قليلاً والباقي يذهب هباء. وقد تكون استفادتهم من عطلة يوم او عطلة صيف اكثر بكثير من استفادتهم في الفصل الدراسي الكامل. فكيف نشرح ونوضح لهؤلاء الاطفال هذه المضیعة للوقت والجهد؟

من الصعب على الاهل ان لا يعتبروا المدرسة مسؤولة عن تعليم ابنائهم المتفوقين كذلك يرى المدرسون صعوبة في ان يروا وجهة نظر الوالدين عن طريقة تعليم هؤلاء الصغار. ان أناساً غير الاهل لن يصدقوا ما لدى هؤلاء الاطفال من امكانيات حتى لو رأواها باعينهم لأنهم سيعتبرون ذلك جزءاً من المبالغة، وكما علق احدهم على هؤلاء الاطفال بانهم وكانهم لا يحتاجون تعلم اى شيء ولكن يحتاجون فقط ان نذكرهم بأسباب المعرفة.

وقد أثبتت البحوث والتجارب اليومية ان الأطفال المتفوقين لا يمكنهم ان يتفاعلوا مع نظام التدريس الموجود لدينا حالياً والحلبة مفتوحة للمواجهات السلبية بين المدرسين والاهل. فقصة الصبي اديسون الذي قرر معلموه انه غير صالح للمدرسة هي قصة حقيقية لأن الطفل البالغ الذكاء يتعلم بطرق مختلفة تماما عن الطرق التي ترسمها المدرسة للطفل العادي. كما أن معظم البرامج التعليمية التقليدية تقدم المعلومات خطوة تلو الاخرى وتتجه الى التفصيل خطوة خطوة على التوالي حتى تصل للصورة الكاملة في النهاية ليتمكن الطفل من استيعابها. ولكن الطفل البالغ الذكاء، يأخذ خطوة كبرى ليرى الصورة الشاملة من غير ان يعطي التفاصيل اى اهمية وغالبا ما يجد هذه التفاصيل صعبة مملة وغيرها هادفة لذلك لا يعيرها اى اهمية.

فوضع الطفل البالغ الذكاء في فصل عادي يضع امامنا صورة مماثلة جدا لوضع عداء من الدرجة الاولى على خط البداية لسباق كل خطوة فيه قد صيغت وقسمت بعناية فائقة. فعندما يحاول هذا العداء ان يركض بهذه الطريقة لاشك انه سيقع و يتخطط و يفقد توازنه الطبيعي. ولكنه اذا تجاهل هذه التعليمات واطلق لنفسه العنان سيفشل لأنه لم يفعل ما هو مفروض عليه. وهكذا فان تقييمه بالطريقة التقليدية يظهره كطفل فاشل لأنه لم يحقق ما يريد معلموه من خطوات مرسومة له. لكنه قد حقق هدفه الخاص بعفريته في هذا الحقل.

ويجب على الاهل في هذه الحالة مواجهة المعلمين الذين دأبوا على الحد من امكانيات الاطفال المتفوقين ودفعهم لوضع ارجلهم في المواقع المحددة لهم. ولهذا نواجه اعتقاد هؤلاء المعلمين بان اطفالنا ليسوا بدرجة الذكاء التي نظنها نحن وقد يلجأون الى القول بان هناك عددا كبيرا من الاطفال في نفس فصل الطفل وهم اكثر منهم ذكاء ولكنهم ليسوا منطوين او صعبى المراس كهؤلاء الاطفال المتفوقين واغلب هؤلاء المعلمين لا يعرفون الفرق بين القدرة العقلية الخارقة والذكاء الاكاديمي الذي نتعرف عليه من خلال النظام الدراسي. وقد يساعدنا في فهم هذه المشكلة انه كما اعتبر اسحق اينشتاين غبيا بطيء التعلم في بداية حياته الدراسية اعتبر اديسون غير ملائم للمدرسة وبيكاسو غريب الاطوار.

وقد تحدث المواجهة بين الوالدين والمدرسة لأن الوالدين هما ادرى بتجربة المدرسة وما قد تسببه من مشاكل نفسية خطيرة لأطفالهما فهما يعرفان الطفل قبل دخوله للمدرسة وينظران الى اختلاف شخصيته التي تأثرت بالصعوبات التي تواجهه رغبته في التعلم وما يواجهه من ضغوطات لاعتناق الطرق التي لا تناسبه. وقد يأخذ الاهل وقتنا طويلا في اكتشاف تلك الصعوبات لأنهم بدورهم يحاولون ان يجدوا تحليلات اخرى لمشاكل اطفالهم ولا يريدون ان يضعوا اللوم بالدرجة الاولى على المدرسة لأنهم يعلمون علم اليقين بان الفرص معدومة لتغيير النظام المدرسي الحالي.

آرجي والمدارس الخاصة

بناء على نصيحة الاخصائي النفسي لطفلنا وبعد زيارة العديد من المدارس الخاصة، وجدنا المدرسة المناسبة. فقد اخترنا مدرسة لديها برنامج تعليم للأطفال الموهوبين تتخلله بعض المرونة بدأ آرجي الصف الاول الابتدائي في هذه المدرسة وقد قررنا ان نعطي زمام الامور كلية للمدرسة وان نخرج من الصورة تاركين المسؤولية لهذه المدرسة الباهظة التكاليف. اما السبب في هذا الموقف فهو انه لم يكن لدينا فكرة عن تعليم طفل في الصف الاول الابتدائي كما أننا حاولنا ان لا تكون علاقتنا مع الاخرين علاقة عداة ونفور (ولم اكن اعرف انذاك ان هذا الدور لا بد لي ان اتحمله واتعامل معه. فقد قلنا كل اختبارات آرجي العقلية وشرحنا للمدرسة طرق تعليم آرجي وعاداته وكل ما يخص شخصيته. وما أن حان الوقت الاول لاجتماع الآباء حتى اصبح آرجي يتصنع المرض في الصباح لكي يتفادى الذهاب للمدرسة لأنه قد اضع سنة كاملة في الروضة على نفس المنوال وهو الان غير قادر على تضييع اكثر من ذلك فقد نفذ صبره اخيرا.

وبمساعدة احد الاخصائيين النفسيين احداثا بعض التغيير فب برنامج تعليمه. فاعطيناه كتب قراءة للصف الخامس الابتدائي وكتباً ومقررات تابعة للصف الرابع الابتدائي لكي يستعمل بعض مقدراته وقد نجحت الفكرة الى حد ما. ولكنني لو كنت اعلم في ذلك الوقت ما عمله الان لأدركت اننا لم نوفر له الجو المناسب في هذه المدرسة. فعندما جاء الربيع بدأ آرجي يتغير نفسيا فما عاد ذلك الطفل السعيد القنوع الدافئ المحب بل اصبح شديد الصراخ صعب المراس كثير المناقشات الحادة. لقد اصبحت علاقاتنا في المنزل معه اكثر صعوبة حتى توصل بيننا الامر الى النزاع والمشاجرة المستمرة، في بداية الامر وجهنا اللوم لأنفسنا وحاولنا معرفة ما اذا كنا نقوم بالعمل الصحيح بالنسبة له أم لا. وبعدها حاولنا ان نقنع انفسنا بان هذه من علامات التغيير في الشخصية نتيجة نمو الطفل من مرحلة الى اخرى. لقد بحثنا عن كل

الاحتمالات وناقشنا كل مشاكل النمو عند الطفل ولكننا لم ندرك في ذلك الوقت ان المدرسة هي اساس مشكلة أرجي وهي التي جعلت الطفل يتغير من حال الى حال .

ولحسن الحظ ومع اننا لم نركز على المدرسة كعامل اساسي في مشكلة أرجي الا اننا لاحظنا بأنه يواجه صعوبة في التعامل مع الاطفال في مثل سنه . ومع انه كان يستجيب لزملاء فصله في اللعب معهم في العاب يقترحونها هم الا انهم لم يحاولوا ابداء اى استجابة عندما يدعوهم هو ليلعبوا لعبة يختارها بنفسه . فقد كان يواجه صعوبة في وضع نفسه بين هؤلاء الاصدقاء وصعوبة في معرفة ما يجب عليه ان يكون . فلم يكن قادرا على معرفة ما يريده الناس منه ولا معرفة ما يبغيه هو من نفسه فقد بدأ بتقليد تصرفات بعض اصدقائه المتهوره محاولة منه في الانتماء لهم . كان يتعجب عندما يقابل الكبار تصرفاته بالرفض لأنهم يتوقعون منه تصرفات اكثر رزانة وانضباطاً ولهذا الاسباب نقلنا أرجي من الوحدة الاولى وهي تضم الصف الاول والثاني الابتدائي الى الوحدة الثانية والتي تضم الثالث والرابع الابتدائي ، لأن اطفال الوحدة الثانية كانوا يعاملون بنوع من الجدية والمسئولية التي قد تساعد أرجي في اظهار بعض مقدراته وعدم معاملته كطفل صغير طالما كان يكره ذلك حتى عندما كان طفلاً .

ومع نهاية السنة الدراسية حصلت المعجزة وكأننا قد القينا بكلمة السحر . فقد رجع أرجي كما كنا نعرفه طفلاً مرحاً محباً عطوفاً دافئاً وزهبت كل المشاحنات والمشاكسات التي كانت تصاحبنا خلال العام الدراسي الماضي . وفي ذلك الحين تأكدنا ان المتهم الرئيسي والمسئول عن تعاسة أرجي هو المدرسة من الناحية التعليمية والاجتماعية او بالاحرى من جميع النواحي . فالاحساس بحرية اختيار الاصدقاء والاقربان شيء مهم وقد استطاع أرجي الاختلاط بجميع الانواع من الاطفال في سنه او اصغرا او اكبر منه والاكثر من ذلك فقد كان يجد سعادة بالغة في صحبة الكبار كما كان عهده من قبل . وهذا شأن جميع الاطفال المتفوقين الذين يركزون على المقدرة العقلية في اختيار اصدقائهم وليس على سن الصديق الذي يتعاملون معه . من ناحية أخرى كانت علاقة أرجي وجيسون ما زالت صداقة متينة تتراوح في مضمونها بين علاقة اطفال السابعة الى علاقة مراهقي الثانية عشرة .

ولأن وضع جيسون يختلف عن وضع أرجي ، فقد اتاحت له مدرسته الفرصة اذا ما انهى عمله في الفصل ان يتجه الى القراءة وقد كانت علاقته باصدقاء فصله محددة ، لأنه تحاشي هذه العلاقة قدر الامكان . ولكن احدنا لم يدرك بان السماح لجيسون بالقراءة كلما كان لديه متسع من الوقت قد اعطاه فعلاً الراحة النفسية وجعله يستغل وقت فراغه الا انه لم يخطر على بال

احدنا بان هذا الطريق قد شجعه على الانطواء لأن عالم الكتب هو عالم مثالي لا ينطبق على الواقع الانساني . اما مدرستنا فقد وقفت في وجه اقتراحنا لوضع أرجي في الصف الثالث متوقمه نتائج غير طيبة لذلك . في ذلك الوقت من حياتنا بدأنا نحس باننا بعد المواجهات العديدة مع المدرسين والمدارس فاننا لا بد ان نصر على موقفنا لأن ثقتنا بمقدرة طفلنا لا يمكن ان يززعها اى كان محتملين بذلك كل المسئولية وبعد قضاء اسبوعين في مجموعة الصفين الثالث والرابع الابتدائي، اشترك أرجي مع مجموعة من الاطفال المتفوقين في الصف الرابع الابتدائي في برامج قراءة ورسم وانهى السنة الرابعة بنجاح وسهولة .

ولكن اكثر شيء سبب صعوبة له هو مقدار الواجبات المنزلية التي كان يواجهها طلاب الصف الرابع الابتدائي . فهو لا يجب ان يقوم بواجباته المنزلية بعد قضاء ٦ ساعات في المدرسة وكان خطه رديئا جدا لأنه قد تعلم الكتابة منذ عهد حديث ولم يكن بنفس جودة خط اقرانه الطلاب . ومع انه تعلم الطباعة الا انه لم يكن قادرا على طباعة كل شيء بالاضافة الى طبيعته الحاملة وغير المنظمة في الحياة وكانت علاقاته الاجتماعية ناجحة جدا فعلاقته بطلاب السنة الرابعة الابتدائية افضل بكثير من علاقته باطفال في نفس سنه، وقد يكون اهم عامل في نجاحه وسعادته في هذا العام يعزى لمدرستين كانا يودان مساعدته وبيدلان قصارى جهدهما لكي يكون النجاح حليفه في محاولة فهم طريقة تعلمه ومساعدته بكل الطرق الممكنة .

وعندما انتقل جيسون الى السنة الثانية الابتدائية في المدرسه العامة التقى بمدرسة كانت سبب تعاسته . فعلاوة عن عدم سماحها له بالقراءة اذا انتهى من عمله في الفصل كانت تحاول دفعه للاتماج مع الاطفال الاخرين في فصله . وبعد شهرين فقطمن هذا الاسلوب كان جيسون قد وصل الى مرحلة من الارتباك وعدم الرضا مما جعل انكماشه شيئا واضحا . فهو يرفض الحديث مع اى شخص كان طفلا او بالغا من اللحظة التي يدخل بها باب المدرسة الى اللحظة التي يرجع بها الى المنزل . وفي المنزل يظهر غضبه الشديد على والديه لأنهما اجبراه على الذهاب الى الجحيم خمسة ايام بالاسبوع . في تلك الاثناء بحث الوالدان عن طبيب نفسي ليختبر جيسون . وفي هذه المرة استعملت طريقة ستانفورد بينيت التي تعتبر من أشهر الطرق في الكشف عن الاطفال الاستثنائيين . بدأ الطبيب عمله في محاولة التوصل الى داخل جيسون لأخراجه من عزلته وكآبته ويمكننا القول ان زيارتين لعياده هذا الطبيب اسبوعيا جعلت جيسون يكمل الصف الثاني الابتدائي ويتحول الى شخص آخر لم يتأثر بتاتا بتلك التجربة التي خاضها مع مدرسته .

اما سنة أرجي الثانية مع المجموعة المتقدمة عنه فكانت اكثر صعوبة من الاولى . فهو في الثامنة من العمر ويختلط بطلاب ما بين السنة الخامسة والسادسة الابتدائية . وقد زادت مشكلته لكونه مع اصدقاء بعرفهم ولكنه الآن يواجه مدرسين جددا لم يحاولوا ان يدعموه و يشجعوه بل كانوا دائبين على التقليل من شأنه وتذكير الاخرين دوما وأبدا بأنه يقل عنهم سنا وحجما .

وهذا بدوره أدى الى الكثير من المشاكسات من جانب طلاب الصف السادس الابتدائي . فقد علقت مدرسته على شهادته في اخر العام بالرغم من درجاته الجيدة بأنه دائم الفوضى وقليل النضج وان طريقته في الدراسة كانت طريقة رديئة سيئة، وكالسنة التي قبلها كانت الواجبات المنزلية عائقاً كبيراً في تقدمه وسببت الكثير من المشاكل في المنزل ولان قانون المدرسة يضع حداً أدنى للواجبات المنزلية كسياسة للمدرسة فقد كان لابد من التقييد بها . ولكن أرجي كان يعتقد بان هذه الواجبات لاغرض لها سوى تضييع الوقت الذي يمكن له ان يقضيه في انجاز ما هو اهم بالنسبة له وجاءت نهاية العام الدراسي كسابقها وقابلها الطفل بالسعادة والغبطة لأنها نهاية مؤقتة لمشاكله .

اما سنة جيسون الثانية بعد ان انتقل الى مدرسة خاصة فإنها كانت افضل من الاولى لأن المدرسة وعدت بان تمهد الجو الذي سيشجعه و يدعمه . وقد وجد في هذه المدرسة طفلاً اخر استثنائياً فلم يلبث ان اصبحا اعز اصدقاء وبالرغم من بقاءه في الصف الثالث الابتدائي مع اطفال من نفس عمره الا ان زيارته المستمرة للاخصائين النفسانيين في نهاية العطلة الربيعية اثبتت اهميتها لتقدمه وبعدها بدأت حالته تثبت عدم حاجتها الى المزيد من العلاج فوقف والداه زيارته للطبيب النفساني . وبعد قضاء العطلة التي انتهت قبلها أرجي من الصف الخامس الابتدائي كان لابد لنا من الانتقال الى ولاية اخرى مما جعل البحث عن مدرسة مناسبة وبالسرية المطلوبة مهماً جداً . ومن خلال البحث والتنقيب ومن خلال خبرتي الطويلة مع المدرسين والمدارس الخاصة فأنني مقتنعة الان بان المدارس الخاصة ذات الاسماء اللامعة التي تتفاخر بانها تخرج طلاباً سيلتحقون بكليات مرموقة ولها اسم لامع في المستوى التعليمي والاكاديمي قد لا تكون هي الملائمة للاطفال الموهوبين الا انها قد تلائم الكثير من الاطفال الاستثنائيين وخصوصاً الذين يستعملون الطرف الايسر من الدماغ ويحققون الكثير من الانجازات وبما ان اهم خصائص الطفل المتفوق ليست مقدرة على التعلم فقط ، بل تطلعه إلى برامج تتميز بالمرونة والحيوية فانه بالتالي لا يستطيع أن يتمشى مع هذه النوعية من المدارس التي توصف براجحها بأنها جامدة!

من ناحية أخرى فإن المنافسة في الحصول على المرتبة المتفوقة في المدرسة والانجازات العامة ليس لها القدر الكبير من الاهمية بالنسبة للطفل المتفوق اذا قيست بحاجته لاكتشاف اي المواضيع التي يحس بنفسه حاجة لاكتشافها. والضغط الاجتماعي المعروفة في هذه الاجواء صعبة جدا بالنسبة للطفل المتفوق لأن هذا الطفل مختلف تماما بطبعه ولا يمكن تغييره كما ان طبيعة هذه المدارس الاكاديمية في اتخاذ موقف المدافع عندما تواجه احتمال وجود طفل متفوق لديها قد يحتاج بعض المتطلبات لا تستطيع هذه المدرسة ان توفرها له، لأن هذه المدارس لها سمعة تدافع عنها دائما.

ولكننا كنا محظوظين جداً بأن نجد مدرسة خاصة لديها المرونة اللازمة لتدع كل طفل يتقدم على حسب مقدرته الخاصة وجده الخاص، وفي محيط يرى كل طفل نفسه فردا مستقلا، فقد اصبح أرجي واحدا من ضمن الاخرين لاتركيز عليه ولا يشار اليه بالبنان. وقد حظي أرجي بمدرسة اخرى وقفت بجانب تقدمه ونجاحه كما ان سياسة المدرسة العامة كانت عدم استعمال العنف والترحيب بكل مختلف جديد. وكان هذا بمثابة العمود الفقري لعلاقات اجتماعية طيبة بين الجميع في المدرسة.

اما بالنسبة للمستوى التعليمي فكانت النتيجة اكثر اختلافا. كان أرجي يعيد الصف الخامس الابتدائي مرة ثانية مع ان انجازاته كانت اكثر من ذلك. وربما انه لم يتعلم الكثير في هذه السنة ولكنه كان سعيدا بطريقة المدرسة التعليمية. وكان باستطاعته دراسة كثير من المواضيع الاخرى التي لم يجربها من قبل كالشعر والتمثيل والرياضة. كل هذا ترك تأثيرا كبيرا على نفسيته لأنه كان يعود الى المنزل كما عرفناه من قبل ثم يقوم بالاعمال التي ينجزها خارج المدرسة بنفس روح الحماس والمتعة التي لم يحسها لسنوات عديدة.

اما جيسون فقد مرت عليه سنة اخرى مليئة بالمآسي حيث ظل في الصف الرابع الابتدائي مع اطفال من نفس سنه، واصبحت علاقاته الاجتماعية صعبة جدا. وفي البداية اصبح عنيفا لأنه اكتشف انه لم يبق له شيء في المدرسة ليتعلمه، وقد ادى ذلك الى طلب جيسون الرجوع الى طبيبه الذي تركه لطلب العون مرة ثانية وقد تم الاتفاق، بأن يبحثوا عن مدرسة جديدة له في العام المقبل ويجعلوا تطبيق اي طرق تعليمية لتخطي الفصول الدراسية او اختيار المواضيع غير العادية ومحاولة ايجاد المساعدة ولو كان ذلك خارج المدرسة لأنهم اقتنعوا بان الطفل الذي لديه نسبة ذكاء اكثر من ١٨٠ لا يمكن له ان يتمشى مع المدارس التقليدية مهما

تقدم من تعديلات تعتبر لاشيء بالنسبة لمقدرات هذا الطفل . فالطفل في هذا الجو يشع كالسجين لا امل له في الحرية غير الهروب من ذلك المكان او الانطواء على نفسه .

وهناك العديد من المضايقات التي تصاحب العيش مع طفل بالغ الموهبة وقد تضع الوالد موضع اليأس . فقد يعني هذا العيش في عالم غير منظم ملوّه المشاريع التي لانهاية لها والمشاحنات المستمرة مع المعلمين التي تكون نتائجها غالبا غير مرضية بالاضافة إلى تكرير الوقت والموارد التي قد تبدو غير معقولة وغير عادلة .

والى جانب تلك المضايقات هناك العديد من التعويضات . فلن يستبدل الاهل هذا الطفل بطفل اخر مهما كانت الحياة صعبة معه ، لأن وجوده نعمة من الخالق رزقنا بها لكي نحبه ونرعاه ونراقب نموه ومن خلال ذلك نحاول ان نجد الطرق لتساعده في الوصول الى غايته . ولا توجد هناك طرق مفصلة ولا كتب مرسومة ولا فصول دراسية لتؤكد طرقا مضمونة لتربيت الطفل المتفوق . لكننا رواد في هذا الحقل وقد نحتاج إلى ان نشارك في مواردنا ومعلوماتنا .

وعندما كان أرجي يبلغ الرابعة من العمر قال له احد اصدقائه في الحضانه بانه لن يدعوه لحفلة عيد ميلاده . فنظر اليه أرجي وقال له (انك لا وجود لك الا في عقلي) . ومن دواعي الاسف اننا في كثير من الاحيان نقيّد طفلنا ولا نسمح له بالحرية المطلوبة .

ان ذلك الطفل بنسبة ذكائه العالية وطموحاته يكون اغوارا عميقة يصعب علينا فهمها . وقد يكون من الحزن ان نلجأ لتقييد حرية هذا الطفل لأنه لن يعبر عن نفسه الا اذا حررها من قيودها التي فرضها المجتمع والاهل عليه وعند ذلك فقط سوف يخرج الى المجتمع طفلا خلاقا هو من صنع الله الذي خلق الانسان في احسن تقويم .



— ان الانسان الذي لا يقرأ كتباً جيدة لا يمتاز اطلاقاً عن الرجل الذي لا يتمكن من قراءتها كلية.

«مارك تزيين»

— ان الكتب التي تنفعنا اكثر هي الكتب التي تجعلنا نفكر اكثر

«ثيود و رباركر»

— ان القراءة من غير تفكير كالاكل من غير هضم.

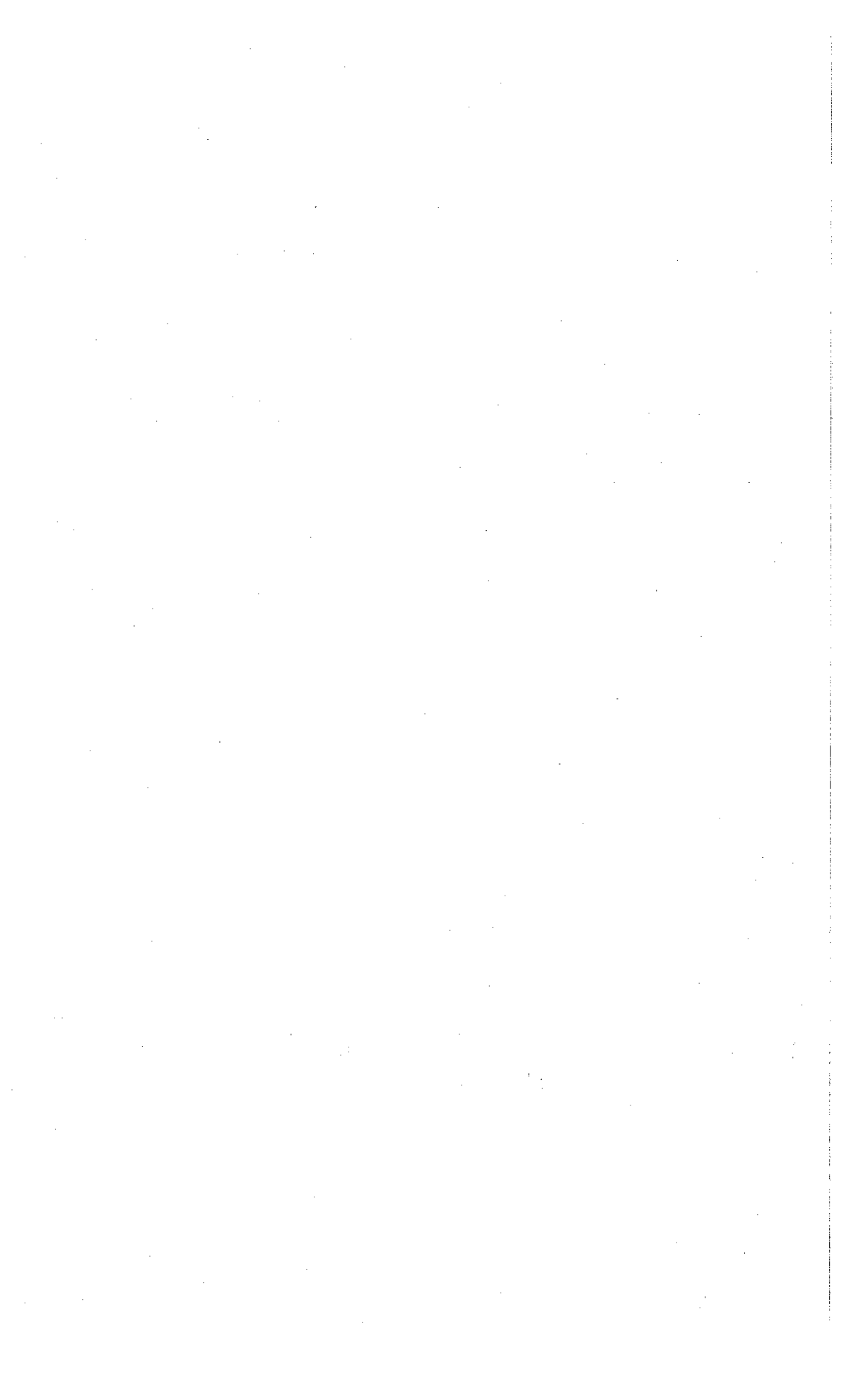
«ادموند بيرك»

— ان هذه الكتب ليست بكتلة من الاوراق التي لاحياة فيها انما هي عقول حية على الرفوف.

«جيلبرت هايت»

— اذا استطعت اكتساب معرفة جديدة مع الاعتماد على معرفتك القديمة فستكون قادراً على تعليم الاخرين.

«كونفوشيوس»



المحتويات

- ٣ تقديم الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية
- ٥ تقديم المؤلف
- الفصل الاول
- ٩ هل لدينا مشكلة تتعلق بالاطفال المتفوقين أم لا
- الفصل الثاني
- بعض المشاكل في علاقة الطفل المتفوق بمن حوله ولكن
- ٣٣ هناك فرصا ايجابية للتعلم
- الفصل الثالث
- ٤١ التعرف على المتفوقين واختبارهم
- الفصل الرابع
- ٥٥ الدافعية
- الفصل الخامس
- ٧١ الانضباط
- الفصل السادس
- ٩٥ السيطرة على الضغوط
- الفصل السابع
- ١١٣ تواصل المشاعر
- الفصل الثامن
- ١٢٩ علاقة الطفل باقرانه
- الفصل التاسع
- ١٤١ العلاقة بالاشقاء
- الفصل العاشر
- ١٥٥ تحطيم التقاليد
- الفصل الحادي عشر
- ١٦٧ الاكثاب
- الفصل الثاني عشر
- ١٧٩ علاقة الوالدين بمن يحيط بهم
- الفصل الثالث عشر
- ١٩١ رسالة مفتوحة الى المربين والاهل من والدى طفل بالغ التفوق

